بسم الله الرحمن الرحيم

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الحادى والثلاثون

يولية ٢٠٠٧م

المراسلات: ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور محمد بركات البيلى رئيس التحرير على العنوان التالى: كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ) بريد الأرومان – محافظة الجيزة.

All Correspondence to be directed to: Editor – in Chief: Prof. Mohammed Barakat Al- Beily, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E

قواعد النشر

- ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الجاد بعد التحكيم، فضلاً عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة.
- تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (Word) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.
- المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثاً سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.
- تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أياً كان قرار هيئة التحكيم.
- النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية.
- الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

شكر للسادة الأستاذة الذين شاركوا فى تحكيم هذا العدد، وهم

أ.د. حامد زيان غانم

أ.د ليلى عبد الجواد إسماعيل

أ.د. أحمد الطوخى

أ.د. محمد عفيفى عبد الخالق

أ.د. محمد فهمى عبد الباقى

محتويات العدد

الموضـــوع

أولاً: البحوث باللغة العربية: صفحة

ثانياً: البحوث باللغات الأجنبية:

Page

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

عزيزى قارئ المؤرخ المصرى ،،

هذا هو العدد الحادى والثلاثون من دوريتنا العلمية المحكمة مجلة المؤرخ المصرى التى تحرص دوماً على أن تمد قارئها بالبحوث المتخصصة المتنوعة فى مجال الدراسات التاريخية وهى إذ تحرص على تنوع تخصصات بحوثها ليجمع كل إصدار من إصداراتها الدورية بين موضوعات فى التاريخ القديم والوسيط والحديث فهى تحرص أيضاً على أن يقوم بفحص البحوث قبل نشرها فاحصون لا تقل درجتهم العلمية عن درجة الأستاذية ومن المشهود لهم بالحيدة والعمق والموضوعية حتى تكون البحوث المنشورة مفيدة للقارئ من ناحية وعلى مستوى يليق بالقيمة العلمية والتصنيف العلمى للمؤرخ المصرى كواحدة من الدوريات العلمية المرموقة فى مجال البحث العلمى عامة والتاريخى منه على وجه الخصوص.

وهكذا تقدم المؤرخ المصرى فى عددها الذى بين يديك عزيزى القارئ بحوثاً متنوعة يمكنك التعرف عليها وعلى أهميتها للوهلة الأولى من خلال نظرة

سريعة فى قائمة المحتويات. وستحرص المؤرخ المصرى أن تظهر لقارئها دوماً فى ثوب قشيب غير مخل بالذوق العلمى لتجتذب إليها قارئها وتدخل فـــى نفـــسه البهجة حين يتناولها بين يديه.

ولا يفوتنى أن أشكر السادة المحكمين على ما بذلوه من جهد فى فحـــص البحوث وإقرار صلاحيتها للنشر ونتطلع إلـــى اســـتمرار التعـــاون معهـــم فـــى الإصدارات المقبلة كما لا يفوتنى أن أرحب بكل باحث يريد أن يطل على القـــارئ من خلال المؤرخ المصرى طالما يلتزم بقواعد النشر فيهـــا وبالمـــستوى الـــذى تصنف فيه. وأرجو عزيزى القارئ أن نوافيك بإصدارات متتالية تجد فيهـــا مـــا تصبو إليه من معرفة تاريخية.

رئيس التحرير

أ.د. محمد بركات البيلى

"التعليم الأدبى فى أثينا فى ضوء المصادر الأدبية للقرنين الخامس والرابع ق.م"

د. علاء الدين صابر

قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

كلية الآداب – جامعة القاهرة

إن وضع أثينا الكلاسيكية فى الثقافة الأوربية قد حفظ لها مكاناً لتعليم اثينى فى كل مناقشة أو حوار بدأ من العلاقة بين التعليم والديمقراطية إلى أهمية التعليم كعنصر مقابل للتدريب وانتهاً به كنصير أصلى لأنواع مختلفة مثل تعليم الموسيقى والتعليم المختلط والمنهج الدراسى القومى[1]. إن دراستنا للتعليم فى اثينا تحوطه العديد من المعوقات أهمها أن معرفتنا عن الثقافة الاثينية تبدو مذبذبة جداً ومتعددة فى أشكالها فى نواحى عديدة وتكاد تكون جزئية فى نواحى أخرى. وقد قدمت لنا المصادر الأدبية صورة متنوعة خيالية عن التعليم فى اثينا فى فترة متأخرة من القرن الخامس تمثلت فى كتابات أفلاطون Plato واريستوفانيس Aristophanes، بالإضافة إلى فقرات من المؤرخ اكسينوفون Xenophon والفيلسوف ارسطوطاليس Aristotle وعدد من الغازات التى صورت رجال ونساء وأطفال يقرعوا ويلعبوا على القيثارة ويقوموا بأداء الألعاب الرياضية وهناك أيضا واحد أو اثنين من الأعمال الأثرية تقدم لنا صورة للمظاهر التعليمية السائدة فى ذلك الوقت. إن قراءة المصادر تعد محاولة للوصول إلى نتائج تعكس لنا صورة واضحة عن المجتمع.

وقد أخذ هذا الاتجاه عدد من مؤرخى الأدب محاولين التوفيق بين المعتقدات والمبادئ المتعارضة، لكن النتائج لم تكن عادلة للأنواع الأدبية المختلفة كما أن أراء

المصادر ومحتواها لم تكن جميعها تتناول التعليم فحسب، بل شملت مقوماته وأراء هذه المصادر عنها(٢). والوضع لم يختلف بالنسبة للأبحاث الحديثة التى فشلت فـى الكشف عن تصنيفات التعليم التى تتضافر عناصره معا وتلك التى تكون منفـصلة منها يجب أن يكمل كلا منها الأخرى، أضف أنه حتى لو وجدت بعضها منفـصلة فهذا يكون إجباريا بالقانون أو التقليد.

أننى فى هذا البحث أحاول الإجابة على عدد من الأسئلة الهامة وهى : هـل كان هناك شكل للتعليم فى اثينا فى الفترة الكلاسيكية يرتكز على معرفـة القـراءة والكتابة أو أن معرفة القراءة والكتابة كانت ضرورية؟ لو كانت ضـرورية متـى ظهرت أهميتها أول مرة؟ وما هى عناصر التعليم الأخرى التى كانت تتعلق بهـا؟ وكيف تغير هذا الشكل على مدار الزمن؟ فمن الفترة الهلينستية عبر الإمبراطورية الرومانية نلاحظ فى المصادر الأدبية وغير الأدبية شئ ما قريب من "منهج دراسى" يحيط التعليم الأدبى والعددى وبالتحديد المنفصل عن أشكال التعليم المهنى والفنـى والبدنى(٣). إلى أى مدى ورثت فترة العصر الهلينستى تصنيفها التعليمى من أثينـا فى الفترة الكلاسيكية ؟

أننى هنا اهتم بالحديث عن التعليم الذى نشعر به كنشاط ثقافى أو اجتمـاعى ذلك التعليم الذى يشبه الرياضة البدنية الذى يحدد بمكان ومشاركين أو نشاط خاص به والذى يختار الناس ممارسته أكثر من أن يجبروا على هذه الممارسة. ونوع هذا التعليم كان سائدا فى مصادر القرن الخامس، فقد عثرنا فى هذه المـصادر علـى طلاب يذهبوا بطريقة منتظمة إلى أماكن خاصة ليتعلموا شيئا ما خاصا من معلمـاً ما. لكى اقتفى أثر هذه الظاهرة فقد حذفت قدراً كبيراً من المعلومات عـن الثقافـة الأدبية فى اثينا ككل على الرغم من أن مصادرنا فى هذا الجانب كانـت محـدودة جداً، ولكن كان ذلك ضرورياً لكى أميز بين التعليم كظاهرة منفصلة وبين خلفيتـه الثقافية على الأخص تلك الأنشطة الثانوية المتمثلة فى مـصادرنا بطريقـة غيـر متجانسة والتى مارسها عدد قليل من المفكرين والمحترفين فى ذلك الوقت.

١- أنواع التعليم الأدبى

كما ألمحت من قبل أنه فى القرن الخامس ق.م أن شيئاً ما محدداً "بالتعليم" فى معناه الضيق قد وجد فعلا، فقد ظهرت فكرة التعليم الذى يعتمد على معرفة القراءة والكتابة أولاً فى المصادر من النصف الأخير من القرن الخامس، والحقيقة أن معلوماتنا عن هذه الفترة ليست جيدة، كما أن الدليل الذى نعتمد عليه فى استقاء معلوماتنا تثار عليه العديد من المناقشات لأن أحداهما ورد فى عمل مسرحى هجائى وهو للشاعر اريستوفاينس، والآخر للفيلسوف أفلاطون. ولكننا لحسن الحظ نجد أن هذين العملين يكادا يكونا متفقان فى عرض آرائهم.

تمدنا مسرحية "السحاب" لاريستوفاينس (899 وما بعدها) ببعض من الأدلة المبكرة الواضحة عن التعليم الأدبى. فطبقا للمنطق الأقوى kreittôn logos فإن الرياضة البدنية واللعب على القيثارة kitharistês كانوا كافيين للشباب فى العصور القديمة، لكن الشباب الآن هجر هاتين الممارستين واستحسنوا يوربيديس[٤]، فقد تعلم الشباب الذى يلعب على القيثارة الموسيقى التى ضمت الشعر والغناء والرقص واللعب على أحد الآلات كما كان لها فى ذات الوقت بعداً أخلاقياً أيضاً[٥]. والحقيقة أننا لم نعثر على دليل يوضح لنا أن معرفة القراءة والكتابة كانت شئ ضرورى أو حتى رئيسى لهذه المجموعة من النظم على الرغم من أنها كانت تتضمنها جميعاً. ويصف لنا المنطق الأقوى kreittôn logos فى مسرحية "الفرسان" (193-188) أن التعليم كان شفهيا تماما.

ومع ذلك يحدث اضطراب فى هذا التصنيف التقليدى للتعليم عندما يُخرج يوربيديس بطريقة ما القيثارة من التعليم. فى مسرحية السحب – بعد ذلك – يسمع فيديبيديس Pheidipides يوربيديس درساً فى مأدبة بدلا من التغنى بأشعار اسخولوس Aeschylus أو سيمونيديس Simonides الذى يدعى أنها أصبحت

موضة قديمة (1361ff.) – والاختلاف هنا لا يعبر عنه كاختلاف بـين النمـاذج الأدبية والشفوية للثقافة. وفى موضع آخر فى مسرحية "الضفادع" لاريـستوفاينس أيضاً يصور لنا ديونوسيوس Dionysius على ظهـر سـفينة يقـرأ اندروميـدا Andromeda (52-4)، وفى نفس المسرحية يصور يوربيديس يربط بين القراءة وبين تدهور الرياضية البدنية عندما يقول أن كل واحد معه كتاب فى يده ولم يعـد هناك أحد يمارس الرياضة البدنية بعد ذلك (1113).

ويشير اريستوفاينس أيضاً إلى المنافسة بين الرياضة البدنية والموسيقى عندما يجعل سقراط يمنع الزبائن فى مكـان التفكيـر Phrontistêrion مـن ممارسـة الرياضة البدنية (السحب .FF 412) . ونحن لسنا فى حاجة أن نفترض أن معرفة القراءة والكتابة فى اثينا قد بدا يتزايد بطريقة مفاجئة فى منتصف القرن الخـامس ق.م ليلائم الإشارات الهامة التى تدل على التوسط المتزايد للثقافة وعلى أن التعليم الثقافى المحتمل أصبح يعتمد على الكلمة المكتوبة[٦]. وقد وجدت النماذج الـشفهية والأدبية والثقافية معا فى هذه الفترة فى وصف افلاطون للتعليم الذاتى المبكر عنـد سقراط Socrates، ويصف سقراط نفسه يتحدث إلى كلا من الحكماء، العـرافين، المدرسين وأصحاب الحرف ويقرأ أعمال اناكساجوراس Anaxagoras[٧].

ويؤكد أفلاطون على نفس التمييز بين الموسيقى والتـدريب البـدنى. ففـى محاورة مينو [Meno 94b] يدعى أن بركليس علم أبنائه الفروسية والمـصارعة والموسيقى وفنون technai أخرى. ويصف ثوكوديديس Thucydides أنه علـم أبنائه المصارعة "وكل شئ آخر" يحتمل أنه كان يمثل شكل من أشكال الموسـيقى (94.2) وفى محاورة الجمهورية [376e) يقول أن التعليم يتبـع الاخـتلاف فـى العصر بين التدريب البدنى والعقلى أو الأخلاقى الذى استمر أفلاطون يضعه تحت تحسين الشعر والموسيقى والحساب واللهجة[٨]. نفس التقسيمة يقسمها أيـضاً فـى

محاورة القوانين [764c-e, 795 d-e].

وهناك كتاب آخرون من القرن الرابع أكدوا على هـذا الاخـتلاف أيـضاً. فايسخينيس Aeschines فى عمله "ضد تيمارخوس" Kata Timarchos (9-12) يشير إلى قانون يتعلق بنظام معاهد المصارعة من ناحية، والمدارس التى كنت تقيم مهرجانات للموسيات من ناحية أخرى والكلام يتضمن أيضا أن هذا الفارق غطـى كل الأماكن التى يمكن للأطفال أن يتعلموا فيها خارج المنزل(٩). أما ايـسوكراتيس Isocrates الذى اتسمت طبيعته الشخصية بالثنائية، عقلية وبدنية، فقد قسم التعلـيم متأثر بهذه الطبيعة إلـى رياضـة بدنيـة وفلـسفة (Antidosis 180-1). أمـا أرسطوطاليس الذى يظهر أنه تعرف على نفس الثنائية عندما كتب أنه إذا الدولة لم تقدم التعليم – كما يعتقد – فعلى الآباء الاستمرار فى إمداد أولادهـم بالموسـيقى والرياضة البدنية(١٠).

ونجد أيضا بعض كتاب القرن الرابع ق.م يقدموا هذا الاختلاف بين التعلـيم العملى والفنى وهو ما يمكن تسميته "التعليم الحر". فافلاطون وارسطوطاليس أحيانا يميزا بين التعليم المناسب للأحرار والخاصة عن ذلك التعلـيم المناسـب للعمـال dêmiourgoi(١١).

وفى مكان آخر يؤكد كتاب القرن الرابع أن تعلم القراءة والكتابة والموسيقى والرياضة البدنية واللعب على القيثارة أو المزج بينهم كان مخصص كتعليم مناسب للأحرار eleutheroi أو الخاصة idiôtai(١٢). واريستوفانيس يلعب بهذه الفكرة فى مسرحيته الفرسان (1235 ff) عندما يقول :

Πότερον οὖν κάλλιστον ἐν γραμματιστοῦ τὰ ὅμοια γράμματα γράφειν ταχὺ ἢ ἡσυχῇ;
Ταχύ.
Τί δ' ἀναγιγνώσκειν; ταχέως ἢ βραδέως;
Ταχέως.
Καὶ μὲν δὴ καὶ τὸ κιθαρίζειν ταχέως καὶ τὸ παλαίειν ὀξέως πολὺ κάλλιον τοῦ ἡσυχῇ τε καὶ βραδέως;

"إلى أى المعلمين ذهبت وأنت طفل؟"

تعلمت النفخ فى الآلات الموسيقية فى المجزر"

"... أى مصارعة تعلمت من المدرب؟"

"أن تسرق وتحنث بقسمك ثم تبحث عن طريق آخر"

"... أى الفنون كنت تتحلى بها عند بلوغك الرجولة ؟ "

" أنها بيع النقانق (= السجق) ."

ومن هذه الفقرة يتضح لنا أن التعليم العملى كان من أنواع التعليم التى تعد الطالب ليحيا ويكسب قوته وقد كان عكس ما يمكن أن نتوقعه من المدرسون didaskaloi والمدربون paidotribai. ومن خلال فهمنا لهذه الفقرة لا نستطيع أن نتأكد إذا كان التدريب المهنى وضع جنباً إلى جنب مع الحروف اليدوية أما أنه كان يمثل بعد ثالث للتعليم الحر. أن المهن مثل الطب كانت غالبا متميزة عن المهن اليدوية ومعروفة فى مصادرنا كنوع من التدريب نحتاج إليه، لكن من النادر أن مثل هذا النوع الأخير من التدريب أن يناقش فى علاقة مع التعليم الأدبى والثقافى. وعلى الاحتمال الأكثر أن التدريب المهنى واليدوى تميزا عن التعليم المعتمد على النواحى الادبية الذى بدوره كان يقوى الصورة المختارة للتعليم الأدبى والثقافى الذى سنتناول نتائجه.

إن نقطة التحول فى وضع تعلم القراءة والكتابة فى التعليم يمكن ملاحظتها فى مصادرنا فى فترة مبكرة من القرن الرابع ق.م. فالثنائى الرياضة البدنية والموسيقى ارتبطا معا وتدريجيا استوعب عنصر ثالث وهو تعلم القراءة والكتابة grammata. ومنذ ظهورها المبكر فى القرن الرابع وارتبطت معرفة القراءة والكتابة بقراءة الشعراء الإغريق والكتاب الآخرين(١٣). ويؤرخ افلاطون انتشار القسم الثالث للتعليم وهو تعلم القراءة والكتابة بعام ٤٣٠ق.م وهو تاريخ محاورة

"بروتاجوراس" فهو يصف تعليم هيبوكراتيس Hippocrates (312a-b) أنه كـــان تحت إشراف معلم المبادئ الأولى ومعلم اللعب على القيثارة والمدرب. وفيما بعـــد فى محاورة "بروتاجوراس" يصف لنا كيف يتعلم الأطفال القراءة والكتابة ويقـــرءوا الأدب ويذهبوا إلى معلم القيثارة والمدرب كما لو كانت أنشطة منفـــصلة (325e-326b) وفى محاورة "كليتفون" Cleitophon (407 b-c) يتهم سقراط الاثينـــين باعتقادهم أن أطفالهم سيتعلموا جيداً إذا تعلموا القراءة والكتابة والموسيقى والرياضة البدنية ويرى أنه لا يجب أن يضاف إلى هذه المواد مادة أخرى لأن تعليم الفضيلة يتناول كل الأنواع الأخرى. وفى فقرة من محـــاورة "خارميـــديس" Charmides (159c) يؤكد افلاطون على أن عناصر التعليم الثلاث كانت عناصر مترابطة فهى توصف معا : القراءة والكتابة واللعب على القيثارة والتعليم البدنى :

... Παῖς ὢν ἐφοίτας εἰς τίνος διδασκάλου;
ΑΛ. Ἐν ταῖσιν εὔστραις κονδύλοις ἡρμοττόμην.
...Ἐν παιδοτρίβου δὲ τίνα πάλην ἐμάνθανες;
ΑΛ. Κλέπτων ἐπιορκεῖν καὶ βλέπειν ἐναντίον.
Τέχνην δὲ τίνα ποτ' εἶχες ἐξανδρούμενος;
ΑΛ. Ἠλλαντοπώλουν καί τι καὶ βινεσκόμην.

" هل من الأفضل فى درس معلم المبادئ الأولى أن تكتب نفـــس الحـــروف الأبجدية بسرعة أم ببطئ "؟ "بسرعة"

" وأن تقرأ ؟ بسرعة أم ببطئ "؟ "بسرعة"

" ومن ثم تلعب على القيثارة بسرعة وتصارع بخفه أفضل

من أن تصارع شخصا بخمول والآخر ببطئ ؟ " حقا "

وقد اعتبر كتاب آخرون من القرن الرابع التقسيمة الثلاثية للتعليم مسلماً بهـــا جدلا. فالمؤرخ اكسينوفون يحدد فى الدستور الاسبرطى" (10-1) أنه فى الولايات الإغريقية كان الآباء يرسلون أولادهم للمدرسين ليتعلموا القراءة والكتابة والموسيقى

وما يمكن تعلمه فى مدرسة المصارعة Palaestra. وأرسطوطاليس أيضا يتناول فى تحليله نفس الثلاثية – تعلم القراءة والكتابة، الرياضة البدنية، الموسيقى – (Pol. 1337b 23FF.) ولكنه يضيف نظام الرسم graphikê، وهى إضافة يجهلها معاصريه، فيما بعد تبعها الفيلسوف تالس Teles[١٤]. وليس هناك سبباً أن نفترض أن هذه التقسيمة الثلاثية للتعليم حلت محل التقسيمة الثنائية تماما، فإشارة ايستخنيس للقانون الذى يقسم التعليم إلى قسمين تدل على أنه كان لا يزال سائد حتى فى عام ٣٤٠ق.م، لكن بمضى القرن الرابع أصبحت التقسيمة الثلاثية أكثر شيوعاً.

وفى ذات الوقت نجد بطريقة متزايدة يدور النقاش فى المصادر الأدبية حول انفصال عناصر هذه التقسيمة الثلاثية للتعليم والعداوة المتبادلة بينها. ففى بداية القرن الخامس كانت التقسيمة بين الثقافة والتعليم البدنى ويظهر أن هذه التقسيمة كانت ملائمة مع تعلم القراءة والكتابة وما كان يمثل شكليا الموسيقى. والإشارات النادرة لبداية ومنتصف القرن الخامس تذكر عموما الموسيقى والرياضة البدنية. لكن فى القرن الرابع نجد إشارات من جانب الكتاب للموسيقى ومعرفة القراءة والكتابة : مدرسة سقراط فى "السحب" تشير لما هو آتى[١٥] . وفى محاورة "بروتاجوراس" (326C FF.) ويوثيتيموس Euthydemus (276a) يذكر أفلاطون تعلم القراءة والكتابة واللعب على القيثارة معا ويفصلهما عن الرياضة البدنية. وفى محاورة الجمهورية (376e FF.) ناقش تعلم القراءة والكتابة والشعر والموسيقى كمجموعة متميزة ومستقلة عن الرياضة البدنية. وفى خطبته "عن تبادل الثروة" Antidosis(266-7) يفضل ويميز ايسوكرايتس تعلم القراءة والكتابة والموسيقى – اللتان يعدا من الموضوعات الثقافية – عن الرياضة البدنية. أن أفلاطون كان وحده من بين هؤلاء الكتاب الذى اهتم بالتدريب البدنى، وأن كان لا يبدو مؤيدًا للمهن رياضة الجسم.

وفى بداية العصر الهلينستى ستتطور هذه النزعة الانفصالية حيث نرى الموسيقى تمثل بعداً مستقلا للتعليم منفصلة تماما عن الرياضة البدنية كما أنه فى ذلك الوقت أيضا تنتهى الشركة بين الموسيقى وتعلم القراءة والكتابة، فضلا عن أن الموسيقى العملية – باستثناء دراسة علم الأصوات الموسيقية – لم تعد جزء من التعليم الأدبى الذى يعتمد على معرفة القراءة والكتابة فقد رأينا كيف عند أفلاطون واكسينوفون وأرسطوطاليس تعلم القراءة والكتابة أخذ مكانه بجانب الموسيقى والرياضة البدنية وكيف فى محاورة الجمهورية والقوانين وخطبه ايسوكرايتس "عن تبادل الثروة" كانت تناقش على أنها مكونات منفصلة للتعليم الثقافى والفكرى العام. لكن فى نهاية الفترة الكلاسيكية نجد هناك فارق واضح وبين ليس بين الموسيقى والرياضة البدنية فحسب، لكن أيضا بين تعلم القراءة والكتابة والرياضة البدنية[١٦].

أما عن العناصر الأخرى للجانب الثقافى والفكرى للتعليم الذى وكب هذا التطور فمعلوماتنا عنها تكاد تكون ضئيلة. فالمنهج الدراسى لمكان التفكير عند سقراط Phrontistêion – كما سماه اريستوفانيس فى السحب -637 .,143 FF) (871. كان خليط من كل تعاليم السوفسطائيين جميعا المتوفرة فى اثينا من العلم الطبيعى والرياضيات والهندسة والفلك والنقد الأدبى وعلم الأرصاد الجوية والنحو والإيقاع واللهجة والبلاغة[١٧]. ونحن ليس لدينا فى أى مصدر أدبى ما يوضح أن أى من هذه الفروع المعرفية ساد كجزء هام وضرورى لتعليم الأحرار مثلما كان الحال مع الموسيقى والتربية البدنية[١٨] ، كما أنه ليس هناك حتى دليل على أن الخطابة قد خصصت لتعليم الأثرياء فى هذا الوقت، فبمقارنتها مع الوضع الفكرى فى تلك الفترة فإن الخطابة قد وصلت إلى ما يمكن تسميته "بالتعليم الحر" enkyklios Paideia وهو نوع من التعليم يوجه إلى عدد كبير من الأشخاص أو معد للتوزيع عليهم.

والاستثناء الوحيد من هذه الفروع المعرفية كان علم الرياضيات. فلا توجد إشارات لتعليم الرياضيات خارج السحب وجمهورية افلاطون ومحاورة القوانين إلا نادراً، مع ذلك فالفرض لازال قائما من جانبنا أنه حيثما تُعلم القراءة والكتابة، كان لابد من وجود اتجاه لتعليم الإعداد. فقد كانت مفيدة وترتبط عن قرب بالوظائف التى تحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة. فالحقيقة أننا لا نعرف مثالا لمجتمع أدبى لم يستطع أن يقرأ أو يكتب أعداد. ومسرحية السحب توضح لنا مثل هذا التناقض : ففى بداية المسرحية ستربسيادس Strepsiades يقوم بعمل حساباته ولكن لا توجد أى إشارة بعد ذلك فى المسرحية توضح أن التعليم فى شكله القديم كان يشمل الرياضيات كأحد عناصره. والوضع لا يختلف عند بقية الكتاب فارسطوطاليس فى كتاب السياسة لا يتحدث عن الرياضيات عند مناقشته للتعليم. حتى أفلاطون نفسه فى معظم محاوراته لم يشير إلى تعليم الرياضيات باستثناء عدد قليل من السوفسطائيين – على سبيل المثال بروتاجوراس (318e-19a) – وفى محاورة الجمهورية (536 d-e) يتعهد أن كل الأطفال فى جمهوريته المثالية سيتعلموا بدائيات الحساب فى الطفولة. وأيضا فى نفس المحاورة (522 b-c) يعتبر سقراط الرياضيات مكملة للتدريب البدنى والأدبى ويرى فى حديثه لمحاوره أن الشئ الذى لا يغطى هذين الموضوعين لا يعتبر رياضيات. معنى هذا أن الرياضيات لم تكن جزء منتظم من التعليم الاثينى وأنها فقط كانت فى متناول فئة قليلة من الناس.

وهناك اشارات فى بعض المصادر الأدبية من بينها اشارة ايسوكرايتس فى عمله "عن تبادل الثروة" (259-61, 266-7) – تمثل وجهة نظره من الناحية العملية – يقول فيها أن الهندسة والفلك وتعلم القراءة والكتابة والموسيقى إن لم تكن مفيدة كما يدعى مدرسيها، فلها أهمية بالغة فى أنها أرض خصبة للبلاغة لأن هذه الفروع تشحذ العقل. ونلاحظ نفس الظاهرة فى الكتابات على التعليم فى العصر

الهلينستى والرومانى : فلا توجد إشارات للرياضيات إلا نادراً والمناقشات عنها مختصرة جداً، بالرغم من أنها تظهر فى ذلك النوع من التعليم المسمى "بالتعليم العام" enkyklois paideia أو الموجه إلى عدد كبير من الأشخاص أو المعد للتوزيع عليهم(١٩). وبالرغم من ذلك نجد بين نصوص المدارس البردية فى فترة مصر اليونانية الرومانية نصوص رياضية التى لم تظهر فحسب، بل كانت تمثل عدد هائل فى كمها مثلما جمعت فى ذلك الوقت كل نصوص النوع الأدبى معا(٢٠). والتفسير المحتمل لسوء التطابق هذا بين النصوص الأدبية وأوراق البردى هو أن الرياضيات التى بقيت كانت أسوء الأعمال الخاصة للنظرية التعليمية. فمعظم المصادر الأدبية للتعليم تحت المستوى المتخصص للسوفسطائيين أو الفلاسفة اهتموا بالنقد الأدبى والخطابة والفلسفة والاحتمال الأكثر أنهم افترضوا درجة من التعليم الرياضى أحيانا كانوا يذكرونها ولكنهم لا يملكون اهتماما أو معرفة ثقافية بها. والشئ الذى يدفع إلى الأسف أننا لا نملك عملا رياضيا يشمل طريقة التعليم الرياضى الأولى(٢١). وربما ليس لهذا السبب لم تُعلم الرياضيات، بل ربما لأنها كانت خارج التصنيف العادى للتعليم الأدبى مثلما كان فى فترة متأخرة. وكانت الرياضيات – مثلما كانت القراءة والكتابة فى فترة مبكرة من القرن الخامس – لها أهمية كمهارة عملية ولكنها لا تتضمن الجانب الثقافى المنتشر ولا تدعو إلى المناقشة فى مصادرنا القديمة.

وهنا نحن قد حددنا صنفان للتعليم فى البدايات الأولى للقرن الخامس ق.م وهما الموسيقى والرياضة البدنية ولم يكن أيا منهما يتطلب تعلم القراءة والكتابة من جانب المتعلمين. غير أن الموسيقى من المحتمل أنها احتاجت من جانب متعلميها تعلم القراءة والكتابة بصفة خاصة للأغراض العملية. ولكننا لا نعرف إلى أى مدى كانت منتشرة، فالإشارات الأولى توضح أن تعلم القراءة والكتابة بدا يتنافس مع

الغناء والتلاوة خلال الموسيقى التى وردت عند اريستوفانيس. ومع بداية القرن الرابع ق.م تقدمت بدرجة كبيرة جداً لدرجة أن التعليم ارتكز بشكل عام فى ثلاث أجزاء هى : الرياضة البدنية والموسيقى وتعلم القراءة والكتابة. وبعيدا عن نقص ما يسمى بالعنصر الموسيقى فى قراءة والقاء الأدب وحقيقة أن التعليم اشتمل على مرحلة أولية من تعلم القراءة والكتابة، لا يبدو هناك أى فارق واضح فى المحتوى بين تعلم القراءة والكتابة والموسيقى، فالفارق يعتمد إلى حد ما على قدر من القراءة المتضمنة ويشير إلى أن تعلم القراءة والكتابة أصبح أكثر أهمية للجانب الثقافى للتعليم. ومن التهور أن نفترض أن قراءة الأدب كانت الغرض الرئيسى لتعلم القراءة والكتابة فى أى قطاع للمجتمع فى القرن الرابع ق.م، ولكنه نظر إليه بشكل أوسع من ذلك بين المثقفون.

٢- استخدامات التعليم الأدبى

إن الدافع الأكثر وضوحاً لانتشار معرفة القراءة والكتابة فى اثينا الكلاسيكية كان الديمقراطية ومن بعده الإمبراطورية . فالاثينيون استخدموا الكلمة المكتوبة فى المعابد، فى مجلس الشورى Boulê والمحاكم، لكى يعينوا الحدود ينتشروا القوانين، وينبذو السياسيين، ولكى يسجلوا الأهداءات والعقود والحسابات والتعاملات المصرفية وضريبة حلفائهم ولكى يديروا العلاقات الشخصية والثقافية والدبلوماسية والدليل على كل ذلك نجده حولنا فى شكل نصوص أدبية ونقوش[٢٢]. ومن الغريب أن الكتابات التعليمية نادراً ما تشير إلى العديد من الاستخدامات العملية أو السياسية لمعرفة القراءة والكتابة.

وفى فقرة من مسرحية الفرسان يمدنا اريستوفانيس بتعليق نادر على العلاقة بين تعلم القراءة والكتابة والديمقراطية عندما يضطر بائع سجق بناء على ضغط من ديموسثنيس أن يدخل السياسة ويذكر أنه لا يملك كثيرا من الموسيقى ولكن ديموسثينس يؤكد عليه بقوله أنك لا تحتاج الموسيقى لكى تدير أمور الدولة هذه الأيام (193-188). ونعلم من هذا الحديث أن تعلم القراءة والكتابة كان جزءاً من

الموسيقى. غير أن اريستوفانيس توقف قليلا قائلا أن الشخص يحتاج لمعرفة القراءة لكى يدير الديمقراطية. وأنها الموسيقى ككل التى يقول ديموسثنيس أنها ضرورية لإدارة أمور الدولة. فلو كان تعلم القراءة والكتابة هو العنصر الحاسم للموسيقى فى هذا السياق، فإننا نتوقع أن ديموسثنيس يؤكد على بائع السجق أنه إذا عرف القراءة والكتابة فهو عرف بما يكفى، أفضل من القول أن الشخص لا يحتاج الموسيقى هذه الأيام ليدير أمور الدولة. وديموسثنيس يعود بنا إلى فترة سابقة عندما كان يدير الديمقراطية فئة من الرجال ذو الثقافة العامة – مثل بركليس – لكنه على الأكثر يقيم صلة أن كانت ضعيفة وغير دقيقة بين الديمقراطية ومعرفة القراءة والكتابة.

وفى محاورة ليسس Lysis لافلاطون، يصور ليسس كتابة الحروف والقراءة لابائه (b 209) على أنها أنشطة تربط الجزء العملى بالثقافى. وفى محاورة القوانين نؤكد على تعلم القراءة والكتابة لأنها تكون ذات فائدة عملية (e.g. 810a) ويشير اكسينوفون إلى أن التعليم يتضمن معانى سياسية فى الدستور الاسبرطى (1.10) لكنه لم يذكرها، فقط لاحظ أن معظم الدويلات اليونانية تهتم بمعرفة القراءة والكتابة. وفى عمل اكسينوفون Memorabilia يؤنب سقراط يوثيديموس Euthydemus لأنه يحتفظ بمكتبه للكتب ويعتقد أنه متعلما بالتالى ويسأله العديد من الأسئلة : ما سوف تتعلم من هذه الكتب ؟ الطب ؟ الرياضيات؟ الآثار ؟ الفلك ؟ لحن موسيقى؟ (4.2.9. ff.) . ويقصد سقراط هنا أن هناك أشياء لا تستطيع الكتب أن تعلمها ليوثيديموس وهى تعلم الفضيلة. لكن إشارة سقراط هنا تبين لنا أنه بحلول عام ٣٥٠ ق.م أصبحت الكتب تستخدم فى تعليم المهارات العملية والمهنية[٢٣]. أما فى عمله "Oeconomicus" (9.10) فيشير اكسينوفون إلى أن معرفة القراءة والكتابة تعد ضرورية للإدارة المنزلية[٢٤].

وفى مؤلفه "السياسه" يرى ارسطوطاليس أن تعلم القراءة والكتابة مع فن الرسم graphikê يعد "مفيدًا للحياة" (1237b 23ff.) . وهو يمتدح الرسم لأنه يمكننا أن نقدر أعمال الفنانين (1337b 25ff.) . ويؤكد أيضا (1338a 16ff.) أن تعلم القراءة والكتابة له منافع عديدة فى إدارة شئون المنزل Oikonomia ولطلب المعلومات mathêsis والأعمال السياسية العديدة Politikai Praxeis Pollai. وهنا ارسطوطاليس يؤيد رأى اكسينوفون فى أهمية تعلم القراءة والكتابة فى إدارة شئون المنزل، لكن هذا المجال كان محدوداً. أما عن أهميته فى الأمور السياسية فليس هناك سوى إشارات نادرة فى المصادر توضح ذلك. ويسلم ارسطوطاليس أن التعليم ضرورى فى إدارة شئون الدولة وينبغى أن يكون فى متناول الجميع، ولكنه يوضح أنه لا يكون كذلك فى اثينا فى ذلك الوقت (Pol.1337a 22ff.). وإذا كان ارسطوطاليس قد أوضح ما لأهمية القراءة والكتابة فى السياسة إلا أننا لا نعرف كم حجم هذه الأهمية بالنسبة لديمقراطى القرن الرابع ق.م. ولا كم عدد تلك المؤثرات الأدبية فى السياسة فى ذلك الحين.

وإيجازاً نجد إشارات قليلة فى الأدب التعليمى لاستخدامات منزلية لمعرفة القراءة والكتابة وهى أقل من استخدامتها فى السياسة، ولكن أى من هذه الإشارات لا يرتبط بطريقة واضحة بالحالة السياسية فى اثينا فى هذا العصر[٢٥]. وهناك افتراضات عديدة تؤكد استخداماتها فى القانون والتجارة والدبلوماسية وهكذا. ولكن بدلا من أن نعتمد على هذه الافتراضات، سنتناول تلك الإشارات التى تتحدث عنها المصادر فقط[٢٦].

اهتم معظم المؤلفين بالاستخدامات الثقافية لمعرفة القراءة والكتابة. وقد رأينا فعلا تعلم القراءة والكتابة والموسيقى والرياضة البدنية كانت عناصر هامة لتعليم الأحرار والخاصة كما وصف تعلم القراءة والكتابة فى القرن الرابع ق.م كإجراء

تمهد لقراءة الشعراء أو الكتاب فى تلك الفترة. وفى القرن الرابع تتعدد الإشارات للاستخدامات الثقافية لمعرفة القراءة والكتابة، ففى محاوره بروتاجوراس يصف افلاطون فى البداية تعليم الأطفال وكيف يبدءوا تعلم الحروف ثم يعطى لهم أعمال الشعراء العظام ليقرونها ويحفظونها عن ظهر قلب ويقلدونها (Protag. 325e-326a) . أما ايسوكراتيس فى عمله "عن تبادل الثروة" يستحسن عناصر التعليم التى تشمل على تعلم القراءة والكتابة وقراءة الأدب، على أساس أنها تزيد من استعداد الطالب لدراسة الخطابة [Antid. 259-67]. وهذه الفقرة تبدو ذات أهمية بالغة لدلالاتها على أن تعلم الحروف والعناصر الأخرى للتعليم تسبب تغير إدراكى (= معرفى) فى الطالب وتزيد استعداده للخطابة. وفى عمل ايسوكراتيس "ضد السوفسطائيون" (10FF.) يشكوا أن السوفسطائيون يخلطوا بين "اللوجوس" وتعلم القراءة والكتابة ويقترحوا أنه فى بعض المناطق فى عصره كان يُنظر إلى تعلم القراءة والكتابة كإجراء تمهيدى هام للحديث أو الحديث الجدلى من أى نوع[٢٧]. وكثيراً من أقوال ارسطوطاليس تتشابه مع ما يقوله ايسوكرايتس عندما يحدد مدى أهمية معرفة القراءة والكتابة – من بين الأشياء الأخرى – لاكتساب المعلومات (Pol. 1338a 16ff.)

إن التطور الزمنى فى هذه القطع يبدو واضحاً، فمن القرن الخامس كان تعلم الحروف لا يعطى نتائج محددة، وفى فترة متأخرة من القرن الخامس وبداية القرن الرابع يقال أن معرفة القراءة والكتابة أدت إلى قراءة الأدب، وفى منتصف القرن الرابع أصبح تعلم القراءة وقراءة الأدب إجراءات تمهيدية ضرورية لبلوغ الدراسات الثقافية والسياسية الأعلى.

وهذا التطور الذى بلغته معرفة القراءة والكتابة لم يرحب به بانتظام ، فتجاوز معرفة القراءة والكتابة للثقافة صحبه نقد من جانب عدد من نفس المؤلفين

كما حددنا من قبل. ففى القرن الخامس ق.م الرياضـــى اونوبيـــدس Oenopides يؤمن بأن المعرفة تكمن فى القلب وليس على الرف. وانتثينس Antisthenes فى نهاية القرن الخامس وبداية الرابع انتهز الفرصة فى تثقيـف صـديقه الـذى فقـد مذكراته Hypomnêmata بقوله أن المعرفة يجب أن تحفر فى الروح ولا تكتـب على مجموعة من ورق الكتابة(٢٨). وافلاطون يفضل التعليم شفهيا من المدرس عن قراءة النصوص ويخصص جزء من محاورة فايدروس لهذا الموضوع(٢٩). وفـى محاورة القوانين يسلم افلاطون بتعلم القراءة والكتابة ولكنه لا يعطى أى دلالة فـى أى من المراحل المتأخرة من التعليم تتم مرحلة الكلمة المكتوبـة. وفـى محـاورة الجمهورية لا يهتم بسن القوانين للمعرفة الأساسية للقراءة والكتابة على الرغم مـن أنه يصعب تخيل التدريب بدونها(٣٠). واكسينوفون فى عمله Cyropaedia يؤكـد على تدريب قورش على العدالة والتحكم فى النفس واللياقة البدنية ويجهـل تعلـم القراءة والكتابة (13.11). وفى مكان آخر يدعى أن معرفة السوفسطائيين للقـراءة والكتابة – كما يؤكدوا – لا تملك القوة للاستحواذ على الفـضيلة (Cyneget. 13-1-3).

إن التوسط المتزايد للثقافة من خلال الكلمة المكتوبة لم يكـن – بـالطبع – شائعا كما فهم نقاده هذا المعنى أحياناً. فالشعر استمر يقـدم ويغنـى فـى العامـة والخاصة حتى نهاية العهد القديم(٣١). وقد شعر بعض الناس بأهمية هـذا التوسـط الثقافى من خلال الكلمة المكتوبة بينما احتج البعض الآخر والشئ الملفت للنظر أن معظم الذين اعترضوا على السيطرة المتزايدة للقراءة المتبقون لنا كانوا مثقفون أو ارستقراطيون وجميعهم استحسنوا تعلم القراءة والكتابة فى فقـرات أخـرى مـن أعمالهم والشئ الذى يدعو إلى تعليمه أو معرفته بدون مساعدة الكتابة يكـون فـى أحيان كثيرة شئ ما متخصصا بدرجة كبيرة. وعلى الاحتمال الأكثـر ان هـؤلاء

كانوا متعلمين بدرجة كبيرة وألا ما كانت موضوعاتهم تحتاج إلى الكلمة المكتوبة. لكن لماذا دعوا إلى الاعتراض بقوة على الكتابة ؟

إن تفسير كل هذه الظواهر الغير متوقعة والمتناقضة بوضوح – من التأكيد على الاستخدامات الثقافية لمعرفة القراءة والكتابة على حساب الاستخدام العملي المتزايد لمعرفة القراءة والكتابة فى التعليم والشك المصاحب له – نجده فى سياق العديد من الفقرات وردت جميعها فى أعمال النظرية السياسية : محاورة القوانين والجمهورية لأفلاطون، كتاب السياسة لارسطوطاليس، عمل اكسينوفون "تعليم قورش" وأعمال ايسوكرايتس البنجاريكوس Panegyricus والبنثايكوس Panathenqicus. وفى هذه الأعمال يعد التعليم هدفا للأعداد للحياة السياسية والأنظمة التعليمية التى تقع على قمة السلم التعليمى تبدو أكثر أهمية للزعامة السياسية : مثل الفلسفة فى حالة أفلاطون وارسطوطاليس والخطابة فى حالة ايسوكرايتس. وعلى ذلك اعتمدت فائدة هذه الأنظمة التعليمية المختلفة على ذلك الشخص الذى يعلمها ووضعه فى الدولة. وعند كل هؤلاء المؤلفين كانت الثقافة الأدبية تنحدر إلى منزلة أدنى بعلاقتها بالأنظمة الأخرى لكى تجعل هذه الأنظمة تبدو أعلى وأصعب فى بلوغها وفى متناول فئة أقل من المتعلمين.

وعندما ننتقد التعليم الأدبى ومؤلفى الثقافة، نجد أن هناك اتجاه يفخم تحديد الثقافة. ففى منتصف القرن الرابع ق.م نجد ايسوكرايتس وارسطوطاليس يكتبان عن معرفة القراءة والكتابة وقراءة الأدب ليس كأشياء منفصلة فحسب، لكن أيضا كإجراءات أولية هامة للأشكال المتقدمة للتعليم. وفى ذات الوقت ينكروا أن البلاغة والفلسفة وغيرها لا يمكن أن تعلم بأى وسيلة أخرى سوى التعليم الأدبى بمعنى آخر أن الطالب لكى يعتبر نفسه "مثقفا" يجب أن يكون متعلما، لكن كونه متعلماً وقارئا للأدب فى حد ذاتهم لا يعنى أنه بلغ درجة ليكون مثقفاً. فالطالب يجب أن يتجه إلى



تدار الدولة أفضل ما تدار بواسطة النخبة المثقفة والأقل نزعة اجتماعية.

وقد كانت الطريقة التى شكل بها أرسطوطاليس وايسوكراتيس سلسلة أنظمتهم التعليمية لها معانى ضمنية أوسع من سياقها السياسى المباشر. فقد وضـــعوا لأول مرة نظام تعليمى كانت فيه معرفة القراءة والكتابة هى المتطلب الأساســـى والأدب اليونانى والثقافة الأدبية جزء ضرورى فيه أما القوة السياسية فقد كانت هدفا نهائيا له. ويعبر ايسوكراتيس عن هذا النظام التعليمى بوضوح بالغ فى عمله "عن تبـــادل الثروة" (295-7) عندما يقول :

[illegible], ὅτι πάντων
τῶν δυναμένων λέγειν ἢ παιδεύειν ἡ πόλις ἡμῶν
δοκεῖ γεγενῆσθαι διδάσκαλος. εἰκότως· καὶ γὰρ

"... إن مدينتنا ينظر إليها بأنها مدرسة يتعلم فيها كـــل الخطبـــاء القـــادرون ومدرسوا الخطابة".

وهو يمتدح اثينا بهذا الشكل على أساس أنها تقدم للخطيب الطموح أفضل بيئة ثقافية فى بلاد اليونان، وأرق لغة وأفضل الفرص لممارسة الحديث العام والتفـــوق فيه . وفى عمله البينجاريكوس Panegyricus (51) يناقش هذه النقطة بطريقـــة مختلفة قليلا عندما يقول :

"تركت مدينتنا باقى الجنس البشرى ورائها بعيد جداً فـــى الفكـــر والحـــديث لدرجة أن طلابها قد أصبحوا مدرسون للآخرين ولم تعد كلمة "اغريقى" تشير إلـــى نوع بقدر ما أصبحت تشير إلى طريقة فى التفكير وأصبح أولئك الذين يـــشاركونا تعليمنا يسموا "اغريق" أكثر من أولئك الذين يشاركونا طبيعتنا".

فى هذه الفقرات لا يذكر ايسوكرايتس الجانـــب الثقـــافى بـــين انجازاتـــه أو انجازات مدينة اثينا فقط، بل أنه يدعى لنفسه وايضا لاثينا، السيطرة السياسية التى ترتكز على التعليم الثقافى الأدبى. ولأول مرة نرى معرفة القراءة والكتابة والسياسة يظهران معا ويرتبطان بعلاقة تبادلية حميمة وضرورية.

إن رد فعل افلاطون على تطور معرفة القراءة والكتابة يبدو مختلفـا ولكـن ليس أقل جدلية[٣٤]. فبالإضافة إلى نقله التعليم والثقافة إلى الأنشطة المتميزة، ينكر أفلاطون أن النصوص تستطيع أن تعلم شيئا : مما يحتاجه المتعلم لكى يتعلم الأشياء الهامة مثل الفضيلة هو معلم جدير بالاعتماد عليه. وهنا افلاطون يبدو أقل تميـزاً من ارسطوطاليس وايسوكرايتس فتعليم الفضيلة الذى يصفه افلاطون يتطلب درجة عالية من معرفة القراءة والكتابة وتعليم إعداد ثقافى عالى. فضلا عن ذلك يعتمـد على تلقين هذا النوع من التعليم على مدرسون من نوع خـاص وهـم مدرسـون جديرى الثقة بالاعتماد عليهم – من المحتمل هو نفسه وسقراط وبعض من اتباعه – ومن خلال معرفتنا عن الطلاب الذين كانوا يقبلوا – خاصة فـى الأكاديميـة – أن المشروع التعليمى عنده كان ديمقراطيا.

إن هذين الاتجاهين للتعليم والسياسة أصبحا واضحين فى الفترة المتأخرة من القرن الخامس وبداية القرن الرابع وفى هذه الفترة زاد استخدام معرفـة القـراءة والكتابة فى الحياة العامة وأخذت تنمو أكثر بين عدد السكان الأخذ فى النمـو[٣٥]. ولدينا دليل على الاستخدام المتزايد للكتابة فى مجال الحياة فى هذه الفترة : يـسخر اريستوفاينس من نمو القراءة الثقافية، لكن دليلنا عن المكتبـات وتجـارة الكتـب ضعيف وأن كانت هناك اشارات توضح تزايد كلاهما فى القرنين الخامس والرابع ق.م[٣٦]. وزاد أيضا أعداد العقوبة المكتوبة والدعوى القضائية المكتوبة والسجلات العامة التى زد عددها فى الكم وفى معدل المادة التى يخزنونها. ويقال أن الخطيب ورجل الدولة لوكورجوس Lycurgus – المسئول عن التمويل العام فى اثينا فـى الفترة من ٣٣٨-٣٢٦ ق.م – كان لديه النسخ الرسمية للأعمال الدرامية العظيمـة فى سجلات عامة حيث كان الممثلون فى ذلك الوقت يجبروا على وضع أعمالهم فى سجلات قبلما يقدموا للجمهور أعمالاً جديدة[٣٧].

فضلا عن ذلك يحتمل أيضا أن معرفة القراءة والكتابة نمت بدرجة كبيرة بين الارستقراطيين والاوليجاركيين والمثقفين كما تدلنا المصادر الأدبيـــة لأن معظـــم هؤلاء كانوا يشعروا بتهديد أسوء. وقد تعرضت دراسات كثيرة للتأثير السياسى فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م الذى استحوذت عليه الطبقة المتوسطة – ليست طبقة الفقراء – وانتقل إلى الطبقة الثرية وغالبا كانت من الأثرياء المحدثى الثراء[٣٨]. فقد شاهدت هذه الفترة انتقال اجتماعى بالغ ارتكز على الثروة، فقد انتنت إلى السلطة السياسية عدد من العائلات بعد جيلين أو ثلاث أجيال من صناعة المال فى التجارة، التصنيع، الصرافة وأعمال مشابهه. وهذه الطبقة المحدثة الثراء هـــى التى سيطرت على التعليم الأدبى الذى يدفع له أجر، ولم يعد التعليم فـــى متنـــاول الفقراء وبقيت فى الواقع معرفة القراءة والكتابة ككل فى اثينا الكلاسيكية منخفـــضة جداً[٣٩]. أولئك الناس اكتسبوا التأثير السياسى والموارد الاجتماعية والثقافية للطبقة المتميزة وفى ذات الوقت احتفظوا بكثير من الاهتمامات السياسية واتجاهات الطبقة العامة التى لنا أن نتخيل أنهم كانوا غير مستحبين من جانب مؤلفينا. وهذه الفئة لم تكن فى حاجة أن يزداد عددها فى أى وقت – والدليل حقا أنهم لم يتزيدوا – لتنتشر معرفة القراءة والكتابة خارج حدود الفئة المتميزة وكان هـــدف ذلـــك اســـتخدمها لنفوذها الثقافى والسياسى ولتجلب على نفسها الكرة لفعلها ذلك. وفى الحقيقة اتـــسع تأثيرها بطريقة تصاعدية على السياسة والمجتمع ولكن كـــان رد فعـــل المثقفـــون المتميزون قوياً.

وتؤكد كل كتابات القرن الرابع ق.م كل ما حدث : فمعرفة القراءة والكتابة لم ترفض أو تجهل، ونجد تأكيد هذا الرفض عند كلا من ايسوكراتيس وارسطوطاليس عندما يؤكدان على أنه من الضرورى أن تكون متعلم لكى تكتسب أو تمارس حتى المهارات مثل البلاغة التى لا تحتاج بشكل مباشر على معرفة القراءة والكتابة. ولقد

كان هذا التطور، الذى جعل من معرفة القراءة والكتابة فى قاع التعليم الثقافى، عصيبا بالنسبة لتاريخ التعليم(٤٠). فإذا كان التعليم لم يعد سائدًا تماما، فإن أهميته ظلت مسيطرة وكان واحدًا من العوامل التى قدمت للمواطن الثقافة فى العصر الهلينستى والرومانى المتأخر بالرغم من حدود المكان والزمان والمجتمع والعرق.

تلك كانت حالة معرفة القراءة والكتابة فى القرنين الخامس والرابع ق.م، حيث لم نعثر – كما هو واضح – فى السجلات المكتوبة للفترة الكلاسيكية على إشارة واضحة للنصوص استخدمت كمنهج دراسى(٤١). فقد رأينا عدد هائل من القطع يؤكد أن معرفة الحروف الهجائية كانت الخطوة الأولى للتعليم الثقافى، وقطع آخرى تصف القراءة مثل تعلم الفضيلة(٤٢) أو المهارات العملية والمهنية(٤٣) أو أنها كانت أساسية للتعليم المتأخر(٤٤). وقد كانت كل هذه الأشياء تعلم شفهيا فى المجتمع الإغريقى واستمرت على هذا النحو فى القرنين الخامس والرابع ق.م. وعلى الرغم من أننا نرى بعض أفراد يقرءوا نصوص بهدف تحسين أنفسهم، إلا أننا لم نكتشف سوفسطائى، على سبيل المثال، يوصى فى كتاباته للطلاب أن يهتموا بهذا الاتجاه ولم يفعل ذلك أى مدرس ولا حتى ايسوكراتيس الذى كان يؤكد دائما أنه يستخدم نصوص فى تعليمه(٤٥).

والحقيقة أيضاً أنه ليست هناك إشارة توضح ذلك الوقت الذى بدأ فيه دور معرفة القراءة والكتابة ينمو أول مرة فى التعليم الثقافى، وأن كان هذا حوالى منتصف القرن الخامس ق.م. وقد كان هذا النوع من التعليم يشكل تهديداً اجتماعياً وسياسياً فى ذاته. والذى يبعث على الدهشة – كما أوضحنا من قبل – أن القراءة ظلت فى ذلك الوقت قاصرة على فئة قليلة من الناس ولم تصبح أكثر عمومية إلا مع نهاية القرن الخامس. أن تطور الثقافة الأدبية وتطور معرفة القراءة والكتابة عموما كانا يعدا مرحلتين للتطور المنفصل، إحداهما (الأول) كان قاصراً على الفئة

المتميزة، والآخر (الثانى) كان أكثر انتشاراً. ومع بداية القرن الرابـــع ق.م. نـــرى نهوض مفاجئ فى اهتمام المثقفين والارستقراطيين بحالة التعلـــيم المـــأخوذ مـــن النصوص والذى أدى فى بعض الأحيان إلى تضخم فى معنى الثقافة وعند آخرون إلى إدعاءات أن التعليم لم يكن حقا مادة للقراءة على الإطلاق. وأولئك الذين كانوا يقرءوا بهدف الثقافة فقط بدءوا يتجاوزوا هذه الحالة للتعليم والأســـوء مـــن ذلـــك السلطة السياسية للفئة المتميزة فى ذلك الوقت. والمشكلة لم تكن فى ذلـــك الحـــين ترجع إلى تزايد معرفة القراءة والكتابة : فبعد القرن الرابع ق.م لم تعـــد معـــدلات معرفة القراءة والكتابة تستمر فى التطور وأبقت الثقافة الأدبية وأنظمتها المترابطة على حفظ الفئة المتميزة. ولكن لفترة، على الأقل فى بداية القرن الرابع ق.م، بدا لنا أن معرفة القراءة والكتابة والثقافة والقوة التى تحدثها فـــى خطـــر مـــن الـــسياسة الديمقراطية القادمة إلى دولة الديمقراطية التى تنزع إلى أحداث تغيرات جذرية فى الفكر والعادات السائدة.

وقد بدأت حديثى بالإشارة إلى أهمية التعليم الأدبى فى الفترة الهلينستية وفيما بعد ذلك – أن الدور الذى لعبه اغريق العصر الهيلنستى كان تحويل معرفة القراءة والكتابة والتعليم الأدبى إلى أداة تشجعها الدولة ذات النظام الاجتماعى والذى غذى دواوين الممالك الهلينستية وشجع الشعور بالذاتية الاجتماعية والثقافية بين الشعوب المتفاوتة بدرجة كبيرة. فى اثينا الديمقراطية لم يكن هناك مثل هـــذه الأداة. فاثينـــا كانت دويلة صغيرة أمكن إدارة ديمقراطيتها بمعرفة محدودة للقراءة والكتابة، كمـــا أن الاثينيون عانوا من أزمة عدم وجود ذاتية داخلية. لكن على الرغم من أن حالة التعليم فى بداية عهد الممالك الهلينستية تغير، إلا أن محتوياته وتصنيفاته لم تتغير. فهذه المحتويات والتصنيفات جميعها كانت قد وضعت من منتصف القرن الرابـــع ق.م.

الحواشى:

(١) Marrou, (H.L.), Histoire de L'Education dans l'Antiquité, Paris (1975), pp. 142FF.; Von Schmitter, "Compulsory Eduaction at Athens and Rome"? AJP XCVI (1975), p. 276-89; Beck, (F.A.), Greek Eduaction, London (1964), pp. 80FF.

(٢) انظر مُؤَلَفَ الأستاذ "جيجر" الذى يتحدث عن الثقافة الفكرية ككل ويتناول الحديث عن التعليم بطريقة غير رئيسية :

Jaeger, (W.) Paideia : The Ideals of Greek Culture, 3 vols, Oxford (1939-45); Cf. also Pfeiffer, (R.), History of classical scholarship, vol.I, Oxford (1968).

– يعد مُؤَلَف الأستاذ "مارو" Marrou هو المرجع الذى يتعامل تقريبا مع أشـكال التعلـيم المختلفة بما فيه البدنى والمهنى فى شكل ملخص :

Marrou, Op.cit. et Beck, (F.A.), Bowen, (J.) A History of Western Education, vol.I, London (1972) et Freeman, (K.), Schools of Hellas, London 1907).

(٣) إن عناصر "المنهج الدراسى" المحدد بالعبارة enkuklois paideia من فترة العصر الهلينستى فصاعدا كانت تشمل القراءة والكتابة مثل قراءة المؤلفين اليونانين واللاتين وأيـضا النحـو والبلاغة والحساب والهندسة وأحيانا الموسيقى. وقد حُذفت الفلسفة والبلاغـة والفلـك فـى المراحل التى بلغت فيها الحضارة الهلينستية أوج عظمتها على أساس أن المادة التعليمية لم يمكن تميزها عن تلك المستخدمة بواسطة المحترفين أو الباحثين. أنظر :

Lodge, (R.C.) Plato's Theory of Eduaction, London (1947), pp. 11-12.

(٤) تشير كلمة العصور القديمة أو الأيام الماضية هنا إلى جيـل مـاراثون Marthon، عنـدما عرضت "السحب" أول مرة فى عام ٤٢٣ ق.م، لكن يظهر أن المسرحية كانت تتناول خلفية معاصرة فهى تفرق بين جيلين فى الكلمتين "حينئذ" و"الآن". متى إذا أتى التعليم الجديد الذى يدعو إليه اريستوفانيس؟ فالسوفسطائيون لم يظهروا فى اثينا قبـل عـام ٤٦٠ ق.م، ومـن المحتمل أن تأثير التعليم الجديد كان ملموساً حتى عام ٤٤٠ق.م لكن لم يكن له تاثيراً سـلبياً حتى بعد موت بركلييس Pericles عام ٤٢٩ق.م. عندما أصبح تأثير السوفـسطائيين علـى السلوك السياسى أكثر وضوحاً. ربما لن نبعد كثيراً إذا اعتبرنا هذه الفترة بالنصف الأخيـر من القرن الثالث ق.م.

(٥) عن أهمية الأدب فى التهذيب الأخلاقى من العصور قبل الكلاسيكية . انظر :

Marrou, Op.cit., pp. 9-13.

(٦) Woodbury, (L.) "Aristophanes' Frogs and Athenian Literacy" TAPA CLXVI (1976), p.349-57.

- انظر أيضا بحث الأستاذ "هارفى" الذى يميل إلى استنتاج أن معرفة القراءة والكتابة فى اثينا كانت منتشرة ويدلل على ذلك بالقدر الوافر من الغازات التى انتشرت فى القـــرن الخامس وعليها العديد من المناظر التى تدلل على وجود القراءة :

Harvey, (F.D.) , "Literacy in the Athenian Democarcy" REG LXXIX (1966), p.385-635.

(٧) ربما كان هذا من حوالى ٤٣٠ ق.م، ولكننا لا يمكن أن نأخذ هذا دليل على انتـــشار قـــراءة اناكساجوراس أو النصوص عموما فى هذه الفترة. وعن أن فئة قليلة متميزة هى التى كانت تستطيع قراءة النصوص نظير دفع مبلغ دراخما واحدة فى السوق العامة.

أنظــر : Lewis, (N.), Paryrus in Classical Antiquity, Oxfrod (1974), p.132; CF.
James, (A.H.M.), Athenian Democarcy, Oxfrod (1957) Ch.4.

(٨) كان افلاطون مهتما بالتراث القديم ولكنه فى مكان آخر نراه ينزع إلى أحداث تغيرات فـــى الفكر والعادات السائدة، فلعل الاتجاه المتضارب للتعليم هذا هو الذى قاده إلى تجاهل أهميته.

(٩) عمر هذا القانون غير واضح وأن كان ايستخنيس فى حديثه يحاول أن يجعلنا نعتقد أنه منـــذ زمن سولون Solon.

(١٠) Aristotle, Nicomachean Ethics, 1180a, Politics 1337a 34ff.

(١١) Plato, Protagoras, 32a-b; Aristotle, Politics, 1337b 23ff.

- قارن Plutarchus, Eumenes 1, on Eumenes of Cardia الذى – على الرغم مـــن فقره – تلقى تعليم الأحرار فى المصارعة ومعرفة الحروف الهجائية.
- عن رفض ارسطوطاليس تعلم الحرف اليدوية banausikê لأنها تقيد المثقفين:

Aristotle, Politics, 1337b 23 ff.

(١٢) Aristophanes, knights, 190-3; Plato, Protagoras, 312a-b; Xenophon, Oeconomicus, 4.2; Aristotle, Politics, 1332 b 12ff., 1334a protagoras 23-4, 1337b 4 ff; Plutarch, Demosthenes, 4.3, Solon, 1.3-4, Eumenes 1, 1.

(١٣) لم تحدد المصادر الأدبية على الإطلاق – كما يفترض غالبا – أن معرفة القراءة والكتابـــة كانت تمثل المرحلة الأولى والآلية للتعليم لأنه بمجرد أن يبدأ الطلاب قـــراءة الأدب فـــأنهم يعتبرون ذلك موسيقى mousikê فالفارق بين الآثينيين يصبح غير واضـــح. فقـــراءة الأدب المشار إليها بعد تعلم القراءة والكتابة لا تعطى إشارة لتغير النظام أو المـــدرس. فمعلمـــوا المبادئ الأولى grammatistai ومعلموا القـــراءة والكتابـــة grammatodidaskaloi كـــان

كلاهما يعلموا الأدب، وإن كان لدينا فيما بعد دليل قوى أن هناك سطور من الأدب استخدمت بين تمرينات الكتابة المبكرة :

Plato, Protagros, 325n. 326a; Isocrates, Antidosis, 267.

– يذكر الأستاذ "بوث" Booth معتمداً على دليل غير قوى فى محاورة القوانين وقطعة مشكوك فى صحتها من محاورة بروتاجوراس أن الطلاب كانوا يذهبوا فى البداية إلى معلم المبادئ الأولى ثم حينئذ إلى معلم اللعب على القيثارة kitharistês. انظر :

Booth, (A.D.), "Douris' Cup and the stages of schooling in classical Athens" EMC XIX (1985), p.275-80.

(١٤) Stobaeus, Florilegium, 98

(١٥) قارن شذرة سوفوكليس (P.Oxy. 1083.1) حيث نجد أعضاء كورس الساتورى لا يشتركوا فقط فى الألعاب والشعر والموسيقى والرقص – وهى المكونات التقليدية للموسيقى والرياضة البدنية – ولكن أيضا فى العلم والثقافة التى يستشف من السياق أنها متميزة، انظر أيضا :

Regan, (D.O.), Rhetoric, Comedy and The violence of language in Aristophanes' Clouds, Oxford (1992), pp. 11-17, 39.

(١٦) من المحتمل بعد ميناندروس Minandros، قارن :

Plutarch, Eumenes 1; Aristotle, Poetics, 6. 1450 b 18-19; Plautus, Bacchides, 420 ff.

(١٧) Kerferd, (G.B.), The Sophistic Movement, Cambridge (1981), pp.34-41 and 42 ff.

– وعن المنهج الدراسى للدراسات السوفسطائية. انظر : Plato, Protagoras, 318d 7ff.

(١٨) Ibid. 318e-19a

(١٩) لاحظ أن كلا من كونتليانوس Quintilianus وفيلو Philo ركزوا على الفوائد المعنوية للهندسة وعلم الفلك. انظر :

Philo, De Cong. 25-18; Quintilian, Institutio Oratoria, 1.10.34 ff.

(٢٠) ليس هناك كتالوج مفهوم للنصوص المدارس الرياضية، لكن كثيرا منها تضمن هذه المقالة:

Zalateo, (G.), "Papiri Scolastici" Aegyptus XLI (1961), p. 160-235 et MPERu n.s. XV.

(٢١) لم يضع يوكليديس Eukleides فى الاعتبار بالرغم من أنه كان له اسهاما فى هذا المجال. انظر على سبيل المثال :

P. Mich. 3. 143 : bk.1 definitions 1-10 [3rd century C.E.].

(٢٢) Harvey, art.cit., p.587; Thomas, (R.), Oral Tradition and Written Record in Classical Athens, Cambridge (1989), p. 30.

(٢٣) ينكر ارسطوطاليس ذلك. انظر Aristotle, Nicomachean Ethics, 1811 b1ff.

(٢٤) عن تعليم زوجة ايسخوماخوس Ischomachus وتعليم النساء عموما. انظر :
Pomeroy, (S.b.), Social and Historical Commentary on Xenophon Oeconmicus, Oxford (1994), pp.38-9, 267-9; Cole, (S.G.), "Could Greek Women read and write"? In : H.P. Foley (ed.) Reflections of Women in Antiquity, New York (1981), pp.219-46.

(٢٥) Gorgias Pol.30; Stobaeus, Peri grammaton 7; Aeschines P.V.459-62; Plato, Phaedrus, 274 d I-2

(٢٦) Robb, (K.) Literacy and Paideia, Oxford (1994); Thomas, op.cit., p.30; Harris, (W.), Ancient Literacy, Camrbidge (1989); CF. Beard, (M.) et al., Literacy in the Roman World, An Arbor (1991); Samuel, (A.E.), The Shifting Sands of History, London (1989), p.35.

(٢٧) يقصد ايسوكرايتس بمعرفة القراءة والكتابة بالكلمة grammata وليست القدرة على الكلام. كما أن كلمة grammata لم تستخدم عنده لتعنى الكلمة الملقاة باستثناء حينما يتحدث في النظرية النحوية.

(٢٨) Diogenes Laetrius 6.5.

(٢٩) عن وجهة النظر أن سقراط حذر ضد القراءة ولم يشجبها . انظر :
Ferrari, (G.R.F.), Listening to the Cicadas, Cambridge, (1987), Ch.7.

(٣٠) ربما لأنه ليس لديه اهتمامات بالمهارات التعليمية، فقط فيما تتجه من فضيلة. عن هذا انظر :
Annas, (J.), An Introduction to Plato's Republic, Oxford, (1981) p.83ff.

(٣١) ايسوكرايتس فى عدد من الفقرات من عمله "إلى نيكوكليس" To Nicocles (11-14) يؤكد على أهمية معرفة القراءة والكتابة عندما يقول "أن الاستماع إلى الشعراء سيعلم حاكم المستقبل ما يحتاج أن يتعلمه". وعن الأهمية المتزايدة للخطابة والعلاقات الشخصية فى التعليم فى القرن الرابع ق.م وعن الشك الدائر حول الكلمة المكتوبة والنص التعليمى الذى كان لا يزال موجوداً فى الفترة الرومانية. انظر :
Robb, op.cit., pp. 197 ff.; Alexander, (L.) "The Living Voice" in D.Clines et al. (edd.), The Bible in three Dimensions" JSOT LXXXVII (1990), p. 221-47.

- وعن فكرة أن الشعر والأشياء الأخرى من الفنون الأدبية لم تكن تقرأ أو حتى ترتل بجدية فى الفترة الكلاسيكية . وعن أننا نملك فى شكل مكتوب عدد هائل من الأشعار قبل القرن الخامس مبتدا بهوميروس وأن حملة بيستراتوس لتعليم الآثينيين – طبقا لأفلاطون – لم تشمل فقط أجزاء من= = الملحمة، لكن اعدت أيضا تفسيرات منقوشة بحكم أخلاقية عن الريف وأن هناك العديد من الفازات التى ترجع إلى القرن الخامس تبين عدد من الناس تقرأ. انظر :

Immerwahr, (H.), "Books Rolls on Attic Vases" CMRSI (1964) p.17-48.

(٣٢) Booth, (A.D.), "Some Suspect school masters" Florilegium III (1981), p.1-20.

(٣٣) Aristotle, Politics, 1337a 11ff., Isocrates, Antidosis Passim

(٣٤) إن محاورة القوانين وكتاب الجمهورية بهما الكثير وربما قد الهمتا بعضا من آراء ارسطوطاليس وايسوكرايتس أو كلاهما.

(٣٥) نلاحظ هنا أن الآراء المتناقضة يعبر عنها بواسطة نفس الكُتاب بطرق مختلفة تعكس اضطراب واختلاف الرأى فى المجتمع على الأكثر . قارن : Euripides Fragment 370.

(٣٦) Aristophanes, Frogs, 943, 114; Birds, 1288; Xenophon, Anabasis, 7.5.14; Cf. also Harris, Op.cit. p.87.

وعن ظهور بعض السفن حاملة كثير من الكتب . انظر :

Kenyon, (F.G.), Books and Readers in Ancient Greece and Rome, Oxford (1950) et Turner, (E.G.), Athenian Books, London (1977).

(٣٧) Thomas, Op.cit., pp. 38-42.

- لاحظ أيضا النمو المتزايد فى سيطرة النص المكتوب. وعن قراءة ارسطو . انظر :

Strabo. 13. 608 et Lewis, Op.cit., p.74.

(٣٨) E.g. Davis, (J.K), Wealth and The Power of Wealth in Classical Athens, New York (1981) et Hansen, (M.H.), The Athenian Democarcy, Oxford (1991), pp.266ff. et Boeckh, (A.) The Public Economy of Athens, London (1842), pp. 116-23.

(٣٩) Harris, Op.cit, p.3- 24.

(٤٠) عن أن ايسوكراتيس قد تميز عن غيره من المؤلفين الآخرين فى جعل الكتابة كوسيط للتعبير والممارسة السياسية. انظر :

Too, (Y.L.), The Rhetoric Identity in Isocrates, Cambridge (1995), Ch.4; CF. Plato, Phaedrus, 264 b 7FF.

- وعن أن أرسطوطاليس كان يعتبر أن الحديث الخاص من إنتاج التعليم وأن التعليم

البلاغى يرتكز بدرجة كبيرة على التحليل النحوى والأدبى التابع للغة. أنظر :
Aristotle, Rhetoric, 1408a 3a FF.

(٤١) عن أنه ليس لدينا أى إشارات أن السوفسطايئون كانوا يستخدموا النصوص التى كتبوها فى التدريس وأن الأنواع التى كانوا يدرسونها كانت دائما شفهيه. انظر :
Guthrie, (W.K.C.) The Sophists, Cambridge (1971) pp. 41-4 et kerferd, Op.cit. pp. 28-33.

- عن إشارة اكسينوفون أن الكتب كانت مستخدمة فى التدريس، وعن رأى ارسطوطاليس الذى يرى عكس ذلك من خلال تأكيده أنه لا نجد رجال أصبحوا اطباء بقراءتهم الكتب الطبية وأن الكتب تعد مفيدة فقط لمن لهم خبرة سابقة فقط. انظر:
Xenophon, Memorabilia 4.2.9ff. et Aristotle, Nicomachean Ethics, 1181 b1ff.

(٤٢) Plato, Protagoras, 325a ff.; Hipparchus 228b-229a; Xenophon, Cyneget, 13.

(٤٣) Xenophon, Memorabilia, 4.2-1.

(٤٤) Isocrates, Antidosis, 259 ff.; Aristotle, Nicomachean Ethics, 1181b g ff.

(٤٥) Colo, Op.Cit., p. 86

قائمة المراجع والمصادر

أولاً : المصادر:

1- Aeschines, The Speeches of Aeschines with an English Translation by C.D. Adams (Loeb Classical Library) London (1948).
2- Aristophanes, The Clouds with Introduction and Notes by W.W. Merry, Oxford (1962).
3- Idem, The complete Works of Aristophanes with Translation by B.B. Rogers in three volumes (Loeb Classical Library) London (1924).
4- Aristotle, The Art of Rhetoric with an English Translation by J.H. Freese (Locb Classical Library), London (1930).
5- Idem , Nicomachean Ethics with an English Translation by H. Rackham (Loeb Classical Library) London (1935).
6- Idem, Politics with an English Translation by H. Rackham (Loeb Classical Library) (1929).
7- Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers edited and Translated by R.D. Hicks, London (1998).
8- Euripides, The complete works of Euripides with an English Translation by A.S. Way in Five volumes ((Loeb Classical Library), London (1940).
9- Isocrates, To Nicocles, Panegyricus with an English Translation by G. Norlin, vol.I, (Loeb Classical Library), London (1954).
10- Idem, Antidosis, Against the Sophists with an English Translation by G. Norlin, vol.II (Loeb Classical Library) London (1956).
11- Plato, Charmides, Alcibiades I and II, Hipparchus, The Lovers Theages, Minos , Epinomis with an English Translation by W.R.M. Lamb, vol. XII (Loeb Classical Library) London (1999).

12- Idem, The Republic with an English translation by P. Shorey, vol. V (Loeb Classical Library) London (1937).
13- Idem, Laws with an English translation by R.G. Bury vols. X, XI (Loeb Classical Library) London (1961).
14- Idem, Laches, Protagoras, Meno, Euthydemus with an English Translation by W.R.M. Lamb, vol.II (Loeb Classical Library) London (1999).
15- Idem, Lysis, Symposium, Gorgias with an English translation by W.R. M. Lamb, vol.III (Loeb Classical Library) London (1999).
16- Idem, Timaeus, Critias, Cleitophon, Menexenus, Epistles with an English translation by R.G. Bury, vol. IX (Loeb Classical Library) London (1999).
17- Idem, Euthyphro, Apology, Crito, Phaedo, Phaedrus with an English translation by H.N. Fowler, vol.I. (Loeb Classical Library) London (1999).
18- Plautus, Bacchides with an English translation by P. Nixon (Loeb Classical Library), London (1921-1938).
19- Plutarchus, Plutarch's Lives : Solon and Publicola with an English translation by B. Perrin, vol.I (Loeb Classical Library), London (1998).
20- Idem, Plutarch's lives : Demosthenes and Cicero with an English by translation B. Perrin, vol.II (Loeb Classical Library) London (1998).
21- Idem, Plutarch's Lives : Sertorius and Eumenes with an English Translation By B. Perrin, vol. VIII (Loeb Classical Library) London (1998).
22- Philo, With an English translation by F.H. Colson (Loeb Classical Library) London (1937).
23- Quintilian, Institutio Oratoria edited and translated by H.E. Butler, vol.I (Loeb Classical Library) London (1999).
24- Stobaeus, Eclogarum Rhysicarum et Ethicarum Libri duo,

recensuit Angustus Meineke (Teubner), Lipsiase (1860-61).

25- Strabo, Geography with an English Translation by H.L. Jones , vol. VIII (Loeb Classical Library) London (1999).

26- Thucydides, With an English translation by C.F. Smith, vol.I (Loeb Classical Library) London (1935).

27- Xenophon, Memorabilia and Oeconomicus, Symposium and Apologia with an English Translation by E.G. Marchant, vol. IV (Loeb Classical Library) London (1999).

28- Idem, Anabasis with an English Translation by O.J. Todd vol.III (Loeb Classical Library) London (1999).

29- Idem, Cyropaedia with an English translation by W.Miller, vols V, VI ((Loeb Classical Library) (1999).

30- Idem, Scripta Minora with an English Translation by E.C. Marchant, vol. VII (Loeb Classical Library) London (1999).

ثانياً : المراجع :

1- Alexander, (L.), "The Living Voice" in D. Clines et al. (edd.), The Bible in three Dimensions Jsot LXXXVII (1990), p.221-47.

2- Annas, (J.), An Introduction to Plato's Republic, Oxford, (1981)

3- Beard, (M.) et al., Literacy in the Roman World, An Arbor (1991).

4- Beck , (F.A.), Greek Education , London (1964).

5- Boeckh, (A.), The Public Economy of Athens, London (1842).

6- Booth, (A.D.), "Douris' Cup and the Stages of Schooling in Classical Athens" EMC XIX (1985) p.275-80.

7- Idem, "Some Suspect Schoolmasters" Florileguim III (1981), p.1-20.

8- Idem et Bowen, (J.), A History of Western Education, vol.I, London (1972).

9- Burns, (A.), "Athenian Literacy in Fifth Century B.C.": JHI XLII (1981), p.20-30.

10- Cole, (S.G.), "Could Greek Women read and write"? in : H.P. Foley (ed.) Reflections of Women in Antiquity, New York (1981), pp. 219-46.

11- Davis (J.K.) , Wealth and the Power of Wealth in Classical Athens, New York (1981).

12- Ferrari, (G.R.F.), Listening to the Cicades , Camrbidge (1987).

13- Freeman, (K.), Schools of Hellas, London (1907).

14- Guthrie, (W.K.C.), The Sophists, Cambridge (1971).

15- Hagedorn, (D.) and Weber, (M.), "Die Griechisch-Kopstische Rezension der Menandersentenzen" ZPE III (1968)p.15-50.

16- Hansen, (M.H.), The Athenian Democracy, Oxford (1991).

17- Harris, (W.), Ancient Literacy, Cambridge (1989).

18- Harvey, (F.D.), "Literacy in the Athenian Democarcy" REG LXXIX (1966) p. 585-635.

19- Immerwahr, (H.), "Books Rolls on Attic Vases" CMRS I (1964), p. 17-48.

20- Jaeger, (W.), Paidcia : The Ideals of Greek Culture, 3 vols. Oxford (1939-45).

21- Jones, (A.H.M.), Athenian Democacy, Oxford (1957).

22- Kenyon, (F.G.), Books and Readers in Ancient Greece and Rome, Oxford (1950).

23- Kerferd, (G.B.) The Sophistic Mövement, Cambridge (1981).

24- Lewis, (N.), Papyrus in Classical Antiquity, Oxford (1974).

25- Lodge, (R.C.), Plato's Theory of Education, London (1947).

26- Marrou, (H.L.), Histoire de l'Education dans L'Antiquite, Paris (1975).

27- Pfeiffer, (R.), History of Classical Scholarship, vol.I, Oxfrod (1968).

28- Pomeroy, (S.B.), Social and Historical Commentary on Xenophon Oeconomicus, Oxford (1994).
29- Regan, (D.O.), Rhetoric, Comedy and The Violence of Language in Aristophanes' Clouds, Oxford (1992).
30- Robb, (K.), Literacy and Paideia, Oxford (1994).
31- Samuel, (A.E.), The Shifting Sands of History, London (1989).
32- Schmitter, (Von), "Compulsory Education at Athens and Rome"? AJP XCVI (1975) p. 276-89.
33- Thomas, (R.) Oral Tradition and Written Record in Classical Athens, Cambridge (1989).
34- Too, (Y.L.) , The Rhetoric Identity in Isocrates, Cambridge (1995).
35- Turner, (E.G.), The Athenian Books, London (1977).
36- Woodbury, (L.), "Aristophanes' Frogs and Athenian Literacy" TAPA CLXVI (1976), p. 349-57.
37- Zalateo, (G.) "Papiri Scolastici" Aegyptus XLI (1961), p.160-235 et MPER n.s. XV.

جار الله بن فهد المكى وكتابه النُّكَت الظِّراف تعريف ودراسة

الدكتورة لمياء أحمد شافعى

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تقديم:

خلال السنة الماضية أمكننى أن أنجز تحقيق كتاب النُّكت الظِّراف، فى الموعظة بذوى العاهات من الأشراف، وأعاننى الله على إتمام ذلك رغم صعوبات النص فى نسخته المخطوطة الفريدة بخطها المستعصى. وأشرتُ فى مقدمة التحقيق إلى أهمية الكتاب وإلى أنه يحتاج إلى دراسة خاصة به فقلت عندها: وإنى لا أزال أعتقد أن الكتاب يحتاج إلى دراسة علمية توضح أهمية ما اشتمل عليه من أخبار العصر فى مكة المكرمة وتكشف عن محتواه ومنهجه ومصادره، مع عناية خاصة بما أثير حول تأليف هذا الكتاب من خلاف ونقاش حاد بين المؤلف من ناحية وبين بعض علماء مكة ومثقفيها، مما جعل المؤلف يلجأ إلى تحكيم علماء من القاهرة ومن دمشق فإذا هم يعبرون عن آرائهم ومواقفهم من موضوع الكتاب.

وقلت بعد ذلك: إن ما تقدم من تعريف بالمؤلف والكتاب وضع كمقدمة للتحقيق، وإنى اعتقد أن دراسة مفصلة للكتاب وتعريفاً أوسع بالمؤلف وظروف تأليفه له يستحقان عناية أكثر وتتبعاً أوسع وهو ما ننوى القيام به إن شاء الله.

وفعلاً عدت إلى الكتاب لإنجاز الوعد ولإتمام ما أشرت إليه فكتبت هذا البحث الذى عملت فيه على دراسة الكتاب والتعريف به مع بيان المنهج الذى سلكه المؤلف فى إنجازه ثم توضيح مصادره التى اعتمدها بتنوعها وتعددها مع تناول ما تضيفه نصوص هذا الكتاب من معلومات تاريخية متعلقة بعصر المؤلف وبعض

معاصريه. وهى معلومات مفيدة لمعرفة جوانب اجتماعية فى مكة خلال النصف الأول من القرن العاشر مع العناية بقضية أثيرت فى المجتمع المكى المثقف حول هذا الكتاب. فقد قام جدل حاد عند ظهور الكتاب بين المؤلف وبعض مناصريه من جانب وبين جماعة من المثقفين وأهل العلم من جانب آخر، ونتج عن ذلك حوار ساخن دام قرابة السنتين ووصلت أصداؤه وآثاره إلى العاصمة المصرية القاهرة والعاصمة الشامية دمشق للتعريف بوجهات النظر المتباينة حول موضوع الكتاب وتأليفه.

وبذلك تلقى دراسة هذا الكتاب أضواء كاشفة على نمط الحياة الثقافية فى اختلاف وجهات نظر أبنائها وأنماط تعاملهم فى ما بينهم.

إن هذا الكتاب ليس إنتاجاً تاريخياً فحسب، وليس هو فقط كتاب خلاف وحوار حادٍ بين المثقفين، وليس هو كتاب أدبٍ يجمع النصوص الأدبية القديمة فقط، كما أنه ليس كتابا خُصّص للاستشهاد بالروايات الحديثة المناسبة، وإنما هو كتاب يجمع من كل هذه الفنون بطرفٍ بالإضافة فنون أخرى يتكامل بها الكتاب.

واعتقادا منى بأن وجود هذا الكتاب بين أيدى الباحثين من أهل الاختصاص فى تاريخ مكة وحضارتها خلال القرن العاشر الهجرى يكون مفيداً ونافعاً، ولعله يفتح آفاقاً للنظر ومجالات لقراءة جديدة فى النصوص التاريخية المفيدة فى تاريخ البلد الأمين.

نسأل الله التوفيق.

جار الله بن فهد مؤلف كتاب

"النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف"

(ترجمة موجزة)

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقى محمد بن فهد المكى الهاشمى العلوى،[1] يكنى بأبى الفضل ويُعرف بمحب الدين. ولد بمكة المكرمة فى شهر رجب سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م من أم مكية تنسب إلى نفس العائلة، فجدها الأعلى هو التقى بن فهد.

نشأ جار الله فى عائلة قديمة من بيوت العلم بمكة تعدد فيها العلماء منذ بداية القرن الثامن الهجرى عرف منهم فيه أبو الخير بن فهد المتوفى سنة٧٣٥هـ/١٣٣٥م[2] وجمال الدين بن فهد المتوفى فى نفس السنة.[3]

وفى القرن التاسع اشتهر منى بنى فهد أبو زرعة بن فهد المتوفى سنة٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م،[4] والحافظ التقى بن فهد الجد الأعلى للمؤلف المتوفى سنة٨٧١هـ/ ١٤٦٦،[5] والحافظ النجم بن فهد جد المؤلف جار الله المتوفى سنة٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م.[6]

وفى القرن العاشر اشتهر من بنى فهد الحافظان العز عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م[7] وهو والد المؤلف، ثم المؤلف ذاته وهو جار الله بن عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م.

وانطفأت شمعة هذه العائلة العلمية فى نهاية القرن العاشر الهجرى، فلم يبلغا عن واحد منها خبرٌ ولا أثرٌ فى كتب التاريخ والتراجم وغيرها، حسبما أكّده عبد الحى الكتانى وقال عن آخر المعروفين منهم وهو عبد الرحمن بن عبد القادر بن فهد: ولعله آخر فقهاء ومسندى بنى فهد. فإنه انقطع ذكرهم من بعده فى الفهارس والإثبات التى وقفتُ عليها.[8]

المؤلف:

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقى محمد بن فهد المكى الهاشمى، يكنى بأبى الفضل وبمحب الدين. ولد بمكة المكرمة فى شهر رجب سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م من أم مكية تُنْسَب إلى نفس العائلة، جدّها الأعلى هو التقى بن فهد، فهى إذن ابنة عم والده. نشأ جار الله فى بيئة علمية فاهتم به والده وأحضره دروس كبار الشيوخ كالحافظ شمس الدين السخاوى، كما أحضر على غيره من العلماء، بالإضافة إلى ما حمله من العلم عن والده. ثم بدأ رحلاته العلمية وهو لم يتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة، فسافر على القاهرة سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م وسافر إلى اليمن سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، ثم قام برحلة علمية كبيرة دخل فيها مصر ثم دمشق وذلك فى سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م. وتوطدت علاقاته فيها بالكثير من العلماء. وقام برحلة أخرى إلى بلاد الروم (تركيا) فى سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، وعاد إليها فى رحلة ثانية سنة ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م. وجمع من كل هذه الرحلات العلمية معارف هامة مع حضوره لدروس العدد الكبير من علماء مكة والواردين عليها أو المقيمين بها مما مكنه من زاد كبير فى العلوم، ومكانة محترمة فى المجتمع – وهو ما تدل عليه مؤلفاته– وظل يكتب ويؤلف إلى أن توفى بمكة فى ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٥٤هـ/ ٢ أغسطس ١٥٤٧.[٩]

مصادر ترجمته:

لجار الله بن فهد ترجمات كثيرة من معاصريه وممن جاء بعدهم:

فمن معاصريه: السخاوى فى الضوء اللامع ٢/ ٥٢، ووالده العز بن فهد الذى ذكره مرات كثيرة فى كتابه بلوغ القرى، وصديقه ابن طولون الشامى الذى تحدث عنه فى كتابه مفاكهة الخلان مرات فى الجزء الثانى من ص ٦ إلى ص ٦٣.

أما من جاء بعد عصر المؤلف فقد ترجمه: العيدروس فى النور السافر ٢/ ١٣١، وابن العماد فى شذرات الذهب ٨/ ٣٠١، ومرداد فى المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٢ – ١٥٣.

أما من المعاصرين فقد ترجمه الزركلى فى الأعلام ٦/ ٢٠٩، وكحالة فى معجم المؤلفين ١٠ / ١٧٥ – ١٧٦، كما كتب عنه د. ناصر الرشيد فى مجلة العرب سنة ١٣٩٧هـ عدد ١١- ١٢، و د. محمد الحبيب الهيلة فى كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥ – ٢١٣.(١٠)

مؤلفات جار الله بن فهد التاريخية:

تنوعت الاختصاصات التاريخية التى ألف فيها جار الله بن فهد فأمكننا أن ننوعها كما يلى:

كتب متعلقة بتاريخ مكة وهى:

- بهجة الزمان، بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان.
- التحفة اللطيفة، فى أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة.
- غاية الأمانى والمسرات، لعلو سلطان الحجاز أبى زهير بركات.
- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.

كتب متعلقة بذكر أماكن ومواقع فى مكة وحولها:

- الاتعاظ، بما ورد فى سوق عكاظ.
- تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة.
- تحفة اللطائف، فى فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف.
- تحفة الناس، بخبر رباط سيدنا العباس.
- حسن القرى، فى أودية أم القرى، ويُسمّى منبع الخير والبركة، فى أودية أم القرى مكة.
- القول المبرور، فى فضائل عرفة.

كتب تاريخية عامة:

- بلوغ الأرب، فى تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب.
- الجواهر الحسان، فى مناقب السلطان سليمان بن عثمان.

منهل الظرافة، بذيل مورد اللطافة، فى من ولى السلطنة والخلافة.

- النكت الظراف، فى الموعظة بذوى العاهات من الأشراف.

كتب متعلقة بالتراجم:

- الأقوال المتبعة، فى بعض ما قيل فى مناقب الأيمة الأربعـــة. - بلـــوغ الأرب، بمعرفة الأنبياء من العرب.
- تاريخ يُفيد فى معرفة المترجمين فى الضوء اللامع.
- تحفة الإيقاظ، بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، لكتاب طبقات الحفاظ للذهبى.
- تحقيق الصفاء، فى تراجم بنى الوفاء.
- تخريج مشيخة عبد الحق السنباطى.
- تخريج مشيخة محب الدين النويرى.
- ثبت جار الله بن فهد.
- رسالة فى كتاب السر فى ديوان مصر.
- فهرسة جار الله بن فهد.
- القول المؤتلف، فى نسبة الخمسة البيوت على الشرف (بيوتات مكة).
- معجم شيوخ جار الله بن فهد.

كتب متعلقة بأسانيد الحديث ورجاله:

- البلدانيات، ويسمّى بالفرائد البهيات، فى فوائد البلدانيات (والبلدانيات هى كتب تجمع الأحاديث المرتبة على الترتيب المحدثين من مختلفة البلدان).
- تحفة الكرام، بمرويات حجاج بيت الله الحرام.

- تحقيق الرجاء، لعلو المقر المحبي ابن آجا.
- مورد الطالب الظمي، لمرويات الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي.

كتب في رحلاته:

- رحلة إلى حلب.
- الرحلة الدمشقية.
- كتب متعلقة بالأدب وتاريخه:
- بلوغ الأرب، في حكم تيجان العرب (وهي العمامة).
- معجم الشعراء الذين سمع منهم الشعر.[١١]

كتاب النكت الظراف

عنوان الكتاب الذي ندرسه:

هو كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

إثبات نسبة الكتاب إلى جار الله بن فهد:

عندما وقع مخطوط الكتاب بين يدي وقبل أن أبدأ في تحقيقه حاولت أن أعثر على ذلك له في مصدر من المصادر التاريخية المكية أو غيرها من الكتب المُعَرِّفة بالمؤلفات ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة وملحقاته لإسماعيل البغدادي وغير ذلك كثير مما أمكنني الإطلاع عليه من الفهارس الجامعة لعناوين المخطوطات والمطبوعات، فلم أجد للكتاب ذكراً في كل ما أمكنني الإطلاع عليه.

إلا أن الكتاب الذي بين يدي وهو كتاب النكت الظراف لا يشك في نسبته لصاحبه وهو جار الله بن فهد بسبب العوامل التالية:

- ورود ذلك في ورقة عنوان المخطوط حسبما كُتب عليها "كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، تأليف الفقير الحقير، المتعرف بالتقصير، الراجي عفو ربه القدير، خادم حديث نبيّه المصطفى البشير، المسمى باسمه الأمجد، محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي، لطف الله به.

- وردت نسبة الكتاب إلى مؤلفه مرات متكررات داخل النص.
- أن فى صفحة العنوان يقول: تأليف الفقير الحقير، ولا يقول مثل هذه العبارات غير صاحب الخط والكتابة.
- أن هذه المخطوطة كُتبتْ بخط المؤلف الذى يتصف بعدم الجمال وبالغموض.
فيثبت عند الباحث أنه من خطه بسبب ما ذكره بنفسه وبسبب المقارنة بينه وبين ما كتبه فى مخطوطات أخرى كثيرة. فقد عرفت من خط جار الله بن فهد كتب وأمثلة كثيرة منها: ما وجد على مخطوطة معجم شيوخ النجم بن فهد جده وهى نسخة محفوظة بمكتبة بنكيبور بالهند رقم ٧٣٧ حيث نقل مجموعة استدعاءات لرواية الحديث. كما أنه يوجد خطه على نسخة من كتابه حسن القرى، فى أودية أم القرى، محفوظة فى مكتبة الأحقاف باليمن رقم ٩٨ مجاميع. مع أمثلة أخرى من خطه.

كل هذه العوامل تجعلنا لا نشك فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه جار الله رغم عدم عثورها على نص يذكر الكتاب وينسبه إليه أو إلى غيره سواء فى عصر المؤلف أو بعده.

المخطوط:

رغم ما بذلناه من جهد فى البحث عن نسخ الكتاب فإننا لم نعثر إلاّ على نسخة واحدة كُتبت بخط المؤلف وحُفظت فى مكتبة ستشتربيتى بإنجلترا ضمن مجموع تحت رقم ٣٨٣٨.

يقع المخطوط فى ٥٩ ورقة، عدد أسطر ما بين ١٨ و ٢٠ سطراً أصيب بنقص ما بين ورقة – ٢٠ ب و ٢١ أ – ونقص آخر فى ما بين ورقة – ٢٠٦ ب و ٢٧ أ – مع بياض فى الورقة ٥٣ ب حيث لم يُكتب فيها سوى سطرين، يبدو أن

المؤلف تركها بيضاء لإكمالها بأحاديث مناسبة وذلك قبل الخاتمة، مع بياض جزئ ومتقطع في الورقة ١٠ أ – ب بسبب ترميمها الردئ.

وقد وضع المؤلف إضافات في حواشي النص وذلك في الورقة ١٨ ب، وفي الورقة ٢٣ ب و ٢٤ أ (وهي إضافات بغير خطه إلى أن نصها يدل على أنها من تأليفه) وإضافات أخرى بعضها من خطه وأغلبها من خط غيره إلا أنها مقطوعة أوائل السطور مما جعلنا لا نقدر على تحقيقها ضمن النص.(١٢)

محتوى الكتاب:

يقول المؤلف متحدثاً عن محتوى كتابه وترتيبه:

ولذلك رتبت مؤلفي هذا على مقدمة وبابين وخاتمة. وجعلت في آخر كل منها تتمة، هي للقصد مهمة.

فالمقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

والباب الأول في ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً.

والباب الثاني في الحادث لهم من المرض كالعمى والعَوَر والصَّلْع والقرح وغير ذلك من المرض.

والخاتمة في الوارد للإنسان من المصاب، وما يحصل له من الأجر والثواب.(١٣)

موضوعه:

هو كتاب جمع فيه المؤلف أخبارَ مَن أصيب بعاهة جسدية واشتهر بها.

أراد منه المؤلف أن يجمع أخبار المشهورين ممن أصيب بعاهة من العاهات سواء من أهل الدين أو أهل السياسة أو أهل العلم، خاصة ممن اشتهروا في ميادينهم ومجالاتهم. وكان قصد المؤلف كما يقول في المقدمة وضمن نصوص الكتاب أن يجعل من ذكرهم موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوى صبره على تحمل بليته. فذكر منهم بعض الأنبياء، وبعض الصحابة، والكثير من أهل السلطة بالغاً

إلى ذكر العديد من العلماء المشهورين سواء ممن تقدم عـصره أو تـأخر فكـان معاصراً له.

وهكذا نجد الكتاب قد احتوى على مجموعة هامة من الأخبـار التاريخيـة تُكمل جوانب من تراجم المذكورين فيه. إلاّ أن المؤلف جار الله بن فهد اشتهر بعلم الحديث كما اشتهر بالمؤلفات التاريخية الكثيرة، لذلك نجده فى كتابه هذا يجمع بين نصوص الاختصاصين، وأنه فى سبيل غايته التربوية كان لابد له من أن يلجأ إلى نصوص الحديث النبوى التى تتناول موضوع الصبر، ومواجهة البلاء، والتغلـب عليه بالإحساس الدينى وبما وعد الله الصابرين، وبما أكّـد رسـول الله (ﷺ) مـن أحاديث أوردها متعددة مما اشتملت عليه كُتب السنن وكتب السيرة النبوية الشريفة.

إلا أن ظهور هذا الكتاب أثار نقداً وضجّة بين بعض علماء مكة المكرمـة فى عصره فانتُقد واُتُّهِمَ صاحبهُ بالغيبة، وبلغ الأمر بالمعارضين إلى أن بلّوا الكتاب بالماء لتذهب معالمه، أرادوا تمزيقه. وفى ظروف غير واضحة وقع إتلاف النسخة الأولى من الكتاب، وقع ذلك فى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م. إلا أن المؤلف أعاد كتابته فى نسخ متعددة فكانت نسخته الأخيرة هى التى بين أيدينا قد صـدرت فـى سـنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م وفيها ذكر بعض ما وقع لهذا التأليف من معارضـة وموافقـة سواء من علماء مكيين أو مصريين أو شاميين.

كل ذلك دلتْ عليه بتفصيل نسخة الكتاب التى بين أيدينا، والتى هى بخـط المؤلف المعروف لدى الباحثين.

وقد اشتمل الكتاب على الكثير من النقول عن المؤرخين القدماء سواء مـن كتب السيرة، أو كتب التراجم، أو كتب التربيـة الدينيـة والموعظـة والإرشـاد، بالإضافة إلى ما أورده من أخبار معاصريه.

وقسّم كتابه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: الأحاديث والأخبار الواردة فى ذوى العاهات، واشتمل الباب الأول: على ذكر ذوى العاهات كالعمى والعور والصلع والعرج، وغير ذلك. أما الخاتمة: فقد أورد فيها النصوص المتعلقة بما يحصل للإنسان من أجر وثواب مقابل مُصابه وعاهته.[١٤] فجاء أسلوب وموضوع الخاتمة يختلفان عن موضوع الكتاب. فقد خصّصها للتذكير والنصيحة مع رواية الأخبار والأشعار التى تخدم الغرض. وقد اعتمد فيها اعتماداً يكاد يكون كليّاً على كتاب الخوارزمى مفيد العلوم ومبيد الهموم فنقل منه أغلب هذه الخاتمة مع تصرّف كبير منه بالزيادة والنقص والتغيير. كما يحدث للمؤلف أحياناً أن ينقل نصوصاً ويورد أخباراً لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هى مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

- ففى الورقة ٣ ب يورد نصاً فيه ذكر خصائص اسم النبى (ﷺ) دون أن يكون له مناسبة بحال.
- وفى الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود العنسى وهى فى غير ملحها لانعدام المناسبة.
- وفى الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البرص دون أن تكون لذلك مناسبة.

سبب تأليف الكتاب والغاية منه:

يذكر لنا المؤلف فى مقدمة كتابه النكت الظراف سبب تأليفه للكتاب فيقول: سببه أننى اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقت نفسى لجمعه خصوصاً ورأيت بعض الحنفية ذكره فى وضعه.[١٥]

وبما أن الكتاب أثار خلافاً بين المؤلف وبعض العناصر المثقفة فى مكة سأتهم بالغيبة وغيرها من سوء القصد فإنه كثيراً ما كان فى كتابه يتنصّل من هذه

التهمة ويجيب عن ذلك بمحاولة إثبات عكس ما اتهم به. فيلتجئ في كثير من الأحيان إلى القسم المؤكد بأنه لم يقصد الإساءة لأحد فيقول مثلاً: والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسلية من ابتلى به والاتعاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر.(١٦)

ويبيّن غايته من تأليفه فيقول: قصدت بتأليفه الموعظة الصحيحة، والتسلية الصريحة، ليتعظ به المتّعظون، ويتسلّى بما فيه الطالبون.(١٧)

تأليف الكتاب ومراحله:

لم يكن تأليف كتاب النكت الظراف تأليفاً عادياً صدر عن مؤلفه وانتشر بين الناس بصفة طبيعية كعادة الغالبية العظمى من المؤلفات. فقد لقي المؤلف بسبب كتابه هذا معارضة ونقاشاً واتهاماً من طرف بعض مثقفي عصره وبلده مكة المكرمة. إذ اعتبروا أن محتوى الكتاب هو غيبةٌ ومسٌ بأعراض أشراف الناس. ثم عملوا على إزالة الكتاب ومحو نسخته بالماء بل وبتمزيقه. وتوالت بعد ذلك الحوارات حوله الاتهامات والأقوال من المناهضين ثم الأجوبة والدفاع من المؤلف وممن وقفوا معه في محنته. فكان في ذلك أخذ وردّ ونقاش واتهام وأجوبة مما يتبين للقارئ أمره في ما يرد ويأتي من هذا البحث. ولذلك مر الكتاب في تأليفه وصدوره ووصوله للقاء بمراحل أبرزها ما يلي:

- أُلِّف الكتاب أولاً فظهر منه الإصدار الأول.
- ظهور مناهضات واتهامات ضدّه.
- وقوع محو الكتاب بالماء وتمزيقه من المعارضين.
- رد المؤلف على آراء الناهضين وذلك بتأليف كتابه الذى عنوانه: **النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفى النكت الظراف.**

- أعاد جار الله بن فهد تأليف كتابه وأخرج النسخة الأولى من الإصدار الثانى سنة ٩٤٨هـ ثم كتب نسخاً أخرى كثيرة منه.
- أخرج النسخة الأخيرة من الإصدار الثانى سنة ٩٥٠هـ.

وهذه المراحل لم نعرفها ولم نعرف تفاصيلها إلاّ من خلال نصوص هذا الكتاب و ما ذكره مؤلفه فيه عن محنته بالمعارضة التى واجهت تأليفه لكتابه هذا.

الإصدار الأول من الكتاب:

على الرغم من أنه ليس بين أيدينا نص يحدّد تاريخ التأليف فإنه يبدو أن جار الله بن فهد ألف كتابه النكت الظراف بعد سنة ٩٤٤ هـ وقبل سنة ٩٤٨هـ. السبب فى ذلك أن المؤلف لم يذكره فى كتابه نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى. إذ لو كان ألّف النكت الظراف قبل إنهاء كتابه نيل المنى لكان ذكره فيه. فإن جار الله التزم أن يذكر كل التفاصيل عن حياته ومؤلفاته ومشاركاته فى الحركة العلمية والثقافية بصفة دقيقة خاصة وأنه تناول فيه الأخبار بترتيب الحوليات مواليا عرضها على ترتيب الشهور والأيام. والمطالع لكتاب نيل المنى يدرك مدى التزامه بذلك. هذا ما يجعلنى اعتقد أن كتاب النكت الظراف لم يؤلف إلا بعد إنهاء نيل المنى أى بعد سنة ٩٤٤هـ. أما التاريخ الثانى وهو سنة ٩٤٨هـ الذى قلت إن الكتاب ألف قبله فإنه عُرف بما ذكره المؤلف فى نهاية النسخة التى بين أيدينا عند حديثه عن الإصدار الثانى للكتاب الذى عيّن تاريخه بشهر شعبان سنة ٩٤٨هـ.

ردود فعل المؤلف عند ظهور الإنكار والمعارضات والاتهامات

من خلال ما بين أيدينا من نصوص الكتاب لاحظُ أن ردود فعل المؤلف على المنكرين تنوعت وتعددت. فهو تارة يصفهم بسوء القصد والغرض والحسد والجهل، كما يعرض اتهاماتهم له فيفندها بأقواله وحججه ثم يلتجئ إلى الدعاء

عليهم أو إلى القسم بالأيمان المغلظة أنه لم يقصد الإساءة للناس قديمهم وحديثهم وأنه ليس في تأليفه قصد الغيبة وأنه يسلي نفسه وأهل العاهات بأخبار المصابين قبلهم وأنه يذكرهم ويذكر نفسه بما يجب عليهم من الصبر والتحمل بواسطة إيراد الأحاديث والقصص والأشعار. ويبلغ الأمر بالمؤلف إلى أن يضع كتاباً يردّ به عليهم وجعل عنوانه "النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف" بيّن فيه حدود الغيبة وتعريفها قال عن ذلك: وقد لخصتها بطريق الإنصاف، في مؤلفي النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف، فليراجعها طالبها في أصلها، مع ذكر الموعظة فيها وما يحرم من فعلها، وذكر النبي (ﷺ) وأصحابه – رضي الله عنهم– لبعضها.[١٨] وصرح أيضاً بأنه ألفه سنة [٩٤٩هـ/ ١٥٤٢].[١٩]

ويبدو أن المؤلف لم يكتف بالجواب بهذا الكتاب بل عاد إلى مؤلفه النكت الظراف فألفه من جديد وكتب الإصدار الثاني له الذي يحتوي على إضافات هامة على ما كان كتب في الإصدار الأول و ذكر ذلك فقال: وقد زدت فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله.وكتب النسخة الأولى منه في شهر شعبان سنة ٩٤٨ هـ بمكة المشرفة.[٢٠]

وتأتي المرحلة الأخيرة وذلك بكتابته للنسخة الأخيرة من الإصدار الثاني في سنة ٩٥٠هـ في أحد أودية مكة المعروف بوادي البرابر وهو ما يوضحه النص الذي ختم به المؤلف النسخة المخطوطة الوحيدة التي سبق لي تحقيقها وهي التي اعتمدتها في هذه الدراسة. فإن المؤلف يقول في ذلك: وكتبت أصل هذه النسخة بعد غسل الأولى من المنغصين، الحسد في الدين، في العشر الأخير من شهر تأليفه وهو شعبان عام ثمان وأربعين وتسعمائة [٩٤٨هـ/ نوفمبر – ديسمبر ١٥٤١م] بمكة المشرفة. ثم كتابة هذه النسخة بعد نسخ متعددة وذلك في سلخ جماد الأول عام

خمسين وتسعمائة [٩٥٠هـ/ ٣١ أغسطس ١٥٤٣م] بوادى البرابر، أحد أودية وادى مرّ من أعمال مكة المشرفة. شرفها الله تعالى.(٢١)

المؤلف يصف المنكرين ويذكر اعتراضاتهم:

تعددت النصوص التى وردت فى الكتاب فوصف فيها المؤلف مناهضيه ومنتقديه والمنكرين لتأليف الكتاب مع ذكر اعتراضاتهم عليه. وأرى من الأجدر عرضها بنصوصها لتتضح للقارئ ظروف هذه القضية فقال:

- فلا يظن بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوى العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقيعة من أكابر الناس.(٢٢)

وأما ما ارتكبه المنكرون علىّ من البهتان، والإفك والعدوان، وقصدوا به الأذى والنقيضة، فليس لهم من عقاب الله محيصة، فإنهم استباحوا منى ومن أقاربى الأعراض، ونسبوا إلى جملة من النقيصة والأمراض، التى عافانا الله منها وبرأنا من قائلها وصارت لنا حسنات ولهم سيئات يُطالبون بها يوم الحساب، كما ورد فى الحديث الشريف بالقول الصواب.(٢٣)

- واتفق لى بعد الإنكار علىّ من بعض من ذكرته فى الصلعان، وهم فى الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفجار العصر، أننى تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر، خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر فى النكير.(٢٤)
- فحينئذ دلنى ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون فى أمورهم عليه.(٢٥)

وعامة. فروى المؤلف أنهم بلوا الكتاب بالماء لمحو كتابته والتعمية على قُرائه، كما ذكر أنهم مزّقوه. ولكنه فى نفس الوقت لم يوضح كيف وصلوا إلى النسخة ولا كيف حاولوا إتلافها بالمسح والتمزيق، وفى أى ظرف مكانى أو زمانى وقع ذلك؟ فقال تارة: وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر فى النكير، وما سكن

عنهم الزفير، وأطفئ السعير، إلا ببل نسخة من هذا التأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء.(٢٦)

وأشار إلى ذلك فى نهاية الكتاب بقوله: رغماً للمعاند المطالــب بتمزيقــه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوى العقول السّخاف.(٢٧)

وعلى الرغم من كثرة وتعدّد شكوى المؤلف جار الله بن فهد من معارضيه والمنكرين عليه تأليفه كتابه النكت الظراف، وعلى الرغم من وصفه لهم بالأوصاف الأخلاقية والعلمية الذميمة، فإنه يذكرهم دائماً بصيغة الجمع ولم يذكرنا لنـــا اســـم واحد منهم ولا حتى نسبته أو ما يدلّ عليه. فالذين سمّاهم بالمنكرين والمعارضين لا يزالون مجهولين عند قارئ الكتاب ولم نعرف من أسمائهم غير إشارة من المؤلف لأحد كبار فقهاء ومحدثى مكة الشيخ ابن حجر الهيتمى المكى(٢٨) وهى إشارة منه جاءت فى نص لا يخلو من بعض غموض.

فإن المؤلف ضمن الباب الثانى من كتابه ذكر ثمانية من الحول فى تـــاريخ الإسلام وهم: عامر بن عبد الواحد الأحول، وعاصم الأحول، وأبان بن عثمان بن عفّان، وزياد بن أبيه، وأبو بردة الأشعرى، والخليفة هشام بن عبد الملك وسلمة بن دينار المدنى ثم أضاف إليهم ابن حجر المكى فى نص قال فيه:

وهؤلاء سبعة(٢٩) من الفحول لهم فى زماننا ثامن من الحول، وهـــو أحـــد المدرسين، بحرم الله الأمين، شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الهيتمى القـــاهرى الملقب بابن حجر، مشبها لمن مضى فى الأثر، وفرق بني الـــرجلين فـــى الحفـــظ والقضاء وصحة العين، وكنت أولاً ما ذكرته فى ذوى العاهـــات، حتـــى بـــارزنى بكتابته على الفتوى والخصومات، التى أراد بها الظهور، وهو قـــصام الظهـــور، فذكرته ليعلم خصوصيتهم. ورحم الله صاحب الحكم، حيث قال فى أحوال الأمـــم: الخمول نعمة وكل يأباه، والظهور نقمة وكل يتمنـــاه، ولله در بعـــضهم [٥٠- ب] حيث قال فى المعنى:

لـــذَّ خمـــولى وحَـــلاَ مُـــرُه ** إذ ضاننى عن كل مخلوق

نفـــسى معـــشوقى ولـــى عبـــرة ** تمنعنى عن بذل معشوقى

فالذى يفهم من هذا النص أنّ العلاقة بين الرجلين لم تكـــن علـــى أحـــسن الأحوال. فإنه يذكر أن تسميته بابن حجر لا تجعله مثل ابن حجر العسقلانى حيـــث يتحدث عنه فيقول: أحد المدرّسين بحرم الله الأمين، وذكر اسمه فجعله قاهريا وليس مكياً. وأما المشابهة بين ابنْى حجر العسقلانى والهيتمى فإنه أبـــرز الفـــارق بـــين لارجلين فى الحفظ والقضاء وأن الهيتمى أحول والعسقلانى صحيح العين ليس بـــه حول.

أما العنصر الثانى من الفقرة السابقة فإنه يشير إلى أن ابن حجر الهيتمـــى بارز جار الله بن فهد بكتابته على الفتوى والخصومات ولم يوضح هل هى فتـــوى متعلقة بالكتاب؟ وهل الخصومات معلقة بالكتاب أو بأمرٍ آخر؟

ويأتى بعد ذلك العنصر الثالث الذى يوجه فيه جار الله التهمة إلى ابن حجر بأنه يريد بموقفه الظهور والبروز مقدماً له الدرس والنصيحة بعدم الميل للظهـــور الذى هو قاصم للظهور.

الطرق التى سلكها المؤلف فى الرد على المنكرين:

إنّ ما أثير حول الكتاب من المعارضة والنكير جعل المؤلـــف يلجـــأ إلـــى أساليب متنوعة من الردّ والتبّرؤ مما ألحق به من التهم.

فهو تارة يصرح ويكرر القول بأنه لم يقصد بعمله هذا الغيبة ولا ذكر عيوب الناس وتتبعها للإساءة والتنقيص منهم، وإنما كان قصده تسليتهم على ما أصـــابهم بتذكيرهم ووعظهم بما أصاب غيرهم من أكابر القوم فى الدين والعلم والاشـــتهار. مؤكداً أنه لم يقصد النقيصة بهم. فبيّن أولاً أحكام الغيبة ناقلاً عن أحد كبار شـــيوخ معاصريه فقال: ثم قصدت بعده لبيان جواز الغيبة فى الأحوال ستة خصال قالهـــا

الفقهاء والعلماء النبهاء، ونقلتها من خط شيخ الإسلام، مفتى الأنام كمال الدين محمد بن أبى شريف القدسى الشافعى[٣٠] - رحمه الله تعالى - وصورتها: ومن نظم كاتبه بيتان نظم فيهما المواضع الستة التى لا يكون القدح فيها غيبة كما ذكره الإمام النووى فى الأذكار، وفى أوائل النكاح من الروضة، وهى : التظلم لمن له قدرة على الإنصاف كظلمنى فلان بكذا، والاستعانة على تغيير المنكر كفلان مرتكب كذا، والاستفتاء كما طريقى فى الخلاص من فلان فقد فعل كذا؟، وتحذير المسلمين كنصح المستشار فى خاطب أو شريك أو برأى معيب ونحو ذلك، وذكر المجاهر بالفسق بما تجاهر به من فسقه، وتعريف مشهور بلقب كالأعمش سليمان بن مهران، والأعرج عبد الرحمن بن هرمز. والبيتان هما:

القدح ليس بغيبة فى ستّة ** متظلّم ومعرّف ومحذّر

ومجاهر بالفسق ثُمّت سائل ** ومَن استعان على إزالة منكَر

فعلم من هذه الخصال الستة بأن ذكرى لذوى العاهات المذكورين ليس بغيبة، لأنى لم أقصد لهم النقيصة، وإنما أردت تعريفهم والتسلى بهم والموعظة الخصيصة. كيف وقد ذكرت نفسى فى الصلع وجدى لأمى فى العرج وجماعة من مشائخى الأجلاء فى العمى وغيرهم من العلماء والصحابة الأتقياء الذين هم كالنجوم، وكل من اقتدى بهم اهتدى للعلوم، رضى الله عنهم ونفعنا بهم.[٣١]

وينفى جار الله عن نفسه ما ألحقه به المنكرون من تهم الغيبة والإساءة للناس فيذكر سبب التأليف والغاية منه قائلاً: سببه[٣٢] أننى اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوقت نفسى لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره فى وضعه. فلا يظن بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوى العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقيعة من أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليف الإيقاظ، وتسلية من ابتلى به والاتعاظ،

لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، فى الزمن الغابر. واقتديت فى فعل ذلــك بمــن سبقنى من العلماء لهذا الطريق السالك.(٣٣)

المناصرون للكتاب وللمؤلف:

تكرر من المؤلف عند ذكره المنكرين وأوصافهم الذميمة أن يذكر أولئــك الذيم لم يكونوا من المنكرين واعتبرهم من ذوى الإنصاف وأنهــم مــن العلمــاء الظراف الذين ينظرون إلى الكتاب بعين اللطف والإسعاف.(٣٤) وفى هذا وفى غيره من النصوص ما يدل على أنه لم يكن كل المجتمع المكى المثقف ضد ظهور الكتاب وانتشاره.

ويبدو أن بعض الناصرين للمؤلف مقتنعون بأن الأعداء المنكــرين أرادوا اتهامه ظلماً وعدواناً ووقف بعض المناصرين بجانب جار الله فوضع أحدهم شعراً يتضمن حدياث نبوياً يناسب الوضعز فقد ذكر المؤلف ما نصه:

وقد نظم بعض الأحباب، والأدباء الأنجاب، قوله (ﷺ) "من قفّى أخاه بــشئ يسيئه يُريدَ سبته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال" وهو:

من كان قفّى بشئ مسلماً عبثــاً ** به يريد لــه التنقــيص فــى البــشر

يوم المعاد على جسر السعير له ** حبس وناهيك ذاك الخوف من كــدر

حتّاه يخرج مما قــال فيــه ولا ** خروج بالإفك والبهتان من صَــقَر(٣٥)

وبعد أن وقع محو الكتاب بعشرين يوم نزل سيل إلى الحرم المكى فاعتبره المؤلف وجماعته إرهاصاً يدل على الظل الذى سُلط عليهم – حسب تــصورهم – فروى المؤلف القصة قائلاً:

واتفق لى بعد الإنكار علىّ من بعض من ذكرته فى الصلعان، وهــم فــى الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفجار العصر، أننى تركتهم إهمالاً لهم لكونهم لــيس بهم فخر، خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر فى النكير، وما سكن عنهم الزفير، وأطفى السعير، إلا ببل نسخة من هذا التأليف بالمــاء، وعنــد الله يجتمــع

الخماء. وكان مما قدره الله تعالى من الإيقاظ، الذى يحصل به الاتعـــاظ، أنَّ بعـــد عشرين يوماً من بَلّ المؤلَّف المذكور، حصل لمكة سيل عظيم مشهور، دخل إلـــى الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، وبل فيه المصاحف والربعات العظام، فقال فى ذلك بعض الأدباء الحسن المسالك، منبهاً للموعظة هنالك، بأبيات مطولة ومختـــصرة، فأذكر منها هنا الأخيرة وهى:

مَحَـــا مـــؤلٌ جـــار الله أفئـــدة ** فى شهر شعبان يوم الخمس منه فقط

فجاءها السيل فى خمس ويعقبها ** عشرون من عام محط والبناء ســـقط

فهذه نُـــصرة عمّـــت وتـــذكرة ** فيها اعتبار لمـــن ودى بهـــا ولغـــط

فحينئذ دلنى ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعـــدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون فى أمورهم عليه.[٣٦]

ومن وسائل الرد على المنكرين ع مد المؤلف إلى الاســـتجاد والانتـــصار بالعلماء من خارج مكة، فتوجه إلى أربعة من علماء القاهرة ينسب كل واحد مـــنهم إلى مذهب من المذاهب السنية الأربعة. كما توجه أيضاً إلى صديق له من علمـــاء الشام، دمشقى اشتهر بعلوم التاريخ والأدب والحديث وألف فيها المؤلفات العديـــدة. فطلب منهم جار الله آراءهم فى تأليفه ليكون له فى أجوبتهم نـــصرة لكتابـــه ورداً رادعاً للمنكرين والمعارضين المكيين. ذكر ذلك فى نص واضح فقال:

ثم إنى كتبت سؤالاً لعلماء القاهرة، أطلب منهم النصرة ودفع المقاهرة، فى عام تسع وأربعين وتسعمائة [٩٤٩هـــ/ ١٥٤٢م] لمن أنكر على فعل هذا التـــأليف. فكتب لى عليه جماعة من علماء المذاهب الأربعة بجواب لطيف. وصورة ذلـــك، ليقتدى به كل مهتد سالك: ما قولكم – رضى الله عنكم– فى رجل من طلبة العلـــم اطلع على كتاب يقال له مفيد العلوم، لعالم الحنفية أبى بكـــر محمـــد بـــن موســـى الخوارزمى المعلوم، ورأى فيه أبواباً فى ذكر علل الأشراف، ذكر فيها جماعة من أكابر سلف الأمة وخلفها ممن اتصف بذلك كالأعرج والأقرع والأعمى وأشـــباهها.

فلما رآه ألف كتاباً مفرداً فى هذا المعنى معللا إقدامه على ذلك بما علل به صاحب الكتاب المذكور من قصد العظة والاعتبار والتسلية. فهل القصد المذكور يبيح الإقدام على ذلك أم لا؟ أفتونا مأجورين أثابكم الله تعالى الجنة.

وكتب عليه أربعة أنفس منهم ونقلت من خطهم ما صورته فالأول: الحمد لله رب العالمين، اللهم صلى على محمد وآله وسلم. الإقدام على ذلك بالقصد المذكور ليس قبيحاً، وقد سبق إلى هذا ابن قتيبة وذكر أهل العاهات كالبُرْص والعُرْج والصُمّ والجُذْع والحُول والزُرق والفُقْم والكواسج والصلع والبخر والعور والمكافيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه مسلم المدعو أبو الفيض بن على السلمى الحنفى، عفا الله عنه.

وكتابة الثانى: بعد الحمد لله، اللهم ألهمنى الصواب، جوابى كذلك والله أعلم بالصواب. كتبه أحمد بن النجار الحنبلى حامد الله ومصلياً ومسلماً.

وكتابة الثالث: الحمد لله رب العالمين، جوابى كذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وكتبه الفقير ناصر اللقانى المالكى حامداً مصلياً ومسلماً.

وكتابة الرابع: الحمد لله جوابى كذلك والله أعلم، وكتبه أحمد البلقينى الشافعى لطف الله به والمسلمين آمين. انتهى ما كتبه علماء القاهرة من المذاهب الأربعة ولله الحمة والمنة.

ثم وصلنى فى عام تاريخه رسالة من الشام، كتبها لى العلامة الهمام، محدث دمشق ومؤرخها ومحيى علم الأثر فيها الشمسى أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحى الحنفى – نفع الله به – وعاملنى وإياه بلطفه الخفى، ذكر فيه: وأما ما ذكرتموه من أمر مؤلفكم النكت الظراف فقد قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلى فى كتابه الآداب الشرعية: ذكر القفطى عن قوم أن الغيبة إنما تكون فى الدين لا فى الخلقة والحسب إلا إذا قال ذلك على وجه الغيب. وعلى ذلك

مشى الإمام أبو محمد بن قتيبة فى كتابه المعارف فإنه ذكر فيه الفلـج، والعـرج والبرص ونحو ذلك.

ولا شك أن المصنفين ألفوا فى هذا المعنى كالصلاح الصفدى فـى كتابـه الشعور، بأخبار العور ونكت الهميان، فى نكت العميان وأنهم لم يقـصدوا لعيـب وإنما قصدوا العلم والإحاطة لمن اتفق له ذلك من الأعيان، وإفادتـه لمـن بعـده الاعتبار والاتعاظ، ما نقله العلماء الأيقاظ. انتهى.

وقد وصل مشرفكم وأنا أكتب فى تعليقى "تعجيل البشارة لمن صبر، علـى ذهاب البصر" فكان مانعاً لى من ذكر أحد من الأحياء فيه وهو فى عشر كراريس. انتهى بحروفه ولله الحمد.[٣٧]

مصادر الكتاب:

يمكن أن نقسم مصادر جار الله فى الكتاب إلى نوعين:

أ- مشاهداته: ومنها استقى الأخبار التى أوردها نتيجة لمشاهداته ومعايشته الحدث.

ب- نقوله من الكتب وهى الأخبار التى أوردها من المصادر المكتوبة (المؤلفـات) ونقل منها عناصر تهم الموضوع.

أ- أما الأخبار التى أوردها لمؤلف نتيجة لمشاهداته ومعايشته للأحداث فقد أضافت معلومات تفيد من الناحية التاريخية التى تهم عصره. ويمكن أن ننـوع أخبـار عصره إلى ميادين تتنوع كما يلى:

* أخبار متعلقة بالخلاف الذى قام بين المؤلف وبين المنكرين عليـه تأليفـه ممـا ذكرناه سابقاً. وقد وردت فى الورقات ٢ ب، ٩ ب، ١٢ ب، ١٤ ب ، ١٥ أ، ٣٨ أ، ٥٨ ب ، ٥٩ أ.
* أخبار ذكر فيها علماء معاصرين له من مكيين وغير مكيين أصـيبوا بعاهـات جسدية. وهؤلاء المذكورون فى نص الكتاب هم: ومعاصروه المذكورون هـم:

على السنهورى ومحمد الداودى المالكى ومحمد الدواخلى والمستمسك ابن المتوكل العباسى والتقى الفاسى وكمال الدين القسطلانى والشمس البساطى وعبد القادر بن أبى القاسم المكى وأبو السعادات الطبرى ومحمد بن عبد القوى البجائى وزكريا الأنصارى وعبد الحق السناطى وأبو بكر بن قاضى عجلون وقطب الدين محمد بن سلطان ومحب الدين النويرى ومحمد بن على بن الصائغ وأبو بكر الحبشى الملقب بالعيدروس وعبد القادر البهنساوى وعبد الوهاب الكرمانى ومحمد النهراوالى وابنه قطب الدين النهروالى المؤرخ ومحمد بن مخراق البصرى وأحمد الرداد اليمنى وعلاء الدين بن مليك الحموى وعبد اللطيف الديربى، ابن حجر المكى الهيتمى. وردت أخبارهم فى الورقات ٢٣ ب، ٢٤ ب، ٢٦ أ، ٤٤ ب ، ٥٠ أ، ٥٠ ب، ٥١ أ، ٥١ ب.

* خبر عن حوار وقع بينه وبين أحد معاصريه وهو أيوب الأزهرى المكى فى الورقة ٨ أ.
* خبر منقول مباشرة عن بعض أهل الأدب يذكر قصة لها علاقة بالدعوة إلى الصبر وذلك فى الورقة ٨ ب.
* أخبار ونصوص تنقل أشعاراً قالها بعض معاصريه وردت فى الورقات ١٥ أ و ب، و ٢٤ أن ٢٦ ب.
* خبر عن سيل حدث بمكة فى سنة ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م.وذلك فى الورقة ١٥ ب.

ب- وأما الأخبار المنقولة من الكتب فهى كثيرة. وبما أن مصادر أى تأليف يجب أن تتناسب مع موضوع الكتاب، كما يجب أن تكون متناسبة مع اختصاص المؤلف فى ثقافته ومع مستوى معرفته وثقافته كثرة واتساعاً أو ضيقاً ومحدودية.

فالناظر في عنوان الكتاب يلاحظ أنه وضع لغاية تاريخيــة فــي الدرجــة الأولى ثم غاية تربوية، حيث قصد به تسلية المصابين بالعاهات الجسدية حتى يقوى تحملهم لمصابهم بالاعتماد على النوعية الدينيــة وبواســطة النــصوص الحديثــة وقصص المصابين من الأنبياء والصالحين والمشاهير من النــاس، مــع التــذكير بثواب الصابرين.

إن العارف بشخصية المؤلف واختصاصه العلمي يلاحظ أن جار الله بن فهد كــان محدثاً بلغ درجة الحفظ في الحديث وهو ما اشتهر به في عصره، ثم هــو مــؤرخ بارع في مجال سرد الحوادث تدل على ذلك مؤلفاته التي مست أغلب فنون الكتابة التاريخية المتداولة في عصره. وهو ما حاولنا توضيحه في الترجمة الموجزة التي قدمناها سابقاً.

ومن خلال موضوع الكتاب واختصاصات المؤلف العلمية نستطيع أن نقرأ قائمــة الكتب التي اعتمدها المؤلف في كتابه واتخــذها مــصادره فيــه. وهــي حــسب الاختصاصات كما يلي: [٣٨]

كتب التفسير:

تفسير الرازي ١٧ ب.

تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري ١٦ أ.

كتاب نفائس العرائش للثعالبي ٧ ب، ١٨ أ.

كتب الحديث:

صحيح البخاري ٧ أ، ٤٢ب.

الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد الكرماني ٢٢ أ.

كتب السنن لابن ماجة والنسائي ١٦ أ.

التهذيب للنووي ٦ ب.

المقاصد الحسنة للسخاوي ٤ أ، ٦ ب.

النهاية فى غريب الحديث والأثر للمبارك ابن الأثير ٤١ ب.

المعجزات، لسيد السادات، لعمر بن الوردى ٣٠ ب.

النجم الثاقب، فى أشرف المناقب، لحسن بن حبيب الحلبى ٢٨ أ.

سيرة ابن إسحاق ٦ ب، ١٨ ب.

كتب الآداب والأخلاق الدينية:

أدب الدنيا والدين للماوردى ٨ أ.

الرعاية لحقوق الله للمحاسبى ٩ أ، ١٢ – ب.

كتاب مفيد العلوم، ومبيد الهموم، للخوارزمى ٢ ب، ١٦ أ – ب، ٢٥ ب، ٤٠ ب، ٤٩ ب، ٥٤ أ – ٥٨ ب.

كتاب المواهب اللدنية للقسطلانى ٣ ب، ١٧ ب، ١٩ ب، ٢١ أ، ٢٧ ب، ٣٨ ب، ٤٣ب، ٥٢ أ، ٥٣ أ.

درر أنباء، نجباء الأبناء، لابن ظفر المكى ٤٤ ب.

كتب اللغة والأدب:

صحاح اللغة لأبنى نصر الجوهرى ٤١أ.

شعر أبى العتاهية ١٦ أ.

شرح لامية العجم للصلاح الصفدى ٥١ أ.

كتب التاريخ والتراجم:

تاريخ المدينة للسخاوى ٥٠ أ.

تاريخ الخلفاء للسيوطى ٤٠ أ.

الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ، للسخاوى ٢ ب.

الدر الكمين للنجم بن فهد ٢٤ أ.

الضوء اللامع للسخاوى ٢٣ ب، ٢٥ أ.

طبقات النحاة للسيوطى ٢٣ أ، ٤٠ب.

أسد الغابة، فى معرفة الصحابة، للعز ابن الأير ٢١ أ، ٤٠ ب.

تذكرة الحفاظ للذهبى ٢٢ ب.

طبقات القراء للذهبى ٢٢ب.

نهاية التقريب للتقى بن فهد ٢٢ب.

اللباب فى الأنساب، للعز ابن الأثير ٣ أ.

المختار، فى مناقب الأخيار، للمبارك ابن الأثير ٤٦ ب، ٤٩ ب.

عمدة الناس ، فى مناقب العباس، للسخاوى ١٩ ب.

تحفة اللطائف، فى فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف، لجار الله بن فهد ١٩ ب.

مناقب الشافعى للبيهقى ٤ ب.

لقد حاول المؤلف فى مقدمة الكتاب أن يبيّن منهجه فى التعامل مع المصادر. فبعد أن عرض عناوين بعض مصادره التزم بأن يذكر مصادره ويعزو منقولاته منها فقال: وأعزو كلاً منها لقائلها كأسماء الرواة...،[٣٩] وعلى الرغم من أنه كان – فى الغالب – دقيقاً فى نقله من مصادره فقد حدثت له بعض التجاوزات فى منهج اعتماد المصادر واستعمالها فى نصه.

فنراه أحياناً يحيل إلى أسماء المؤلفين وينقل عنهم نصوصاً دون ذكر عنوان التأليف، مثل نقله عن معاصره ابن أبى شريف دون تحديد مصدره،[٤٠] كما ينقل عن شيخ شيوخه ابن حجر العسقلانى دون ذكر كتابه.[٤١] وأحياناً يلجأ إلى العموميات التى لا تحديد فيها، مثل أن يقول:

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم[٤٢] أو يقول: قال الفقهاء والعلماء النبلاء[٤٣] أو قال بعض الأدباء.[٤٤]

ومن خلال مطالعات المؤلف عثر على عناوين كُتب تتعلق بموضوع تأليفه فعرفها وعرف أصحابها وعرّف بالمصادر التى ذكرتها، إلاّ أنه لم يتمكن من

الاطلاع عليها. وقد بيّن ذلك في مقدمة الكتاب قائلاً: وأما العور والعمش والعميان والحدبان فللعلامة الصلاح الصفدي فيها تصانيف،إلى غيرها من التـآليف. وقـد بلغني من أسمائها نكت الهميان، على نكت العميان، والشعور، بالعور. وللعلامـة النحوي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب العرجان والبرصان والقرعان.(٤٥) كما ذكره شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة الأعيان، ولم اطلع عليها لكني رأيت الصلاح الصفدي ذكر نبذة منها في شرحه على لامية العجم، كما سيأتي وتعلم، مع غيرها.(٤٦)

أسلوب المؤلف مع بعض المآخذ على المنهج:

ملاحظة أولى يمكن أن نلاحظها في أسلوب الكتاب وهي أن المؤلف سـلك مسلك السجع في كامل كتابه وحرص على أن يكون سجعاً متكلفاً، فيه الكثير مـن الثقل وعدم التلقائية، ومن الغريب أن المؤلف لم يسر على هذا النمط في مؤلفاتـه الأخرى.(٤٧) كما أن ذلك لم يحدث في مؤلفات والده العز ولا مؤلفات جدّيْه نجـم الدين وتقي الدين. فقد التزم في تأليفه هذا السجع من أوله إلى آخره.

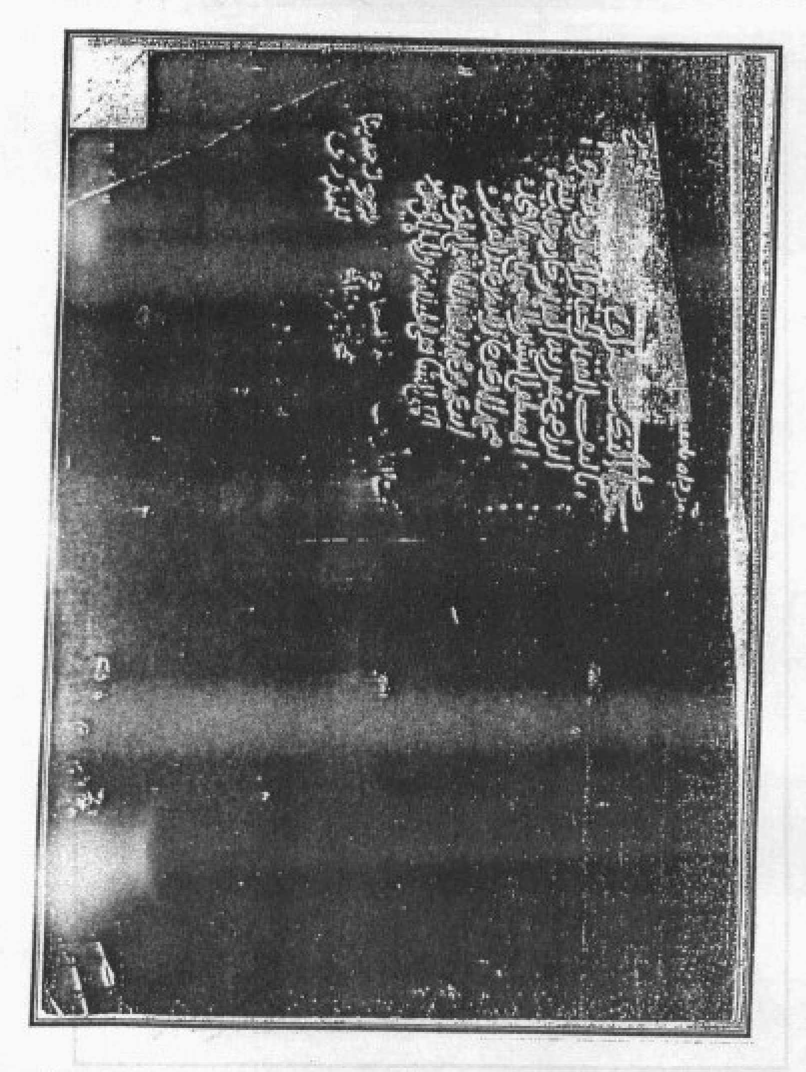
ثم بالإضافة إلى ما كنت ذكرته أعلاه عن منهجه في التعامل مع المصادر والنقل منها واختيارها يمكن أن أضيف أنه قد يحدث له أحياناً أن ينقـل نـصوصاً ويورد أخباراً لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هي مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

- ففي الورقة ٣ ب يورد نصاً فيه ذكر خصائص اسم النبي (ﷺ) دون أن يكون له مناسبة بحال.
- وفي الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود العنسي وهي في غيـر محلّهـا لانعـدام المناسبة أيضاً.

- وفى الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البُرْص دون أن تكون لذلك مناسبة واضحة.

الخاتمة:

على الرغم من أنّ موضوع الكتاب محدود الأهمية فى ظاهره فإن نصه يقدّم لنا معلومات كثيرة عن شخصية جار الله بن فهد مما يُكمل بعض عناصر ترجمته الشحيحة. وهو يوضّح جوانب من علاقات العلماء المكيين فى ما بينهم وعلاقاتهم بعلماء مصر والشام، وبالأحرى العلاقات الثقافية التى تقوم داخل المجتمع المكى وبين مكة والعواصم الحضارية الأخرى فى بلاد الإسلام.





الحواشي:

(١) هكذا ورد اسمه بخطه في أول وفي أخر مخطوطة كتاب النكت الظراف.

(٢) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٢٩٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٧٩.

(٤) نفس المصدر ٢: ٣٤٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٩: ٢٨١- ٢٨٣.

(٦) نفس المصدر ١٠ : ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٧) مقدمة كتاب بلوغ القرى دراسة وتحقيق الباحثين: صلاح الدين بن خليل وعبد الرحمن أبو الخيور وعليان المحلبدي.

(٨) الكتاني: فهرس الفهارس والإثبات ٧٣٤.

(٩) محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص١٩٥ - ٢١٣.

(١٠) كنتُ عرّفتُ جار الله بن فهد بكل إيجاز وعرضت أهم مصادر ترجمته في مقدمة تحقيقي لكتاب النكت الظراف فاكتفيت بنقلها هنا لإيجازها وإيفائها بالغرض.

(١١) للمزيد من معرفة مؤلفات جار الله بن فهد انظر كتاب محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ١٩٥ - ٢١٣.

(١٢) اكتفيت في وصف امخطوطة الكتاب هنا بما كنتُ أوردته في مقدمة تحقيقي له، فإن ذلك يوفي بالغرض.

(١٣) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣أ.

(١٤) مقدمة تحقيق النكت الظراف ص٥.

(١٥) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ أ.

(١٦) نفس المصدر ٢ أ.

(١٧) نفس المصدر ٥٩ أ.

(١٨) نفس المصدر ١٠ أ – ب.

(١٩) نفس المصدر ١٣ ب.

(٢٠) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٢١) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٢٢) نفس المصدر ٢ أ.
(٢٣) نفس المصدر ١٤ ب- ١٥ أ.
(٢٤) نفس المصدر ١٥ أ.
(٢٥) نفس المصدر ١٥ب.
(٢٦) نفس المصدر ١٥ ب.
(٢٧) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٢٨) ابن حجر الهيتمى مصرى دخل مكة للدراسة مرات منذ سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. ثم استقر بها بداية من سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م وأقام بها وانتسب إليها إلى وفاته سنة ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م. وقد قدمت رسالة دكتوراه إلى جامعة أم القرى سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م بعنوان: ابن حجر الهيتمى المكى وجهوده فى الكتابة التاريخية. ثم طبعت القاهرة، نشر مكتبة ومطبعة الغد . (الباحثة).
(٢٩) يذكر المؤلف فى كتابه أن عدد الحُوِل الذين ذكرهم قبلُ سبعة فى حين أنّ عددهم ثمانية لا سبعة.
(٣٠) ابن أبى شريف توفى (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) كانت له علاقات علمية كبيرة بمكة، وأقام فيها كثيراً. انظر ترجمته فى كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص ١٦٧.
(٣١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ١٢ ب – ١٣ أ.
(٣٢) فى حاشية الورقة ٢ أ من الجهة اليسرى هامش بخط المؤلف نصه: قصدت ببعض الأعـ خطيب المسجد الحرام الإمام... أبى اليمن الطبرى وأحد فضلاء الزمان المحبى محمد شيـ أبو.....المكى الشافعيان أدام الله النفع بهما فى كل زمان.
(٣٣) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ أ – ٣ ب.
(٣٤) نفس المصدر ٥٩ أ.
(٣٥) نفس المصدر ١٥ أ.
(٣٦) نفس المصدر ١٥ أ- ب . وهذا من خرافات ذلك العصر.
(٣٧) نفس المصدر ١٣ ب – ١٤ ب.
(٣٨) نحيل بعد ذكر المصدر إلى الورقة أو الورقات التى نقل فيها المؤلف عن مصدره ذا

(٣٩) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣ أ.

(٤٠) نفس المصدر ١٢ ب.

(٤١) نفس المصدر ٤ ب.

(٤٢) نفس المصدر ٧ أ.

(٤٣) نفس المصدر ١٢ ب.

(٤٤) نفس المصدر ١٥ ب.

(٤٥) نقل المؤلف عن السخاوى بتصرف واختصار. انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التـــاريخ، ص ٨٤ – ٨٩.

(٤٦) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ ب– ٣أ.

(٤٧) انظر مثلاً أسلوبه فى كتابه نيل المنى.

المصادر والمراجع

●خليفة، حاجى مصطفى بن عبد الله :

▪ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، نشر: محمد شرف الدين، ط: اسطنبول، ١٩٤١ - ١٩٤٣م، مجلدان.

●الذهبى، شمس الدين محمد:

▪ تذكرة الحفّاظ، طبع دار إحياء التراث، د.ت.

●الرشيد، د/ ناصر:

▪ المؤرخون من بنى فهد، بحث نشر فى مجلة العـرب العـدد ١١ و ١٢، سنة ١٣٩٧هـ.

●روزنثال، فرانز:

▪ علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: د. صالح أحمد العلى، مراجعة: محمد توفيق حسين، نشر: مكتبة المثنى، بغداد ، ١٩٦٣م.

●السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:

▪ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط: دمشق، ١٣٤٩ هـ.

▪ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، نشر: مكتبة حسام الدين المقدسى، ط: القاهرة ١٣٥٣هـ، ١٢ جزء.

●شافعى، لمياء أحمد:

▪ ابن حجر الهيتمى المكى وجهوده فى الكتابة التاريخية، طبع: مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

●الصفدى، صلاح الدين:

▪ الشعور بالعور، تحقيق: عبد الرزاق حسين، طبعـة: عمـان، دار العمار، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

●ابن العماد الحنبلى، عبد الحى:

▪ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، طبع: القاهرة، ١٣٥٠هـ.

●العيدروسى، محيى الدين عبد القادر:

▪ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، طبع: بغداد، سنة ١٩٣٤م.

●الفاسى، تقى الدين محمد بن أحمد:

▪ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحى، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨١هـ.

●ابن فهد، جار الله محمد بن عبد العزيز:

▪ حسن القرى فى أودية أم القرى، مخطوط مكتبة الأحقاف باليمن رقم ٩٨.

▪ النكت الظراف فى الموعظة بذوى العاهات من الأشراف، تحقيق: د/ لمياء أحمد شافعى، نشر:...

▪ نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبي الهيلة، نشر: مؤسسة الفرقان، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

●ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد التقى:

▪ الدر الكمين بذيل العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق: الشيخ ابن دهيش، طبع:....

▪ معجم شيوخ النجم بن فهد، مخطوط الهند، بنكيبور رقم ٧٣٧.

●ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر:

▪ بلوغ القر فى ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان

بن عبد العالي المحلبدي، طبع : دار القــاهرة، ســنة ١٤٢٥ هـــ/ ٢٠٠٥م، ثلاثة أجزاء.

●القسطلاني، أحمد بن محمد:

▪ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، نشر: المكتب الإسلامي.

●الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير:

▪ فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، طبع باعتناء وفهرسة: إحسان عبــاس، ط: دار الغــرب الإســلامي، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ثلاثة أجزاء.

●كحالة، عمر رضا:

▪ معجم المؤلفين، مطبعة: الترقي، دمشق، ســنة ١٩٥٧م – ١٩٦١م، ١٥ جزءً.

●المحاسبي، الحارث بن أسد:

▪ الرعاية لحقوق الله، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط.: نــشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ١٥ جزءً.

●مرداد، أبو الخير عبد الله:

▪ المختصر من كتاب نشر النور والزهر، طبع: عالم المعرفة بجــدة، سنة ١٤٠٦هـ.

●الهيلة، محمد الحبيب:

▪ التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، طبع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، موسوعة مكة المكرمة – لندن ١٩٩٤ م.

البريد في العصر المملوكي

د . سعود محمد العصفور
جامعة الكويت - كلية الآداب - قسم التاريخ

Abstract

Mail in Mameluke Era

Mail caries both good and bad news; therefore, in any era, its importance cannot be bypassed. Stoppage of mail disturbs the nation's local and international correspondences. It also creates a state of chaos in nation's administration. Thus, mail was of a great concern to civilization through the course of history. They systemized it in a way to meet up with the goals sought.

Mameluke Sultanate that stood up for a long time might have used mail in a noticeable way, and so guaranteed the Sultanate long-lasting domination. A researcher who looks into the Mameluke era sources finds that historians were keen on mentioning and tracking down the news received all over the Sultanate by mail. Another thing the researcher notes is the cornucopia of terminologies related to mail and its system.

Accordingly, recoding mail terminologies and explaining them along with tracing down the status of mail and its system are worth studying and researching. It contributes in introducing one of the elements of management life of this era.

ملخص البحث

البريــد فى العصــر المملــوكى

أهمية البريد لا يمكن إغفالها في عصر ما ، لأنه يأتي بالأخبـــار حـــسنها وسيئها ، وانقطاعه يعني اضطراب مراسلات الدولة الداخلية والخارجية ، ويخلـــق الفوضى الإدارية في أرجائها . من هنا اهتمت الحضارات منذ القدم بـــأمر البريـــد وأحكمت نظامه وصولاً للغايات المنشودة منه.

وسلطنة المماليك التي طال عمرها لابد أنها استخدمت البريـــد اســـتخداماً لافتاً، بحيث ضمن لها البقاء المديد ، والباحث في مصادر العصر المملوكي يـــرى حرص المؤرخين على ذكر وتتبع الأخبار التي تصل من خلال البريد لشتى أنحاء السطنة، فضلاً عن بقية أرجاء المعمورة ، كما يلحظ كثرة الألفاظ الإصـــطلاحية المتعلقة بالبريد ونظامه .

لذا فإن تتبع أحوال البريد ونظامه ، ورصد الألفاظ الإصطلاحية المتعلقـــة بالبريد ثم شرحها ، يستحق البحث والدراسة ، ويسهم في تجلية أحد عناصر الحياة الإدارية في هذا العصر .

مقدمة

فرض اضطراب الأحوال السياسية في السلطنة المملوكية اهتماماً بالغاً بالبريد ونظامه ، ذلك أن كثرة المؤامرات والدسائس التي تعرض لها السلاطين من خصومهم الطامحين للحكم ، أو من الذين حاولوا الظفر بامتيازات خاصة ، كانت سبباً للالتفات للبريد بغية الوقوف على أحوالهم ، وكشف دسائسهم . يضاف لهذا وذاك حاجة السلطنة في مراسلاتها الداخلية والخارجية للبريد كنظام يحكم نظامها الإداري .

ولما كان البريد هو عين السلاطين التي يرقبون خلالها ما يجري من أحداث حولهم ، اهتم سلاطين المماليك بالبريد وأولوه جل عنايتهم ، وأصدق دليل على ذلك قول ابن شداد في سيرة الملك الظاهر بيبرس عنه : " طالما ركب البريد ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة من دمشق إلى مصر، ومن مصر إلى دمشق ، وكذا من حلب إلى مصر"[١]، و قوله أيضاً : " أنه لم يرد عليه بريد في شيئ ، سواء كان مهماً، أو غير مهم ، إلا وأعاد الجواب فيه من وقته ، ولو أتاه وهو على طعامه"[٢].

لكن بعض مؤرخي العصر المملوكي تكلموا عن تدهور أحوال البريد في زمنهم، ومن أولئك شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م فقد ذكر في صفحة من صفحات آخر جزء من كتابه المسمى: " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " البريد، فامتدح أولاً ما كان عليه حاله في أوائل السلطنة المملوكية أيام الظاهر بيبرس (ت ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م) حين اجتمع له ملك مصر والشام وحلب إلى الفرات ، فأراد تنظيم دولته ، وكان البريد من جملة ما اهتم به ، فقام بتعيين الصاحب شرف الدين عبد الوهاب القلقشندي — عم المؤرخ شهاب الدين أحمد القلقشندي — كاتباً للإنشاء ، وقد نقل شهاب الدين عن عمه شرف الدين أن الظاهر بيبرس أوصاه بموافاته بالأخبار عن التتار

والفرنج أولاً بأول، فقال له: " إن قدرت أن لا تبيتني كل ليلة إلا على خبــر ، ولا تصبحني إلا على خبر فافعل " . وذكر شرف الدين القلقشندي لابن أخيه شــهاب الدين أنه قام بالمهمة التي أوكلت إليه خير قيام، مذكراً إياه بأهمية البريد في كونه " جناح الإسلام الذي لا يحص ، وطرف قادمته التي لا تقص " . وذكــر شــهاب الدين أن البريد أضحى فــي مــصر والــشام مــستقراً عنايــة و تنظيمــاً إلــى سنة٨٠٤هـ/١٤٠١ م حتى اجتاحت جيوش التتار الشام بقيادة تيمورلنك فــدمرت دمشق وأحرقتها : " فكان ذلك سبباً لحص ــ أي قطع ــ جناح البريد وبطلانه من سائر الممالك الشامية " ، وأردف مخبراً أن هذا الخلل انتقل إلى مصر فقال : " ثــم سرى هذا السم إلى الديار المصرية فألحقها بالهمل ، ورماها بعد الحلي بالعطــل ، فذهبت معالم البريد من مصر والشام ، وعفت آثاره " ، وذكر أنه قد ترتب علــى إهمال البريد أن نقل الأخبار السلطانية العاجلة ذهاباً و جيئة اتسم بعــدم الإتــساق بقوله : " وصار إذا عرض أمر من الأمور السلطانية في بعــض نــواحي الــديار المصرية أو الممالك الشامية ، ركب البريدي على فرس له ، يسير بها الهوينا سير المسافر إلى المكان الذي يريده ، ثم يعود على هذه الصورة ، فيحصل بواسطة ذلك الإبطاء في الذهاب والإياب " [٣] .

كما ذكر ابن تغري بردي في كتابه " النجوم الزاهرة فــي ملــوك مــصر والقاهرة " عبارة أخرى تعضد ما ذهب إليه القلقشندي من سوء أوضــاع البريــد حينئذ، إذ قال في حوادث سنة ٨٥٨ هـ/١٤٥٤ م :"وأما ماذهب من الوظائف التي كان يليها أمراء الطبلخاناه والعشرات مثل شاد الدواوين ، وأمير منــزل ، وشــاد القصر السلطاني، والمهمندار، ومقدم البريدية، وشاد العمائر ــ وإن كان بعض هذه الوظائف مستمرة ــ فإنه لا يليها إلا الأحداث من الناس، بحيــث صــارت كــلا شئ"[٤].

ومهما يكن من أمر ، فإننا ومع إجلالنا لوجهتي نظر القلقشندي — وهو الخبير في فن الإنشاء — وابن تغري بردي — المؤرخ المتقن لفنه — من سوء أحوال البريد بعد الغزو المغولي للشام ، فإنه لا يمكننا أخذ ذلك كحقيقة محضة ، فالضرورة التاريخية تحتم علينا أن نجمع ما يمكن جمعه من مادة عن دور البريد منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته ، عسانا أن نبرز صورة جلية عن دوره في ربط أوصال السلطنة بعضها ببعض ، ونوضح المهام الجسام التي ترتبط به ، أو نسلم في نهاية البحث بما ذهبا إليه . وسوف نتناول أولاً أنواع البريد المستخدم في العصر المملوكي ، ثم نفرد ثانياً ملحقاً للألفاظ الإصطلاحية المتعلقة بالبريد .

أولاً : أنواع البريد : كان لسلاطين المماليك الاهتمام البالغ في البريد ونظامه ، وتمثل ذلك في العناية الفائقة بالبريد البري وإنشاء مراكز خاصة به ، كما نال البريد الجوي ذات الاهتمام بإقامة أبراج الحمام الرسائلي المخصص لذلك ، وسوف نعرض فيما يلي لنوعي البريد وما يتصل بكل نوع من لواحق :

أ- البريد البري : ومن لواحقه : الحديث عن مسافته ، ومعالمه ، والمراسلات السلطانية التي تتم من خلاله وأنواعها ، والورق المستخدم في كتابته في دواوين الإنشاء بالسلطنة المملوكية في مصر والشام ، والحديث عن مراكز البريد البري والعناية بها ، كما نعرض استخدام خيل البريد في أغراض أخر ، والحرص على تخصيص أماكن لنزول البريدية ، وإرسال القصاد إذا تعذر وصول البريدية إلى ناحية من النواحي ، ونتناول ما يُطرأ على البريدي من أحوال أثناء تأديته لمهمته ، ونذكر أسماء البريدية ، ونعرض استخدامات البريد وتنوعها حسب ما تتطلبه الحاجة ، ونختم الحديث بانقطاع البريد لأحوال عارضة .

١- مسافة البريد : تقدر بأربعة فراسخ ، وطول الفرسخ ثلاثة أميال هاشمية ، فالمسافة معلومة مقدرة باثني عشر ميلاً ، والميل : ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي ،

وهو أربعة وعشرون أصبعاً ، كل أصبع ست شعيرات معترضات ، ظهر إحداها لبطن الأخرى ، والشعيرة سبع شعرات معترضات من ذنب بغل أو برذون . والفرسخ مقياس يعادل المسافة التي يقطعها الحصان مشياً في مدة ساعة ، وطوله عند الفرس ٥٢٥٠ متراً ، وعند العرب ٥٧٦٢ متراً ، وطول الفرسخ في مختلف العصور ومختلف المناطق كان يتراوح بين خمسة ونصف كيلو مترات وبين ثمانية ونصف كيلو مترات ، وفي القرنين التاسع والعاشر في المناطق التي توجد بها إيران كان الفرسخ يساوي تقريباً ستة كيلو مترات (٥) .

وفيما يلي نماذج لبعض استخدامات المؤرخين لمسافات البريد في الأحداث التاريخية ، ويشمل ذلك ما يقطع بين جهة وأخرى ، والمدة التي يقطعها البريدي ذهاباً وإياباً ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذلك يتوقف على سرعة السير ، وطبيعة تضاريس الأرض ، وظروف المهمة المرسل فيها ، وما يطرأ على البريدي من أحوال عارضة :

- المسافة من حلب إلى القاهرة : خرج جماعة من التجار من بلاد العجم قاصدين أبواب السلطان الظاهر بيبرس بمصر ، فلما مروا ببلاد سيس منعهم صاحبها من العبور إليه ، وكتب فيهم إلى أبغا ، فكتب إليه أبغا يأمره بالاحتياط عليهم ثم إرسالهم له ، فهرب منهم مملوك إلى حلب ، واجتمع بالأمير نور الدين علي بن مجلي ، وأخبره بحالهم ، فكتب نور الدين إلى السلطان الظاهر بذلك على خيل البريد من حلب ، فوصلت إليه في ستة أيام ، فكتب إليه الجواب أن يكتب إلى صاحب سيس إن هو تعرض لهم في شيئ يساوي درهماً فإن عليه أن يدفع مثله، ورجع جواب السلطان هذا أيضاً في ستة أيام (٦) .
- المسافة من مدينة حماة إلى قلعة الجبل في مصر: أرسل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م ، وأحضر الملك المظفر صاحب

حماة ، وعمه الملك الأفضل على البريد إلى مصر ، فتوجها من حماة ، ووصلا إلى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما (٧) .

- مسافة البريد بين مصر ودمشق : كتب السلطان الظاهر بيبرس وهو بدمشق إلى الديار المصرية يستدعي الأمير بدرالدين بيسري الشمسي وثلاثة آلاف فارس من العسكر، فوصل البريدي إلى الأمير بدر الدين في الثالثة من ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م ، فتجهز وخرج بكرة الأربعاء هو والعسكر المطلوب ، فسافروا ، ووصلوا إلى دمشق في رابع ربيع الآخر (٨) . ومنها أيضاً : خروج السلطان الظاهر بيبرس من دمشق على البريد ليلة السادس من المحرم من سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ، ووصل إلى قلعة الجبل بمصر يوم الثالث عشر من الشهر نفسه (٩) . ومنها كذلك : أن السلطان الظاهر بيبرس أرسل في عصر يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم سنة٦٧٤هـ/١٢٧٥م الأمير بدر الدين بيليك الخازندارعلى البريد من دمشق إلى القاهرة يستدعي ولده الملك السعيد إليه ، فوصلها ليلة الأربعاء قريب الغروب في السابع والعشرين من الشهر، وأقام بالقلعة أربعة أيام حتى تجهز أمر الملك السعيد ، ثم رحل به على البريد عند الغروب يوم السبت الثاني من صفر ، فدخل دمشق رابع ساعة من يوم الأربعاء السادس من الشهر ذاته (١٠) . ومنها أيضاً : خروج البريد في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م إلى دمشق لإحضار الوزير بدر الدين محمد بن الطوخي ، وفي ثامن عشره وصل الوزير على البريد إلى مصر (١١) .

- البريد سبب تسمية سودون بالطيار : سمي الأمير سيف الدين سودون بالطيار لأنه خرج من مصر في ليلة موكب ، ووصل إلى دمشق ، ثم عاد إلى مصر في ليلة موكب آخر على خيل البريد ، ومعه دواداره الأمير أسنبغا الطياري ، وهذا السير

لم يسمع بمثله فيما مضى من الأعصار من أنه يقطع ثمانين بريداً في نحو أربعة أيام [١٢] .

- استخدام مسافة البريد في القتال : أخبر آقبغا دوادارالأمير يشبك السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٣ هـ / ١٤١٠ م بأن الأمير طوغان الدوادار ، والأمير بكتمر جلق قد قصرا في أمر القبض على أعداء السلطان ، و لم يفعلا ما يتطلبه الأمر منهما ، وكان بينهما وبين الأعداء نحو بريد واحد [١٣] .
- تواضع المؤيد وقطعه مسافة البريد لملاقاة عالم : بلغ الماك المؤيد شيخ قدوم الشيخ قطب الدين محمود بن محمد الرازي ، المعروف بالقطب التحتاني سنة٧٥٧هـ / ١٣٥٦ م، فركب بنفسه لملاقاته ، وصحبه جميع عساكره ، واستقبله من مقدار بريد وأكثر [١٤] .

٢- **معالم البريد** : كان للبريد ألواح من فضة مخلدة بديوان الإنشاء تحت أمر كاتب السر بالأبواب السلطانية ، منقوش على وجهي اللوح نقشاً مزدوجاً ما صورته : " لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، ضرب بالقاهرة المحروسة " . وعلى الوجه الآخر ما صورته : " عز لمولانا السلطان الملك الفلاني : فلان الدين والدنيا ، سلطان الإسلام والمسلمين ، فلان ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان ، خلد الله ملكه " ، وفي ذلك اللوح ثقب معلق به شرابة من حرير أصفر ذات بندين ، يجعلها البريدي في عنقه بإدخاله رأسه بين البندين ، جاعلاً اللوح أمامه تحت ثيابه ، والشرابة خلفه من فوق ثيابه . فإذا أرسل بريدي إلى جهة من الجهات ، أعطي لوحاً من تلك **الألواح** ، يعلقه في عنقه على ذات الهيئة المتقدمة ، ويذهب إلى جهة قصده ، فكل من رأى تلك الشرابة خلف ظهره علم أنه بريدي. وبواسطة ذلك تذعن له أرباب المراكز بتسليم خيل البريد ، ولا يزال

كذلك حتى يذهب ويعود ، فيعيد ذلك اللوح إلى ديوان الإنشاء . ولا يختلف الحال في دواوين الإنشاء بدمشق وحلب وغيرها من الممالك الشامية إلا في الكتابة بمحل ضرب اللوح ، فإن كان بدمشق كتب : " ضرب بالشام " ، وإن كان بحلب كتب : " ضرب بحلب المحروسة" ، وكذا الحال في بقية الممالك[١٥].

ويذكر القلقشندي أن أمر الألواح المستخدمة في البريد قد ألغي في زمنه ، وصار كل بريدي عنده شرابة من حرير صفراء يحملها في عنقه من غير لوح[١٦]، ومثال ذلك ما ذكره ابن طولون عن دخول خاصكي من مصر إلى دمشق على يمين النائب قانصوه اليحياوي، وقدامه بريدين بعلامتين صفر يبشران بوفاء النيل سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م [١٧]. وإذا توجه البريدي إلى مملكة من الممالك النائية، فإن الأمر يحتاج إلى اللوح لتعارف أمر المملكة القديمة ، وكذلك الحكم فيمن يتوجه إلى الأبواب السلطانية من نيابة من نيابات المملكة في ورقة الطريق وخيل البريد[١٨] .

٣- **المراسلات السلطانية وأنواعها** : تصدر عن ديوان المكاتبات في العصر المملوكي العديد من المراسلات السلطانية التي يقوم البريدي بإيصالها إلى الجهات المختلفة ، ويمكن إجمالها في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : المراسلات البريدية بين السلطان والملوك الأجانب : جرت العادة أنه إذا وصل رسول ملك من الملوك إلى أطراف السلطنة المملوكية ، أن يقوم نائب تلك الجهة بمكاتبة السلطان وتعريفه بوفوده ، واستئذانه في إشخاصه إليه، عندها تبرز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضر . فإذا جاء الخبر بأن مرسله ذا مكانة عظيمة من الملوك كأحد القانات من ملوك الشرق ، خرج للقائه بعض الأكابر من الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما ، وأنزل بقصور السلطان بالميدان الذي يلعب فيه بالكرة [١٩] ، وهو أعلى المنازل للرسل ، وإن كان دون

ذلك تلقاه المهمندار.واستأذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر رتبته ، ثم يرتقب يوم موكب ، فيجلس السلطان بإيوانه ، ويحضر أعيان السلطنة من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول وصحبته الكتاب الوارد معه ، فيقبل الأرض ، ويتناول الدوادار الكتاب منه ، فيمسحه بوجه الرسول، ثم يدفعه إلى السلطان ، فيفضه ويدفعه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان ، ويأمره فيه أمره [٢٠] .

النوع الثاني : المراسلات البريدية بين السلطان ونوابه : جرت العادة أن يطلع النواب السلطان المملوكي على كل ما يستجد لديهم من أخبار هامة ليقفوا على توجيهاته وأوامره بشأنها ، فيرد الجواب الشريف إليهم من خلال ديوان الإنشاء بمايراه مناسباً ، أو قد يبتدئهم السلطان بما يقتضيه رأيه في شأن ما ، وتكون تلك المراسلات عن طريق البريدية أو بطائق الحمام ، وكان للسلطان من الجند بريدية في حضرته وفي كل بلد لحمل الكتب والعود بأجوبتها ، كما جرت العادة إذا ورد بريد من بلد من بلاد السلطنة المملوكية أو عاد البريدي المجهز من الأبواب الشريفة بجواب ، أحضره أمير جاندار ـ وهو من أمراء المئين ـ والدوادار ، وكاتب السر بين يدي السلطان فيقبل الأرض ، ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي. أما عن المراسلات ببطائق الحمام فسوف نذكرها في البريد الجوي[٢١] .

النوع الثالث : المراسلات البريدية الواردة من حاضرته : يقوم والي الشرطة بجمع ما يستجد في ولاياته من أحداث كالقتل أو الحريق الكبير أو نحو ذلك عن طريق الأخبار التي ترده من نوابه ، ثم تكتب مطالعة جامعة بذلك ، وتحمل إلى السلطان المملوكي صبيحة كل يوم فيقف عليها ـ وهو ما يمكن تسميته بالبريد السلطاني اليومي ـ أما ما يقع للناس من أمور خاصة فلا يشمله ذلك [٢٢] .

٤- الورق المستخدم في البريد البري بديوان الإنشاء في مصر والشام : أما في مصر فيستخدم في مراسلات ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ثمانية أنواع من الورق :

الأول : قطع البغدادي الكامل : عرض درجه عرض البغدادي بكامله ، وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري ، وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف الذراع ، وفيه كانت تكتب عهود الخلفاء وبيعاتهم ، وفي زمن المماليك تكتب فيه عهود أكابر الملوك ، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك ، كأكابر القانات من ملوك الشرق .

الثاني : قطع البغدادي الناقص : عرض درجه دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة ، وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك ، وربما كتب فيه للطبقة العليا لإعواز البغدادي الكامل .

الثالث : قطع الثلثين من الورق المصري : والمراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري أيضاً ، وفيه تكتب مناشير الأمراء المقدمين، وتقاليد النواب الكبار والوزراء وأكابر القضاة ومن في معناهم .

الرابع : قطع النصف : هو قطع النصف من الطومار المنصوري ، وعرض درجه نصف ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير الأمراء الطبلخاناه ، ومراسيم الطبقة الثانية من النواب ، والمكاتبات إلى الطبقة الثانية من الملوك .

الخامس : قطع الثلث : هو ثلث قطع المنصوري ، وعرض درجه ثلث ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير أمراء العشرات ، ومراسيم صغار النواب ، والمكاتبات إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

السادس : القطع المعروف بالمنصوري : عرضه تقدير ربع ذراع بالـذراع المذكور ، وفيه تكتب مناشير الممالك السلطانية ومقدمي الحلقة ، ومناشير عشرات التركمان ببعض الممالك الشامية ، وبعض التواقيع وما في معنى ذلك .

السابع : القطع الصغير : ويقال فيه قطع العادة ، وعرض درجه تقدير سدس ذراع بالذراع المذكور ، وفيه تكتب عامة المكاتبات لأهـل المملكـة وحكامهـا ، وبعض التواقيع والمراسيم الصغار ، والمكاتبات إلى حكام البلاد بالممالـك ، ومـا يجري هذا المجرى من كبار أعيان الدولة من الأمراء والوزراء وغيرهم ، وقد كان هذا القطع والذي قبله في أول الدولة التركية طول كل وصل منه شبران وأربعـة أصابع مطبوقة فما حول ذلك .

الثامن : قطع الشامي الكامل : عرض درجه عرض الطومار الـشامي فـي طوله، وهو قليل الاستعمال في الديوان ، إلا أنه ربما كتب فيه بعض المكاتبـات ، كما كتب فيه عن الأشرف شعبان بن حسين لوالدته حين سـافرت إلـى الحجـاز الشريف (٢٣).

وأما في **الشام** فيستخدم ثلاثة أنواع :

الأول : قطع الشامي الكامل : عرضه عرض الطومار الـشامي الكامـل فـي طوله، وفيه يكتب عن النواب لأعلى الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم لـيس إلا.

الثاني : قطع نصف الحموي : عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي ، و طوله بطول الطومار، وفيه يكتب للطبقة الثانية من أرباب التواقيـع والمراسـيم الصادرة عن النواب .

الثالث : قطع العادة من الشامي : عرض درجه سدس ذراع ، بـذراع القمـاش المصري في طول الطومار أو دونه ، وفيه يكتب للطبقة الثالثة من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن النواب وعامة المكاتبات الصادرة عن النواب إلى السلطان

فمن دونه من أهل المملكة وغيرهم، إلا نائب الشام ونائب الكرك قد جرت العادة بصدور المكاتبات عنهما في الورق الأحمر دون غيرهما من النواب (٢٤) .

٥- **مراكز البريد البري والعناية بها :** هي الأماكن التي تقف فيها خيل البريد لغرض تغيير خيل البريدية فيها فرساً بعد فرس . والمراكز متفاوتة في أبعادها وفق ما تتطلبه الضرورة ، فتارة لبعد الماء ، وتارة للأنس بقرية ما ، حتى يرى الناظر في هذه المراكز البريد الواحد بقدر بريدين ، ولو كانت بحسب الأعمال لما كان هذا التفاوت .

وقد ذكر القلقشندي مراكز البريد ذكراً مفصلاً نقلاً عن الشهاب بن فضل الله في كتاب التعريف ، و يلاحظ أنه زاد في مواضع كثيرة بما يحقق الفائدة حيث ربط هذه المراكز ببعض الأحداث التي وقعت فيها ، كما ذكر ما كانت عليه بعض المراكز وما آل إليه حالها في زمنه ، وذكر هذه المراكز أيضاً ابن شاهين ، لكن بنحو مختصر ، **وأهم تلك المراكز :**

- مركز قلعة الجبل بالديار المصرية وما يتفرع عنه من المراكز ، وما تنتهي إليه مراكز كل جهة : يتفرع عن هذا المركز أربع جهات هي : جهة قوص من الوجه القبلي وما يتصل بذلك من أسوان وما يليها من بلاد النوبة ، وجهة الإسكندرية من الوجه البحري ، وجهة دمياط من الوجه البحري أيضاً ، وما يتفرع عنها من جهة غزة من البلاد الشامية . فأما مراكز قوص وما يليها : فمن مركز قلعة الجبل ، ومنها إلى مدينة الجيزة ، ثم منها إلى زاوية أم حسين وهي قرية من عمل الجيزة ، ثم منها إلى ونا وهي بلدة من عمل البهنسى ، ثم منها إلى دهروط وهي بلدة من عمل البهنسى أيضاً ، ثم منها إلى أقلوسنا وهي بلدة من عمل الأشمونين ، ثم منها إلى منية بني خصيب وهي مدينة من عمل الأشمونين ، ثم منها إلى مدينة الأشمونين ، ثم منها ذروة سربام من عمل

الأشمونين ، وتقع على فم الخليج اليوسفي الواصل من النيــل إلــى الفيــوم ، وتعرف بذروة الشريف نسبة إلى الشريف ناصر الدين محمد بن تغلــب الــذي خرج عن طاعة الظاهر بيبرس وطمح في الملك حتى قبض عليه الظاهر وشنقه بالإسكندرية ، وبها دياره وقصوره والجامع الذي أنشأه بها . ثم يسير الطريــق من ذروة سربام إلى مدينة منفلوط وهي قاعدة الأعمال المنفلوطية التي هــي أجل خاص السلطان ، ثم منها إلى مدينــة أســيوط وهــي قاعــدة الأعمــال الأسيوطية ومقر نائب الوجه القبلي ، ثم منها إلى طما من عمل أسيوط ، ثم إلى المراغة وهي بلدة من عمل إخميم ، ثم منها إلى بلسبورة من عمل إخميم أيضاً، ثم منها إلى جرجا ، ثم منها البلينة وهي بلدة من عمل قوص ، ثم منها إلى هو، وهي بلدة من عمل قوص أيضاً ، ويليها الكوم الأحمر ، عندها ينقطع الريــف في البر الغربي، ويكون الرمل المتصل بدندرى ويسمى خان دندرى ، ومنهــا إلى مدينة قوص ، ثم من قوص تنقطع مراكز البريد ، ويتشعب الطريق إلــى جهة أسوان وبلاد النوبة وجهة سواكن . فمن أراد المسير إلى جهة أسوان ركب الهجن من قوص إلى أسوان ، ثم منها إلى بلاد النوبة . ومن أراد المسير مــن عيذاب سار من قوص إلى كيمان قفط على القرب من قوص . قال القلقشندي: ثم يسير في قفار وجبال من كيمان قفط إلى ماء يسمى ليطه على مرحلة مــن الكيمان وبه عين تنبع ، ثم منها إلى ماء يسمى الدريح قرب معدن الزمردة وبه عين صغيرة عذبة لا تزيد ولا تنقص ، ثم منها إلى حميثرة حيــث قبــر أبــي الحسن الشاذلي الصوفي وهناك عين ماء يسقى منها ، ثم منها إلى عيذاب وعلى القرب منها عين يسقى منها (٢٥) .

ويلاحظ من مراكز البريد المتقدمة ارتباط مواقع بعضها بوجود عيون الماء كماء ليطه والدريح والعين التي تقع بالقرب من قبر أبي الحسن الــشاذلي والعــين

القريبة من عيذاب ، وهو أمر هام تفرضه حاجة البريدي وخيله ومن يعمل في هذا المراكز إلى الماء .

والمسافة من الكيمان إلى عيذاب نحو عشرة أيام بسير الأثقال ، والطريق إلى عيذاب من شعبة على القرب من أسوان ، ثم يسير منها في بلاد عرب بني عامر إلى سواكن وهي قرية حاضرة البحر صاحبها من العرب ، وكتب السلطان تنتهي إليها [٢٦] .

وأما الإسكندرية فالمراكز الموصلة بها عن طريقين : الطريق الأولى هي الآخذة على الجبل الغربي وتسمى طريق الحاجر ، والمسير فيها من مركز القلعة المتقدم إلى مدينة الجيزة، ثم منها إلى جزيرة القط من آخر عمل الجيزة من جهة البحر ، ثم منها إلى وردان وهي من عمل البحيرة ، ثم منها إلى الطرانة ، ثم منها إلى طيلاس من عمل البحيرة أيضاً ، ثم منها إلى مدينة دمنهور وهي محل مقام نائب السلطنة بالوجه البحري ، ثم منها إلى لوقين ، ثم منها إلى الإسكندرية . أما الطريق الثانية فهي الآخذة في وسط العمران وتعرف بالوسطى وهي من مركز القلعة إلى مدينة قليوب ، ثم منها إلى مدينة منوف العليا ، ثم منها إلى مدينة المحلة قاعدة الأعمال الغربية ، ثم منها إلى النحريرية وهي من عمل الغربية ، ثم منها إلى الإسكندرية .

وأما الطريق إلى دمياط وغزة فمن مركز القلعة إلى سرياقوس [٢٧]، وليس المركز في نفس البلد ، بل بالقرية المستجدة بجوار الخانقاه الناصرية التي أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من سرياقوس ، وكان قبل هذا بالعش وكان طويل المدى في مكان منقطع وكانت البريدية تشتكي منه فصلح بنقله إلى القرية المذكورة ، وحصل به الرفق لقربه من الأسواق المجاورة للخانقاه الناصرية[٢٨] .

وهنا أفضلية أن تكون المراكز البريدية في منطقة مأمونة ، قريبة من القرى المأهولة بالسكان ومراكزها التجارية بما يتواءم وحاجة البريدي ومن يعمل بالمراكز للأنس والأمان كما هو الحال في القرية المذكورة التي عمرها الناصر .

ثم من تلك القرية إلى بئر البيضاء ، ثم منها إلى مدينة بلبيس وهي آخر المراكز السلطانية، وتشترى خيلها من الأموال السلطانية ، ويخصص لها السواس وما تحتاجه الخيل من العلف ، ثم منها إلى السعيدية ، ثم منها إلى أشموم الرمان ، ومنها إلى دمياط ومن أراد غزة . وقد تقدم أن بلبيس هي آخر المراكز السلطانية ، ثم السعيدية وما بعدها إلى الخروبة تعرف بالشهارة ، خيل البريد مقررة على عربان ذوي اقطاعات عليهم خيول موظفة يحضر أربابها عند هلال كل شهر إلى المراكز ، وتستعيدها في آخر الشهر ويأتي غيرها فسميت لذلك بالشهارة ، وعليهم وال من قبل السلطان يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة ويدوغها بالداغ السلطاني ، أي علامة السلطان وهي خاتمه [٢٩] .

ويلاحظ أن الغرض من استبدال الخيل في بداية كل شهر وختمها بخاتم السلطان هو لضبط عدم استخدام ذات الخيول المستخدمة في كل شهر وذلك من أجل ضمان صلاحيتها وجاهزيتها للعمل في نقل البريد طالما هي تستجد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ضمان تقديم العلف الكافي الجيد المخصص من قبل الجهة السلطانية لاسيما أن العرب ــ كما يقول القلقشندي ــ قليلة العلف [٣٠] .

ومن السعيدية إلى الخطارة ، ثم منها إلى قبر الوايلي وقد استجد به أبنية وأسواق وبساتين حتى صار كأنه قرية ، ثم منها إلى الصالحية وهي آخر معمور الديار المصرية ، ثم منها إلى بئر عقرى ، وإلى هذه المركز يجلب الماء من بئر وراءه ، ومنها إلى القصير، وقد كان كريم الدين وكيل الخاص بنى خاناً ومسجداً

ومئذنة ، وعمل ساقية ، فتهدم ذلك كله ، ولم يجد من يجـدده ، وبقيـت المئذنـة خاصة، ورتب بها زيت للتنوير [٣١] .

ويلاحظ مما تقدم أن وجود الخانات بالقرب من المراكز البريدية يسهم في تلبية حاجة البريدي ومن يعمل في تلك المراكز للراحة والزاد والأمان وغير ذلك .

ثم منها إلى حبوة ، وليس بها ماء ولا بناء ، وإنما هي موقف لخيل العرب الشهارة يجلب الماء إليها من بئر وراءها ، ثم منها إلى الغرابي ، ثم منها إلى قطيا، وهي قرية صغيرة بها تؤخذ المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلـى مـصر والصادرين عنها ، وهناك رمل يختم في الليل ويحفظ بالعربان حتى لا يجتازه أحد، فيكون من القاهرة إلى قطيا اثناعشر بريداً [٣٢] .

ويستفاد مما تقدم أن المراكز البريدية قد تشاد بالقرب من الجهات الرسمية التابعة للسطلنة المملوكية كالتي تختص بتحصيل من الضرائب الجمركية من التجار الذين يفدون ببضائعهم إلى مصر أو من يقومون بتصديرها إلى خارج مصر ، وفي إقامة تلك المراكز البريدية ضرورة ملحة في تبليغ تلك الجهات الأوامر الـصادرة عن السلطة المملوكية إزاء ذلك .

ثم منها إلى صبيحة نخلة معن ، ثم منها إلى المطيلب ، ثم منها إلى السوادة وقد حولت عن مكانها فصار المسافر لا يحتاج إلى تعريج إليها ، ثـم منهـا إلـى الورادة وهي قرية صغيرة بها مسجد بناه الأشرف خليل بن قـلاوون حـصل بـه الرفق بمبيت السفارة به وكان فخر الدين كاتب المماليك بنى إلى جانبه خاناً فبيـع بعده ، ثم منها إلى بئر القاضي . قال القلقشندي نقلا عن ابن فضل الله : " والمدى بينهما بعيد جداً يمله السالك " [٣٣] .

ويستفاد من عبارة القلقشندي السابقة التي نقلها عن ابن فضل الله أن بعض المراكز البريدية تكون متباعدة ، وطريقها يملها البريدي ، وغالبـاً يكـون الملـل لبعدها عن المراكز العمرانية ومراكزها التجارية وما تتطلبه حاجة الإنسان للأنس

بغيره ، أو لصعوبة التضاريس أو لسوء الأحول المناخية أو خلافه ، وإن وجـود المساجد في الطريق قد يخفف العناء ، فقد تستخدم للراحة والمبيت إذا لزم الأمر .

ومنها إلى العريش ، وقد أحسن كريم الدين بعمل ساقية سبيل به وبناء خان حصين فيه يأوي إليه من ألجاه المساء ، وينام فيه آمناً من طوارق الفرنج (٣٤) .

ويلاحظ مما تقدم أن الأعداء من الفرنجة قد يتعرضون للسالكين في بعض الطرق ـــ ومنهم البريدية ـــ وإن الحاجة تستلزم أخذ الحيطة والحذر منهم ، وذلـك بتوفير المزيد من الرجال الذين يعملون على حفظ الأمن في الطريق وخاصة ليلاً ، ومن الوسائل المساعدة في ذلك أيضاً إقامة الخانات التي ينزل بها المسافرون .

ثم منها إلى الخروبة وبها ساقية وخان بناهما فخرالدين كاتـب المماليـك حصل به الرفق والأمن ، وهذا آخر مركز للعرب الشهارة ، ثم مما يليهـا خيـل السلطان ذوات الإصطبلات والخدم تشترى بمال السلطان ، وتعلف منه ، وأولهـا الزعقة ، ثم منها إلى رفح ، ثم منها إلى السلقة ، وكان قبل هـذا المراكـز بئـر طرنطاي حيث الجميز ويسمى سطر ، وكان في نقله إلى السلقة المصلحة . ثم منها إلى الداروم ، ثم منها إلى غزة ، والمسافة من قطيا إلى غزة أحد عشر مركزاً (٣٥).

ـــ مراكز غزة وما يتفرع عنها من البلاد الشامية : وتشمل هذه المراكـز ثـلاث جهات : الكرك ، ودمشق ، وصفد . فأما الطريق إلى الكرك فمن غـزة إلـى ملاقس وهو مركز بريد ، ثم منها إلى بلد الخليل عليه السلام ، ثم منهـا إلـى جنبا ، ثم منها إلى الصافية ، ثم منها إلى الكرك . وأما مراكز دمشق فبـدايتها من غزة إلى جينين وهو مركز بريد ، ومنها إلى بيت دارس وبها خـان بنـاه ناصر الدين خازندار نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز ، ثم منها إلى قطرى وهو مركز مستجد أشار بإنشائه الأمير طاجار الناصري وبه بئر سبيل حصل به رفق عظيم لبعد المسافة بين لد وبيت دارس/ ثم منها إلى لد ، ثم منها إلـى

العوجاء وهي زوراء عن الطريق . قال القلقشندي : " ولو نقلت منه لكان أرفق" [٣٦] .

ويستفاد مما سبق أن تباعد المراكز البريدية يحصل فيه المشقة للبريدي ، فضلاً عن تأخر الرسائل بداهة ، لذا فإن المؤمل إيجاد طريق بديلة يكون فيها الراحة للبريدي ، والضمان في وصول الرسائل على نحو أسرع .

ثم من العوجاء إلى الطيرة وبها خان كان قد شرع في بنائه الأمير ناصر الدين دوادار الأمير سيف الدين تنكز ثم كمل بيد غيره ، ثم منها إلى قاقون ، ثم منها إلى فحمة ، ثم منها إلى جينين وهي على صفد وبه خان للأمير طاجار الدوادار قال القلقشندي : " حسن البناء جليل النفع ليس على الطريق أخص منه ولا أحصن ولا أزيد نفعاً منه ولا أزين " [٣٧] ، والمعنى واضح الدلالة أن إنشاء هذا الخان وغيره مما تقدم ذكره فيه النفع لسالكي الطريق من البريدية وغيرهم.

ومن أراد دمشق وما يليها عليه أن يسلك طريق جينين إلى ذرعين ، ومنها ينزل على عين جالوت ، وهو مركز فيه الرفق والراحة من العقبة التي كان يسلك عليها بين جينين وبيسان مع طول المدى ، ثم منها إلى بيسان ، ثم منها إلى المجامع الذي يقع عند جسر سامة وهو مركز مستجد في سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م حصل به الرفق لبعد ما كان بين بيسان وزحر ، وكانت الطريق قديمة فيها غاية المشقة إذ توجب على المسافر خوض نهر الشريعة ، وكان عليه معدية للفارس دون الفرس ، وإنما يعبر فيها الفرس سباحة ، ولكن الأمير ألطنبغا كافل الشام نقل هذه الطريق وجعلها على القصير ، ونقل المركز من الطيبة إلى زحر حين غرق بعض البريدية الجبليين في نهر الشريعة ، ثم من المجامع إلى زحر [٣٨] .

ونستخلص مما سبق أن طريق البريد في بعض الأماكن تكتنفه الصعاب نتيجة لطبيعة تضاريس المكان ، ويتمثل في الطريق السابقة في وجود عائق طبيعي

هو نهر الشريعة وصعوبة اجتيازه ، من هنا استلزم الأمر البحث عن طريق بديلة أكثر سهولة لضمان السلامة ووصول البريد بالسرعة الممكنة .

ومن زحر يتجه البريد إلى أربد ، ثم منها إلى طفس ، ثم منها إلى الجامع ، وكان قبل ذلك بعيد المدى يقع في مكان يسمى رأس الماء ، فلما ملكه الأمير الكبير سيف الدين تنكز كافل الشام نقل المركز إلى هذا الجامع ، فقرب المدى ، ثم منها إلى الصنمين ، ثم منها إلى غباغب، ثم منها إلى الكسوة ، ثم منها إلى دمشق(٣٩).

وأما الطريق الموصلة إلى صفد فتتجه من جينين إلى تبنين ، ثم منها إلى حطين التي بها قبر النبي شعيب عليه لسلام ، ثم منها إلى صفد (٤٠) .

- مركز دمشق وما يتفرع عنه من المراكز الموصلة إلى حمص وحماة وحلب، وإلى الرحبة ، وإلى طرابلس ، وإلى جعبر ومصياف وبيروت وصيدا وبعلبك والكرك وأذرعات : فأما طريق حلب فمن دمشق إلى القصير ، أو من دمشق إلى خان لاجين ، ثم إلى القصير ، ثم إلى القطيفة ، ثم منها إلى القسطل ، أو من القصير إلى خان الوالي ، ثم إلى خان العروس، ثم إلى القسطل ، ثم منها إلى قارا ، ثم منها إلى بريح العطش وقد كان مقطع طرق وموضع خوف ، فبنى به قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن صصري مسجداً وبركة وأجرى الماء إلى البركة من ملك له هناك وقفه على هذا السبيل (٤١) .

ويلاحظ مما سبق أن بعض الطرق يكثر فيها قطاع الطريق فتكون موضع خوف للسالكين من المسافرين والبريدية ، لذا يستلزم الأمر إقامة ما يكون سبباً في تجمع الناس ، وفي الطريق السابقة حصل المراد ببناء ابن صصري لمسجده والبركة التي أجرى إليها الماء، قال القلقشندي : " فبدل الخوف أمناً ، والوحشة أنساً" (٤٢) .

ومن بريح العطش تسير الطريق إلى الغسولة ، ثم منها إلى سـمنين ، ثـم منها إلى حمص ، ثم منها إلى الرستن ، ثم منها إلى حماة ، ثم منها إلى لطمين ، ثم منها إلى طرابلس ، ثم منها إلى المعرة ، ثم منها إلى أنقرتا ، ثم منها إلى إياد ، ثم منها إلى قنسرين ، ثم منها إلى حلب . وأما طريق الرحبة فيمر من القطيفـة إلـى العطنة ، ثم إلى جليجل ، ثم منها إلى المصنع ، ثم منها إلى القريتين ، ثم منها إلى الحسير ، ثم منها إلى البيضاء ، ثم منها إلى تدمر ، ثم منها إلى أرك ، ثم منها إلى السخنة ، ثم منها إلى غباغب ، ثم منها كوائل ، ثم منها إلى الرحبة . وأما طريـق طرابلس فمن الغسولة إلى القصب ، ثم منها إلى قدس ، ثم إلى أقمار ، ثم منها إلى الشعراء ، ثم منها إلى عرقا ، ثم منها إلى طرابلس . وأما طريق جعبر وما يليهـا فمن حمص إلى سلمية ، ثم منها إلى بغيديد ، ثم منها إلى سوريا ، ثم منهـا إلـى الحص ، ثم منها إلى جعبر ، إلى عين بذال ، ثم منها إلى صهلان ، ثم منها إلـى الخابور ، ثم منها إلى رأس عين . وأما طريق مصياف فمن حمص إلى مصياف . وأما طريق صفد فمن دمشق إلى بريح الفلوس ، ومنه إلى أرينبـة ، ومنهـا إلـى لغران ، ومنها إلى صفد . وأما طريق بيروت فمن دمشق إلى خان ميسلون ، ومنها إلى زبدان ، ومنها إلى الحصين ، ومنها إلى بيروت . وأما طريـق صـيدا فمـن دمشق إلى خان ميسلون ، ومنها إلى جزيرة صيدا ، إلى كرك نزح ، ثم منه إلـى بعلبك . وأما بعلبك فلها طريقان : أحدهما من خان ميسلون إلى كرك نوح ، ثم إلى بعلبك، والثانية من دمشق إلى الزبداني إلى بعلبك . ومن أراد من بعلبـك حمـص توجه منها إلى القصب ، ثم إلى الغسولة ، وبعدها شمسين ، ثـم حمـص . وأمـا طريق الكرك فمن دمشق إلى طفس ، ومنها إلى القنية ، ومنها إلى البرج الأبيض ، ومنها إلى حسبان، ومنها إلى ديباج ، ومنها إلى أكريه ، ومنها إلى الكرك . وأمـا طريق أذرعات فمن طفس إلى أذرعات [٤٣] .

- مركز حلب وما يتفرع عنه من المراكز الواصلة إلى ألبيرة وبهسنى وما يليهما ، وقلعة المسلمين المعروفة بقلعة الروم ، وآياس ، وجعبر : فأما الطريق الموصلة إلى ألبيرة فمن حلب إلى الباب ، ثم منها إلى الساجور ، ثم منها كلناس ، ثم منها إلى ألبيرة . وأما طريق بهسنى وما يليها فمن حلب إلى السموقة ، ثم منها إلى سندرا ، ثم منهاإلى الفار ، ثم منها إلى عيذاب ، ثم منها إلى بهسنى ، ثم منها يدخل إلى جهة قيسارية والبلاد المعروفة آنذاك ببلاد الروم وهي بلاد الدروب . وأما طريق قلعة المسلمين المعروفة بقلعة الروم وما يليها فمن عيذاب وهي وسط الفرات وهو خلجان دائرة عليها ، ثم من قلعة المسلمين إلى جسر الحجر ، ثم إلى الكختا وهي آخر الحد من الطرف الآخر . وأما طريق آياس فمن حلب إلى أرحاب، ثم منها إلى تيزين ، ثم منها إلى يغرا، ثم منها إلى بغراس وهي آخر الحد مما يلي بلاد الأرمن ، ثم من باياس إلى آياس . وأما طريق جعبر فمن حلب إلى الجبول ، ثم منها إلى بالس ، ثم منها إلى جعبر (٤٤) .
- مركز طرابلس وما يتفرع عنه من المراكز الموصلة إلى جهاتها : فأما طريق اللاذقية فمن طرابلس إلى مرقية ، ثم منها إلى بلنياس ، ثم منها إلى اللاذقية ، ثم منها إلى صهيون ، ثم منها بلاطنس ، ومن أرد فمن صهيون إلى برزية ، ومن أراد فمن بلاطنس إلى العليقة ، ثم منها إلى الكهف ، ثم منها إلى القدموس ، ثم منها إلى الخوابي ، ثم منها إلى الرصافة ، ثم منها إلى مصياف . فأما من أطراف الممالك إلى حضرة الأردو حيث هو ملك بني هولاكو فلهم مراكز تسمى خيل الأولاق وخيل اليام يحمل عليها ولاتشترى بمال السلطان ولا يكلف ثمنها ، بل هي على أهل تلك الأرض ، نحو مراكز العرب في رمل مصر(٤٥).

أما فيما يعلق بالعناية بمراكز البريد ، فيكون بعمارتها ، والعناية بالخيل المستخدمة فيها ، وشعور السلطان بالحاجة الملحة للبريد باعتباره وسيلته المثلى في تبليغ أوامره ، والوقوف على أخبار خصومه من الطامحين للسلطة ، الأمر الذي يلزمه القيام بإصلاح شؤون مراكز البريد ، وهذا ما توصل إليه السلطان الظاهر برقوق ، حيث طلب في سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م من سائر الأمراء خيولاً لعمارة مراكز البريد في السلطنة المملوكية ، فألزم كل من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش ـ ومفردها إكديش وهو الحصان الأعجمي في مقابل العراب ويمتاز بسرعة المشي ـ وكمل من الوزير والاستادار وبقية أرباب الوظائف وأمراء الطبلخاناة أكديشان، وكل من أمراء العشرينات والعشراوات بأكديش واحد ، فجبى ذلك وأرسلوا إلى المراكز(٤٦) . وهذه العناية تدل على صدق مقالة القلقشندي عن حسن أحوال البريد قبل اجتياح التتار للشام سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م .

كما كانت عناية المماليك بالخيل في مراكز البريد فائقة ، ومثال ذلك ما جاء في نسخ توقيع بشد مراكز البريد من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به لمن لقبه " بدر الدين " في سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م . فقد ذكر أن هذا مرسوم توليه صادر عن الأمر العالي الذي لازالت البرد سائرة بأوامره ووفق عدله وجوده، ثم بين أن مراكز البريد كانت كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك فإنها تنعم بالأمن والأمان بفضل حسن التدبير في كل الأوقات بقوله : " ومراكز الطرق التي حمتها مهابته فكأنها مراكز الأسل ، ومراكض السبل ، كل واد منها وما حمل ، وكل حدب وما نسل ، واعتماداً على سداد عزمه الذي وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه كل أوقاته " ، وبفضل العناية بالجياد وعلفها حافظ على تكاثر الجياد وضمن قوتها وجاهزيتها ، وقبل ذلك كانت تموت من قلة العناية بها ، إذ قال : " وكم جاد على الجياد على الغيث حتى سارت على يديه كالسيل ، وكم حفظ عليها قوتها وقوتها ،

فبعدما كانت تموت بالعدد صارت تعيش بالكيل " ، ثم بدء النصح لشاد مراكز البريد بعبارة جامعة للمؤمل حصوله منه ، إذ قال : " وليطلق يد أمره ونهيه بما يسره أن يقدمه بين يديه ، حريصاً على أن تنطق هذه الدواب الخرس غداً بثنائه " ، ثم فصل القول أن عليه أن يختار لها من يقوم بشأنها أحسن القيام في إرسالها ومجيئها ، والعناية بجسومها ، والتوسعة في مبيتها وسائر أحوالها ، وأن يختار لها من يعاملها جميعاً معاملة عادلة ، ، فلا يخص بالعليق واحدة دون أخرى ، وأن يتنوع لها في العليق الجيد إذ قال : " متخيراً لها كل حسن الإمرة والسياسة عند رحيلها وقدومها ، ومن إذا عرضت عليه بالعشي الصافنات الجياد طفق مسحاً ، ولكن بإماطة الأذى عن جسومها ، موسعاً عليها من المباني والأحوال كل مضيق ، ... مستأمناً من الأيدي من يرد عنها الأيادي الضائمة ، ومن يساوي بينها في الأقوات حتى لا تكون كما قال الأول : خيل صيام وخيل غير صائمة ، متحرياً في تكفيتها أجمل الطرق والطرائق ، مستجلباً صنوف العليق فلا تنقطع من بره العلائق" (٤٧) .

ويسجل الملك المغيث عنايته للبريدية ، فأخبار الخصوم والإطلاع على أحوالهم لتثبت صدق طويتهم ثمنه لا يقدر ، وهذا توصل إليه الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل الصغير الأيوبي صاحب الكرك سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م من إحسان تجاه من استخدمه من البريدية ، فالخوف الذي دب في قلبه من سوء طوية الملك الظاهر بيبرس نحوه ، ومحاولته كسب وده بفعل كل ممكن ، جعله يدفع الثمن باهظاً للبريدي ، إذ يحكي شرف الدين بن مزهر ناظر خزانة المغيث ، أن المغيث لما عزم على التوجه إلى خدمة الملك الظاهر بيبرس، لم يكن في خزانته شيئ من القماش و لا المال ، وكانت لوالدته حواصل بالبلاد ، فقاموا ببيعها بأربعة وعشرين ألف درهم ، واشتروا بإثني عشر ألفاً خلعاً من دمشق ،

وجعلوها في صناديق الخزانة الإثني عشر الأف الأخرى ، ولما كان المغيث بحاجة ماسة لسماع أخبار الظاهر بيبرس ، قام بإرسال البريدية للوقوف على أخباره ، فشرعت البريدية تصل إلى المغيث في كل يوم بمكاتبات الملك الظاهر بيبرس ، والمغيث يرسل صحبتهم غزلاناً ونحوها إلى الظاهر، ويخلع على البريدية من الخلع التي بالصناديق جزاء لما قد حصل عليه من أخبار حتى نفد ما كان بالخزانة من خلع[٤٨].

٦- **استخدام خيل البريد في أغراض أخر** : تحتوي مراكز البريد في زمن المماليك على عدد كبير من الخيل المدربة لأعمال البريد ، فضلاً عن جاهزيتها للإستخدام لأغراض حربية وأخرى عاجلة ، منها :

- استخدام خيل البريد لأغراض حربية : ومن أمثلة ذلك ، أن الظاهر بيبرس وردت إليه الأخبار في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م عن طريق مقدم يسمى صمغار بإغارة التتار على حارم ، فكتب للديار المصرية ــ وهو بدمشق ــ مع خيل البريد إلى الأمير بدر الدين بيسري أن يصطحب ثلاثة آلاف فارس من أقوياء الجند ، ويسير بهم إليه ، فأصبحوا سائرين ، وجدوا في مسيرهم ، فوصلوا دمشق في اثني عشر يوماً [٤٩] . ومنها كذلك : تواتر الأخبار على السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م وهو في طريقه إلى الشام بأن أبغا ملك التتار قد تحرك بجيشه قاصداً ذات الوجهة ، فأرسل الظاهر يستدعي العساكر بالبرداء ــ جمع بريدي ــ على خيول البريد [٥٠] . ومنها أيضاً : هروب رئيس نائب الإسكندرية ومن معه من الرجال في سنة٦٧٣هـ/١٢٧٤ م من حبس الفرنجة لهم في عكا، واستخدموا في هروبهم خيل البريد التي كانت تنتظرهم على الساحل [٥١] . ومنها كذلك : أخذ نائب غزة الأمير شمس الدين آقسنقر لخيل البريد من أحد عشر مركزاً من قاقون إلى

الزعقة نحو ثلاثمائة فرس وأرسلهم لتقوية جيش السلطان الجديد الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك في سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م[٥٢].

- استخدام السلطان وكبار الأمراء لخيل البريد في سفرهم : فقد توجه السلطان الظاهر بيبرس على خيل البريد في سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م من دمشق إلى مصر، وفي صحبته الأمراء ، من بينهم جمال الدين آقوش الرومي ، وسيف الدين جرمك الناصري ، وسنقر الألفي السلاح دار ، وعلم الدين شقير مقدم البريدية [٥٣]. ومنه أيضاً : ورود الأمير سيف الدين أتامش السعدي على خيل البريد في ذات السنة لتسليم الأمير بدر الدين بيليك الخزندار المرتحل من يافا كتاب السلطان الظاهر بيبرس [٥٤] .

- احضار شخص أو تسفيره على خيل البريد تشريفاً له : فقد بعث السلطان الظاهر بيبرس ولده الملك السعيد إلى دمشق صحبة الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني وأربعين من خواصه في الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م على خيل البريد [٥٥] . ومنها أيضاً : تسفير السلطان المنصورسيف الدين أبوبكر بن الناصر محمد بن قلاوون للرسل الذين حضروا إلى والده من الشيخ حسن صاحب بغداد إلى بلادهم ، فخرجوا على خيل البريد خمسة عشر فرساً [٥٦] . ومنها كذلك : قيام نائب الشام أرغون شاه بتسفير بهاء الدين أبي حامد ولد القاضي الشافعي إلى الديار المصرية في سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م على خيل البريد مكرماً معززاً [٥٧] . ومنها أيضاً : مجيئ مرسوم في سنة ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م بطلب الشيخ بهاء الدين أبي البقاء السبكي الشافعي إلى القاهرة على خيل البريد مكرماً[٥٨].

- الإخبارعن الإذعان لطاعة السلطان : لما استقر السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية أذعن له الأمراء ، ودانوا له بالولاء والطاعة ،

فأرسلوا الأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م نيابة عنهم على خيل البريد إلى السلطان الناصر يخبره بخبرهم [٥٩] .

٧- **نزول البريدية في أماكن خاصة :** ما يحمله البريدي من أخبار يمثل أهمية بالغة للمرسل ، والمرسل إليه ، ويستلزم الأمر عدم اطلاع الخصوم وغيرهم على فحوى الأخبار ، من هنا برزت الحاجة لتوفير أماكن خاصة لنزول البريدية ، لضمان عدم اختلاطهم بالناس عند وصولهم وحتى تكليفهم بمهمة جديدة . ومن ذلك : بناء السلطان الملك الظاهر بيبرس في جوار دار السعادة من شرقيها دوراً خاصة للبريدية ، وأجرى إليها الماء ليستغنوا بها عن النزول على الناس [٦٠] ، ومنه أيضاً : ما ذكره المقريزي عن نزول البريدية في زمنه بالمدرسة القراسنقرية المنسوبة للأمير قراسنقر المنصوري نائب السلطنة ، وذكر أنهم لا ينزلون في غيرها حتى يتهيأ سفرهم ، وأخبر أن هذا الأمر توقف من سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م[٦١] .

٨- **إرسال القصاد إذا تعذر وصول البريدية إلى ناحية من النواحي :** إذا كانت هناك مهمة سلطانية تقتضي إيصال مكاتبة بملطف عن الأبواب السلطانية إلى بعض النواحي وتعذر إيصاله على البريد لحيلولة عدو في الطريق أو انقطاع خيل البريد من المركز السلطانية لعارض ، انتدب كاتب السر بأمر السلطان من يعرف بسرعة المشي وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطف إلى المكتوب إليه والإتيان بجوابه ، وربما كتب الكتابان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل منهما صحبة قاصد مفرد خوف أن يعترض واحد فيمضي الآخر إلى مقصده كما هو الحال في بطائق الحمام الرسائلي ، وهؤلاء القصاد في الغالب عند خوف العدو يمشون ليلاً ويكمنون نهاراً ، وإذا مشوا في الليل يأخذون جانباً عن الطريق الجادة، يكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم

حتى لا يسمع لهم حس ، فإذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدتهم على مكان يتلاقون فيه في وقت المسير[٦٢].

٩- ما يطرأ على البريدي من أحوال :

ـ قد تحصل شفاعة في المقبوض عليهم الذين يرسلون في البريد إلى ناحية من النواحي ، فيردهم البريدي ثانية قبل وصولهم ، من ذلك : أن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون أمر في سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م بحمل الأمير أرجواش نائب قلعة دمشق على خيل البريد إلى مصر مقيداً ، فتوجه به صاحب البريد ، ثم حصلت الشفاعة فيه ، فرد من أثناء الطريق ، ثم أفرج عنه السلطان وأعاده إلى نيابة القلعة [٦٣] .

ـ وقد يحمل البريدي أحدهم إلى مكان بموجب أمر، ثم يلحقه آخر يرده بموجب أمر آخر، ومن ذلك : أن خمسمائة من الصوفية ، وفيهم شيخ الشيوخ كريم الدين الآملي اشتكوا للقاضي الشافعي في سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م أن الشيخ ابن تيمية كثير الانتقاد لآراء ابن عربي ، فلم يثبت من ذلك شيئ ، ثم جرى الحديث عن الإستغاثة بالأولياء ، ورأي ابن تيمية في عدم جوازها ، فعنفه القاضي على رأيه ، وحكم بتعزيره بأن خيره بين المسير إلى الإسكندرية أو إلى الشام بشروط ، وبين الحبس ، فاختار الحبس ، فأشار عليه بعض أصحابه بالذهاب إلى الشام ، فاختارها، فأركب على البريد ، فلما ذهب لحقه بريدي آخر فرده من أثناء الطريق، ثم أحضره إلى القاضي الذي أخبره أن السلطنة لا ترضى إلا بحبسه ، فحبس [٦٤].

ـ وقد يتم إعاقة سفر البريدي لهدف خاص ، من ذلك : أن نائب حلب الأمير ألطنبغا المارداني كتب كتاباً سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ولم يكتب لنائب الشام سيف الدين تنكز يعلمه بذلك ، وطلب من

البريدي أن لا يسلم الكتاب إلا للسلطان نفسه ، لكن البريدي أعلم نائب الشام بذلك لما قدم على دمشق ، فطلب نائب الشام أن يطلعه على الكتاب ، لكن البريدي رفض ذلك ، وتعلل بأن أستاذه طلب منه أن لا يسلم الكتاب إلا للسلطان، فما كان من نائب الشام إلا أن أعاق سفر البريدي يوماً كاملاً ، وأرسل قبله للسلطان يشتكي عصيان نائب حلب له ، فوصل كتاب نائب الشام قبل كتاب نائب حلب ، وقرأ السلطان الكتابين وفهم العدواة بين نائب الشام ونائب حلب(٦٥).

ــ وقد يكلف البريدي بحمل رسالة إلى شخص ، فإن لم يجده يذهب إلى آخر : فقد كتب نائب حلب الأمير ألطنبغا في سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م صحبة البريدية كتاباً إلى أرقطاي يعرفه أن الأمير مغلطاي الغزي خرج في الليل صحبة أربعة مماليك ولم تعلم وجهته ، وطلب منه أن يكون مترقباً لأخباره ، وأخبر البريدي أنه إذا لم يجده ، فإن عليه التوجه إلى صاحب حماة لإخباره بخبر مغلطاي (٦٦).

ــ وقد يتطلب الأمر تكليف عدد من البريدية بنقل خبر عاجل ، ومن ذلك : تواتر البريدية في سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م بأمر الاحتياط على الأمير يلبغا وعلى من معه ، وعلى أموالهم وأملاكهم ؛ وكان يلبغا قد قدم مقيداً على إكديش ــ وهو الحصان الهجين الأعجمي في مقابل العراب ــ ووالده كذلك (٦٧) .

ــ وقد تطلب شهادة البريدي في واقعة لكونه على اطلاع بما يرسل إلى السلطان ، ومن ذلك : أن نائب الشام أرغون شاه واجه القاضي علاء الدين بن شمريوخ في سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م بالبريدية عندما أنكر مكاتبته للسلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون بشأن توليته للمدرسة الشامية البرانية ، وقد سبق أن ولاها نائب الشام لولد القاضي تاج الدين السبكي ، واعتبر النائب أن ابن شمريوخ يريد أن يتجاوز أمره بمكاتبتة للسلطان خفية ، فقبض على ابن شمريوخ ، وقيل ضربه بالسيف فقطع بعض أكوار عمامته ، ثم ضربه بين يديه

ضرباً كثيراً ، بعدها سلمه إلى مشد الدواوين ، حيث استخلص منه المال ، واحتجزه بالمدرسة العذراوية ، ونهب داره ، وعزله من مناصبه التي كان يتقلدها (٦٨) .

ـ وقد تصل أوامر السلطان مجملة على يد بريدي ، وتكون بحاجة إلى تفصيل، فيطلب الأمر ارسال بريدي آخر ، ومن ذلك : مجيئ الأخبار في ثامن شهر ذي القعدة من سنة ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م إلى الشام بأمر السلطان مجملة على يد البريدي ، ثم وصل في ثاني عشره بريدي آخر وأخبر بتفاصيل الأمور (٦٩) .

ـ وقد يكلف البريدي بالإحتياط على موجودات شخص ، ومن ذلك : أمر السلطان الظاهر برقوق للبريدي منطاش بأن يتوجه إلى الشام على خيل البريد في سنة٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م ، وأن يقوم بمصادرة جميع موجدات غريمه نائب الشام الأمير بيدمر الخوارزمي (٧٠) .

ـ وقد يحمل البريدي الأخبار الكاذبة ، وبداهة ينعكس ذلك على مصداقيته أمام المرسل إليه ، لكن المصادر المتاحة لا تخبرنا عن المصير الذي يترتب على البريدي إزاء ذلك . ومن أمثلته : قدوم بريدي في يوم الأربعاء أول شهر صفر من سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م على يده كتاب مفتعل بدخول المنصور حاجي بن الأشرف شعبان دمشق ، وهروب الظاهر برقوق ، فقامت الفتنة بين الأمير صراي تمر نائب الغيبة ، وبين الأمير تكا المقيم بالقلعة ، وكل منهما ينافس الآخر ، ويحترز منه ، حتى اشتهر كذب هذا الخبر (٧١) . ومنه أيضاً : أن البريد قد قدم في ثالث عشرين جمادي الآخرة من سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م بأن الأمير نعير بن حيار قبض على الأمير منطاش ، فزينت القلعة ، ودقت البشائر ، ثم تبين كذب هذا الخبر (٧٢) . ومنه كذلك : قدوم البريد في ثالث رجب من سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١م بخبرقتل الأمير منطاش ، ولم يصح (٧٣) .

- وقد يوجه البريدي لأمر ما ، لكن مهمته لا تتحقق ، فيرجع دونما طائل ، ومن ذلك : توجه أسندمر الخاصكي [٧٤] على خيل البريد في سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م لإحضار علاء الدين علي بن الطبلاوي من القدس ، فورد في غده بأن نائب الشام تتم استدعاه إلى دمشق ، وأنه سار إليه [٧٥] .
- وقد يحمل البريدي للسلطان سيف من أسر أو مات للدلالة على صدق الواقعة: ومن أمثلة ذلك : قدوم البريد في شهر رجب من سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م بسيف الأمير منكلي بغا البلدي نائب حلب ، وأنه سجن بقلعتها [٧٦] . ففي الثامن من ربيع الأول سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م جاء البريد بسيف الأمير بيدمر نائب الشام بعد خروجه عن طاعة السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، ثم إلقاء القبض عليه وسجنه ومن معه من الأمراء بقلعة دمشق [٧٧] . كما جاء البريد في السادس والعشرين من شوال سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م بعشرين سيفاً من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم في بلاد الشام بسبب خروجهم عن طاعة السلطان الظاهر برقوق [٧٨] . وفي تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م قدم البريدي من دمشق يحمل ثلاثة عشر سيفاً من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق ، وجيئ بسبعة سيوف عن طريق البريد في الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى ، منها سيف الأمير ألطنبغا الحلبي ، وسيف الأمير دمرداش اليوسفي [٧٩] . وأخبر البريد في رابع شهر ربيع الأول من سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م عن وفاة الأمير سيف الدين أرغون شاه الإبراهيمي نائب حلب . قال المقريزي : " وأحضر سيفه على العادة " [٨٠] ، وهذا دليل أن العادة جرت في إحضار البريدي لسيف من مات من الأمراء الكبار .
- وقد يحمل البريدي رأس من قتل للدلالة على قطعية الحدث : ومن ذلك : قدوم البريد في التاسع عشر من شهر شعبان سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م برأسي أيتمش وفارس ، فعلقتا على باب زويلة [٨١] .

ــ وقد يكلف البريدية بإذاعة أمر عام ، أو أن يحملوا رسائل تأمر بفعل شيئ لازم. من أمثلة ذلك : ما حدث بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون سنة٦٨٩هـ/١٢٩٠م، حيث أرسل الوزير علم الدين الشجاعي البريدية إلى البلاد والأقاليم لإذاعة خبر وفاة الملك المنصور قلاوون ، وتسلطن ولده الأشرف خليل[٨٢] . ومنه أيضاً : ما حدث بعد تسلطن الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م ، فقد جاءت البريدية بالمكاتبات التي تأمر بالاحتياط على الطرقات وعلى الملك العادل زين الدين كتبغا ، وبقي الناس في هرج وأقوال مختلفة في يوم الجمعة العاشر من شهر صفر ، وأبواب مصر مغلقة سوى باب النصر وباب القلعة، والعامة حول القلعة حتى سقط منهم طائفة في الخندق ، فمات بعضهم ، واستمر الأمر إلى يوم الأحد حيث عزل العادل ونصب المنصور لاجين بدلاً عنه ، ونودي بذلك ، وأن يفتح الناس دكاكينهم [٨٣] .

ــ وقد يكلف البريدي مشافهة بنقل خبر ، أو أن يقف على حال شخص ، أو أن يحضره ، ويكون بذا مفوضاً عن مرسله ، ومن أمثلة ذلك : أنه لما ولي الأمير طيلان نيابة غزة في سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م أوصاه نائب الشام الأمير تنكز على نواب قرطاي ، وأن يقوم بتوصيل ما يستحقونه من إقطاع إليهم ، لكن طيلان عاملهم معاملة سيئة ، وانتهى أمره مع نائب الشام إلى قال للبريدي مشافهة : " قول لنائب الشام : هو نائب السلطان ، وأنا نائب السلطان ، وما له علي ولاية ، وإذا كان أستاذي يكتب إلي بشيئ أكتب جوابه إليه " ، وزاد في إيذاء نواب قرطاي وأمراء طرابلس وجندها ، كما صادر بعض الحجاب ، فركب ولد الحاجب وخرج من طرابلس إلى نائب الشام وعرفه بما حدث ، فكتب نائب الشام إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يعرفه ما حدث ، وأن

يسمع تفاصيل ذلك من ولد الحاجب، ولما وقف الناصر على تفاصيل الأمـــر ، رسم بعزل طيلان عن غزة ، كما رسم بأن تضاف ولاية غزة إلى نائب الشام بجميع أمورها (٨٤) . ومنه أيضاً: ارسال نائب الشام سيف الدين تنكز إلى نائب صفد سيف الدين أيتمش بريدياً بيده رسالة يعاتبه فيها ، وينكر عليـــه مكاتبتـــه للسلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة٧٣٦هـــ / ١٣٣٥ م بشأن شفاعته للأمير آقبغا الحسني الذي كان يعاقر الخمر، على الرغم من تحذيره له بعدم فعل ذلك ، وطلب تنكز من البريدي أيضاً أن يبلغ أيتمش مشافهة غضبه من فعلتـــه ، وأن يأخذ جوابه ، فلما قرأ أيتمش الرسالة واستمع إلى مشافهة البريدي عظم عليـــه الأمر ، ورد جواباً أغضب البريدي ، حيث ذكر له أن مكاتبته للسلطان ليس من شأن نائب الشام تنكز أن يمنعها ، لأنه يعمل بأمر السلطان وليس بـــأمر نائـــب الشام ، فنقل البريدي مشافهة جواب أيتمش إلى نائب الشام تنكـــز ، فغـــضب وأرسل مملوكه قرمشي للتثبت من صحة نقل البريدي للخبـــر . ولمـــا قـــدم قرمشي على نائب صفد أيتمش وذكر له ما قاله البريدي عنه عند نائب الـــشام تنكز ، أكد أيتمش صحة جوابه وزاد فيه ، موجهاً كلامه لقرمشي بقوله: " مهما كان أستاذك نائب الشام لا دخلت تحت أحكامه أبداً ولا كاتبته ، ولا أسمع مـــا يأمرني والسلام " ، ولما جاء الجواب أيضاً مشافهة لتنكز كاتب السلطان بشأن عصيان أيتمش وأخبر بأنه يأمر الجند بشرب الخمر ولعب النرد ، لكن الأمر لم يدم طويلاً ، فقد مات أيتمش بعدها بأيام معدودة (٨٥) . ومنـــه أيـــضاً : طلـــب السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ســـنة ٧٣٧ هـــــ / ١٣٣٦ م حـــضور الأمير علم الدين سنجر الحمصي إلى مصر مشافهة مع البريدي ، فلما حـــضر سنجر إلى مصر قلده شد الدواوين بدلاً من بدر الدين لؤلؤ (٨٦) .

١٠- أسماء البريدية :

ذكرت المصادر المملوكية أسماء العديد ممن عملوا في البريد ، والمهام التي أوكلت إليهم ، ومن أولئك : علم الدين شقير مقدم البريدية الذي توجه إلى مصر صحبة السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م [٨٧] .

ويخبر المؤرخ بيبرس المنصوري صاحب كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية عن تعيينه مسؤولاً سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م عن تلقي البريدية الواردين والصادرين عن الأبواب السلطانية ، وتنفيذ المهمات المتعلقة بالرسائل والمكاتبات[٨٨] .

وكان بلبان القصاص من أكابر البريدية في حلب ، ومن المهام الخطيرة التي كلف بها ، أن نائب حلب طلبه ووعده بإمرة في سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م إذا أدرك الأمراء وأوقفهم على الكتب التي جاءت من مصر ، وأمره أن يلحق بهم ولو دخلوا في البلاد ، فركب بلبان من حلب على طريق الفرات ، وساق تلك الليلة إلى بكرة النهار ، والتقى بأيدغدي شقير ، وكجكن، وبالوج ، ومعهم الأمراء الخاصكية وبعض الأمراء المجردين من مصر والشام ممن كانوا يلوذون بدولتهم ، فلما التقوه سأله أيدغدي عن وجهته ، وعن الذي بعثه ، فأصدقه القول، ثم سأله عن سبب ابتعاثه ، فأنكر علمه بذلك ، بعدها سأله عن الكتاب الذي يحمله ، فأنكر حمله للكتاب ، وأخبره أنه فقط يحمل مشافهة ، لكن أيدغي لم يصدقه ، واحتاط عليه ، وفتح جرابه فوجد فيه كتب الأمراء يعرفون الأمير قفجق بجميع ما اتفق من قتل لاجين ومنكوتمر وما استجد من وقائع ، وقد كتب نائب حلب إليهم فيها أن الأمر قد انقضى وطلب منهم الرجوع ، وترقق لهم في القول ، فلما وقفوا على ذلك اتفق رأيهم أن يطلقوا سراح بلبان من غير الكتب ، فأخبرهم بلبان بأنهم إن لم يعطوه الكتب ، فإن من بعثه إليهم لن يصدقه ، فشاطروه الرأي وأعطوه الكتب ، فذهب إلى حال سبيله [٨٩] .

وكان أيدكين من البريدية ، ثم ولي ولاية القـاهرة ٧٣٤ هـــ / ١٣٣٣ م فأضحى شديداً على الناس ، وتتبع عورات المساتير منهم ، وقام باستصفاء أموالهم، واستغله النشو ناظر الخاص في النيل من الناس وإيقاع الأذى بهم ، لكنه في المقابل بطش بالمفسدين من شاربي الخمر والمغنيين (٩٠) .

وسافر سرطقطاي مقدم البريدية بأمر من السلطان الناصــر محمــد بــن قلاوون سنة ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦ م صحبة التاجر عمر إلى بلاد أزبك ، حيث حملا إليه هدية ، كما حملهما كتباً لنائب قرم ، ونائب الروم ، وزودهما بعــشرين ألــف دينار (٩١) .

ويخبر عبد الله البريدي أن الشيخ محمد المرشدي الصوفي الزاهد ، صاحب الكرامات عندما دخل إلى مصر في سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م أطعمه أشياء كثيرة في غير أوانها ، مثل البطيخ الأخضر وغيره من الفواكه (٩٢) .

ومن الذين تسند لهم المهام في توصيل البريد الأمير سيف الدين طاغجــار المارديني الناصري الدوادار (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) ، وكان مغرماً بالرقص، حتى قيل إنه يركب البريد في المهمة الموكلة إليه ، فإذا نزل يستريح قام يــرقص إلى أن يركب (٩٣) .

ومن الذين أنعم عليهم السلطان المنصورعلي بن الأشرف شــعبان بــأمرة عشرة في سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م البريدي يوسف بن شادي (٩٤) .

ومن البريدية الذين ترقوا حتى بلغوا أعلى المناصب أحمد بن سنقر الــذي عين لولاية الغربية في عاشر شهر رمضان مــن ســنة ٧٨٢ هـــ / ١٣٨٠ م . وألطنبغا البريدي الذي استقر في ولاية البهنسا في ســنة ٧٩٨ هـــ / ١٣٩٥ م ، عوضاً عن الصارم إبراهيم الشهابي (٩٥) .

وقد كلف السلطان الظاهر برقوق البريدي منطاش بأن يتوجه إلــى الــشام على خيل البريد في سنة ٧٨٨ هـــ / ١٣٨٦ م ، وأن يقــوم بمــصادرة جميــع

موجدات نائب الشام الأمير بيدمر الخوارزمي ، وأن يرسم علـــى نــسائه وأولاده وعياله وألزامه ، حتى على عبيده وجواريه وطواشيته ومماليكه ، وعلى جميع من يلوذ به(٩٦) .

وشهاب الدين أحمد بن حسن بن علي بن بلبان البريدي ، المعروف بـــابن خاص ترك ، استقر في شد الدواوين في سنة ٨٠٠ هـــ / ١٣٩٧ م ، عوضاً عـــن الحسام حسين بن أخت الغرس ، بإمرة عشرة (٩٧) .

وكان مقدم البريدية طغاي تمر ضمن الوفد الذي بعثه السلطان الناصر فرج بن برقوق إلى نائب الشام الأمير تنم في سنة ٨٠٢ هـــ / ١٣٩٩ م ، حيث كتـــب السلطان لتنم أماناً ببقائه على نيابة الشام (٩٨) .

ومن المهام التي كلف بها مقدم البريدية طغيتمر ، قدومه إلى مـــصر فـــي سنة٨٠٣ هـــ / ١٤٠٠ م بخبر أخذ تيمورلنك لـــسيواس ، وأنـــه قاصـــد مملكـــة الشام(٩٩)، ومنها أيضاً : إيصال طغيتمر لكتاب الأمان الذي كتبه السلطان الناصـــر فرج سنة ٨٠٧ هـــ / ١٤٠٤ م للأمير جكم بتخييره بين الحضور إلـــى مـــصر أو الإقامة بالقدس (١٠٠) .

وبعث الأمير شيخ نائب الشام في شهر رجب من سنة ٨١١ هـــ / ١٤٠٨م مقدم البريدية بمصر طغاي تمر مع بعض الأمراء إلى قلعـــة الـــصبيبة فـــسجنوا فيها(١٠١) .

أما البريدي شويخ فقد قدم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من المحـــرم سنة ٨١٧ هـــ / ١٤١٤ م مخبراً أن السلطان المؤيد شيخ دخل غزة ، وهـــو فـــي غاية البهاء والعزة ، وكان دخوله لها في يوم الثالث والعشرين من المحرم من ذات السنة، وقصد التوجه إلى الشام يوم الجمعة التاسع والعشرين (١٠٢) .

وكلف السلطان الأشرف برسباي مقدم البريدية خش كلدي بنقل كتاب إلى نائب حلب الأمير قرقماس في شهر رمضان من سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م يطلب منه الخروج إلى العمق، وجمع العساكر لأخذ قيصرية (١٠٣) .

والبريدي مبارك شاه بعثه السلطان الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباي في سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م صحبة مراد قاصد الأمير حمزة بك بن قرايلك و شمس الدين القلمطاوي أحد موقعي حلب ، وحمل مبارك جواب السلطان على كتاب الأمير حمزة بشكره والثناء عليه ، وتشريف له بنيابة السلطنة بممالكه ، وفرس بقماش ذهب ، وهدية ثمينة ما بين قماش اسكندري وسلاح وغيره ، كما حمل أجوبة للأمراء المجردين عن كتبهم ، والأمر بحضورهم إلى مصر (١٠٤) .

واستقر مقدمي البريدية الأمير سيف الدين أسنبغا بن عبد الله الناصري الطياري بوظيفته بعد موت بيبغا بن عبد الله الظاهري في سنة٨٣٣هـ/١٤٢٩م(١٠٥).

وأبوبكر جركس (ت ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م) من مقدمي البريدية أيضاً ، وأحد الحجاب بمصر ، كان رئيساً حشماً ، كما كان ابن برد بيك ، أحد الحجاب ورأس باش البريدية (١٠٦).

١١- **استخدامات البريد** : كان البريد يستخدم في زمن المماليك في كثير من الأمور الهامة التي تحتاجها السلطنة وخاصة في تصريف العاجل من الأمور ، وتتنوع الاستخدامات بحسب ما تتطلبه الحاجة ، وفيما يلي بعض استخدامات البريد:

الاستخدام الأول : نقل الأخبار المتعلقة بالسلطان نفسه : وهي أيضاً متنوعة: فمنها متعلق بجلوسه على كرسي السلطنة وأخذ البيعة له ، ومثاله : قدوم البريد إلى دمشق بأخذ البيعة للسلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في

الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ، فضربت البشائر في القلعة ، وزينوا دمشق لهذه المناسبة (١٠٧) . ومنها أيضاً : أن البشائر دقت ، ونودي بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور محمد بن حاجي بن النلصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م ، وسارت البريدية في البلاد تخبر بهذا الحدث (١٠٨) .

ومنها ما هو متعلق بأسفاره ، وأمثلته : قدوم البريد في يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م من قطيا مخبراً بأن السلطان الظاهر برقوق نزل بها هو ومن معه، وهم في غاية الأمن والسلامة (١٠٩) . وفي يوم الأربعاء أول المحرم من سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م ورد البريد مخبراً بأن السلطان المذكور يدخل غزة في ثالثه ، وفي حادي عشره ورد البريد مخبراً بأن السلطان حل ركابه بقطيا (١١٠) . و في ثاني شوال من السنة ذاتها جاء البريد بخبر دخول السلطان الظاهر دمشق ، كما جاء في تاسع عشره بتوجه السلطان نفسه إلى حلب(١١١) . وعن رحيل السلطان ذاته عن غزة في العشرين أخبر البريد أن ذلك كان في جمادى الأولى سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م (١١٢) . وورود البريد في شهر المحرم من سنة ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٤ م بأن السلطان الظاهر برقوق لما وصل إلى الرملة توجه لزيارة القدس الشريف، فزاره وتصدق فيه ، وصنع خيراً كثيراً (١١٣) . وسير البريد في ثامن شهر رمضان من سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م إلى القاهرة بخروج السلطان الناصر فرج بن برقوق من دمشق متوجها إلى مصر فدقت البشائر ثلاثة أيام بقلعة الجبل ، ونودي في القاهرة أن يبيض الناس حوانيتهم وظواهر أملاكهم وأن يكثروا من القناديل التي تعلق على الحوانيت فرحة بقدوم السلطان (١١٤) . وحضور بريدي في يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م وأخبر أن السلطان المؤيد شيخ وصل إلى دمشق وقصد

الديار المصرية ، ورسم لإبراهيم ولده أن يتوجه لملاقاتـه ومعـه جماعـة مـن المماليك[115] .

ومنها ما هو متعلق بحروبه مع الأعداء ، وأمثلة ذلك : مجيئ البريد مخبراً بوصول السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجيشه إلى الشام لملاقاة جيش التتـار في سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م [116] . وقدوم البريد فـي شـهر ذي الحجـة مـن سنة٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م من الإسكندرية مخبراً بوصول خواجا علي شقيق الخواجا عثمان ومعه جميع من أسرهم الفرنجة من أقارب السلطان الظاهر برقوق [117] . و في سادس شهر صفر من سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م قدم البريد من قطيـا بكتـاب الملك الظاهر برقوق إلى الأمير علاء الدين الطشلاقي والي قطيا بحفظ الـدرب ، والقبض على من انهزم ، وإعلامه بالنصرة على الأمير منطـاش الخـارج عـن طاعته، وفراره [118] . ومجيئ البريد في السنة ذاتها مخبراً بنزول السلطان الظاهر برقوق إلى الصالحية بعد انتصاره على غريمه الأمير منطاش ، فخرج الناس للقائه فرحاً بهذا الانتصار [119] . وورود البريد في السادس عشر من شهر ذي الحجـة سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م مخبراً بأن السلطان الظاهر رجع إلى دمشق في ثالـث عشره ، وأنه قتل الأميـرين ألابغـا العثمـاني ، وسـودون بـاق [120] . وفـي سنة٨٠٣هـ/ ١٤٠٠ م جاء البريد بخبر أن السلطان الناصر فرج بن برقوق واقع طائفة من عسكر التركمان أصحاب تيمور لنك وأن مرزا شاه بن تمـر وصـهره نور الدين قتلا ، كما قتل قرايلك بن طر الي التركماني [121].

ومنها ما هو متعلق بمراسلاته مع نظرائه من السلاطين والملوك وخلافهم. فالبريد هو الذي يحمل هذه الرسائل وقد فصل القلقشندي ذلك ، فهناك المراسـلات المتعلقة بانتقال السلطنة إلى السلطان ، ويعبر عن ذلك بجلوسه على تخت الملـك ، وجرت العادة في ذلك التعزية بالسلطان الماضي ، والتهنئة بالسلطان المستقر ، وما

يجري مجراه ، ومثال ذلك : البشارة التي كتبت بمناسبة جلوس الملك الصالح صالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون على التخت في شهر رجب من سنة٧٥٢هـ / ١٣٥١ م بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن ، وصورتها بعد الصدر والألقاب: " وأورد عليه من البشائر أسنى البشر ، وأسمعه من التهاني ما انتشى حديثه بين البرايا وانتشر " ، ثم يوجه النظر إلى كون المكاتبة للشخص معين بقوله: "صدرت المكاتبة إلى فلان ... " ، ثم يخبره أن البيعة كانت شرعية بقوله : " اجتمعت الأمراء ، واتفقت الكلمة على خلعه من الملك الشريف ، وإقامتنا ، فخلع المشار إليه ، وكان جلوسنا على تخت الملك الشريف وكرسي السلطنة المعظمة في يوم الإثنين المبارك بحضور الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين أبي الفتح أبي بكر بن الإمام المرحوم أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان المستكفي بالله ، ومبايعته لنا ، وحضور المجالس العالية قضاة القضاة بالأبواب الشريفة أعز الله أحكامهم ، وحلف لنا أمراء الدولة الشريفة على جاري العادة في ذلك ، وضربت عند ذلك البشائر " ، ثم يطلب إذاعة هذا الخبر بارساله إلى كافة المعنيين به بقوله :" فليأخذ المقر حظه من هذه التهنية ، وليذع خبرها لتكون المسار معيدة ومبدية " (١٢٢) .

ومن المراسلات السلطانية التي يحملها البريد ما هو مختص بالحث على الجهاد ، والسلطان يحتاج لمثل هذه المكاتبات عند الحوادث التي تحدث من تطرق المخالفين إلى بعض الثغور ، أو شن الغارة على أهل الإسلام ، لذا يكتبها للمناصرين له من ملوك وسلاطين المسلمين ، فضلاً عن نوابه الذين عليهم حماية سلطنته، فهو يدعوهم إلى الجهاد ومقارعة العداء ، وصون حرمة الملة (١٢٣) . ومثال ذلك ما كتبه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، إذ كتب عن الملك في أوقات حركات العدو إلى أهل الثغور يعلمهم بالحركة والاستعداد للقاء عدوهم في " وصف العزائم ، وقوة الهمم ، وشدة الحمية للدين ، وكثرة العساكر والجيوش ،

وطي المراحل ، وسرعة الحركة ، ومعالجة العدو ، وتخيل أسباب النصر ، والوثوق بعوائد الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبسط آمالهم ، وحثهم على التيقظ ، وحضهم على حفظ ما بأيديهم من ذلك وما أشبهه " (١٢٤) .

ومن المراسلات السلطانية التي يحملها البريد ما يحث على لزوم الطاعة وذم الخلاف ، وتشتمل هذه المراسلات الحث على طاعة السلطان والانقياد له ، والرجوع إلى رأيه والاعتماد عليه (١٢٥) ، وتوجه عادة إلى نواب السلطنة ومن هم قد دخلوا في حلفه من الملوك المجاورين لسلطانه ، وقد يتوسع الأمر في التحذير من الدخول في طاعة أعداء السلطان ، وتعنيف من سالمهم وناصرهم ، ومن ذلك ما كتبه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي إلى متملك سيس عند هزيمة التتار ، بعد قيامه بنصرتهم وإعانتهم بقوله : " بصر الله برشده ، وأراه مواقع غيه في الإصرار على مخالفته ، ونقض عهده ، وأسلاه بسلامة نفسه عمن روعته السيوف الإسلامية بفقده " (١٢٦) .

ومن المراسلات السلطانية التي يحملها البريد ما هو متعلق بالكتابة إلى من نكث العهد من المخالفين . ذكرالقلقشندي أن هذا الصنف لا وجود له في زمانه لعدم وقوع الهدن المترتب عليها هذا الصنف من المكاتبات ، فإن احتيج إلى ذلك كتبه الكاتب على القاعدة القديمة من مثل قوله : " الحمد لله تعالى على موهبته في إظهار الدين ، وإعزاز المسلمين ، وما تكفله من النصر على الباغين ، ووعده به أهل العدل من الأدلة والتمكين ... " ، ثم يذكر الحال التي انعقدت الهدنة عليها ، وأن الإجابة إليها لم تقع قصوراً عن غزوهم في عقر دارهم ، وتشتيتهم بالغارات براً وبحراً ، وإنما قبولاً لمساءلتهم ، وامتثالاً لأمر الله في مسالمتهم ، ثم يذكر أن الله أباح حرمة من نقض عهده ، وان كتائب الله موجفة وراء هذا الكتاب ، في جيش منيع ، ثم يلفت النظر إلى ما هو مبتغى منهم إن أرادوا الاعتذار والتوبة(١٢٧).

ومن المراسلات السلطانية التي يحملها البريد ما هو متعلق بالخارجين عن الطاعة وتحذيرهم شر فعلتهم ، ومن كراهية المعصية ومرارتها وعذوبة الطاعة وحلاوتها [١٢٨] .

ومن المراسلات السلطانية التي يحملها البريد ما هو متعلق بالفتوحات والظفر بأعداء الدولة والملة ، واسترجاع المعاقل والحصون ، والاستيلاء على المدن ، وتشتمل هذه المراسلات على عبارات إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين ، وتوقير حظهم من التاييد والتمكين[١٢٩]، وعادة يحمل البريد أخبارها إلى جميع نيابات السلطنة ، وخاصة دمشق بوصفها أكبر نيابات الشام . ويستخم البريد أيضاً في نقل المراسلات السلطانية المتعلقة بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة ، وذلك " لأن من أخلاق العامة تقبيح سيرة السلطان إذا زل في بعض آرائه ، والإزدراء على تدبيره في جيش يجهزه فيكسر"[١٣٠] ، لذا فإن الأمر يتطلب مكاتبة النواب بشأن الاعتذار للناس عن السلطان ، بحيث يتضمن ذلك تقوية العزائم ، ودفع الوهن ، وشكر الله على كل حال.

ومن المراسلات السلطانية الأخرى التي يحملها البريد ما يتعلق بتوبيخ المهزوم وتقريعه والتهكم به ، والمراسلات بالتضييق على أهل الجرائم ، والكتب في النهي عن التنازع في الدين ، والمراسلات بالأوامر والنواهي ، والمراسلات عن حدوث الآيات السماوية كالزلازل ، والرياح ، والأمراض كالطاعون ، والمراسلات على شرف مواسم العبادات وشريف الأزمنة، والمراسلات بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد وما ينخرط بسلكها ، والمرسلات بالبشارة بوفاء النيل ، والبشارة بالسلامة في الركوب لفتح الخليج في الوفاء ، والمراسلات فيما يكتب بركوب الميدان الكبير بخط اللوق عند وفاء النيل ، والمراسلات بحج الخليفة

أو السلطان ، والمراسلات بالإنعام بالتشاريف والخلع ، والمراسلات عن السلطان بعافيته من مرض ، وغير ذلك [١٣١] .

الاستخدام الثاني : أخبار السلطان مع أعدائه : وأعداء السلطان كثيرون كالأمراء الخارجين عن طاعته الذين تراوحت أخبارهم بين عصيانهم ، أو دخولهم في الطاعة ، أو إلقاء القبض عليهم ، أوقتالهم ، أو قتلهم ، ومن أمثلة ذلك : إذعان الملك المسعود جمال الدين خضر وشقيقه بدر الدين سلامش للسلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م بعد انقطاع الميرة وتفرق الأمراء عنهما ، فأرسلا البريد إليه بالتزامهما طاعته [١٣٢] . وقدوم البريد من الديار المصرية في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م وإخباره بقتل الأمراء : يلبغا، وبيدمر البدري ، وطغاي تمر الدوادار ، وقتل محمود بن شروين الوزير ، وكان السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون قد اتهمهم بممالأة الأمير يلبغا ، فقبض عليهم ، وأخذ أموالهم ، وأخرجهم إلى الشام ، ثم أرسل خلفهم من قتلهم [١٣٣] . وورود البريد في شهر صفر من سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م بأن الأمير تمر باي الدمرداشي لم يخضع لأمر عزله عن نيابة صفد ، وخرج عن الطاعة [١٣٤] . و في الثامن من ربيع الأول سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م قدم البريد بسيف الأمير بيدمر نائب الشام بعد خروجه عن طاعة السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، ثم إلقاء القبض عليه وسجنه ومن معه من الأمراء بقلعة دمشق [١٣٥] . وأخبر البريد في الخامس من شهر ربيع الآخر من سنة٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م بأن ثلاثة عشر من أمراء دمشق قد خرجوا بمماليكهم إلى حلب نصرة للأمير يلبغا الناصري الخارج عن طاعة السلطان الظاهر برقوق ، فواقعه نائب دمشق ، وجرح منهم عدة [١٣٦] . وفي السنة ذاتها قدم البريد في شهر شوال وأخبر بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص قد خرجوا عن الطاعة ، وقبضوا

على الوالي [١٣٧] . وفي ذات الشهر من السنة قدم البريد وأخبر عن خروج الأمير كمشبغا الحموي نائب حلب عن الطاعة ، وأنه حارب إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار ، وقبض عليه ووسطه هو وشهاب الدين أحمد بن عمر بن أبـــي الرضـــا الشافعي قاضي حلب بعد أن قاتلوه [١٣٨] . وفي أول شهر ذي الحجة من السنة ذاتها قدم البريد من الصعيد وأخبر بأن العسكر المجرد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الخارجين عن طاعة السلطان الظاهر برقوق بمدينة قوص ، وقبضوا عليهم كلهم ؛ فدقت البشائر فرحة بذلك ثلاثة أيام [١٣٩] . وأخبر البريدي في السادس والعشرين من صفر سنة ٧٩٢ هـــ / ١٣٨٩ م بفرار الأمير طغاي تمر القــبلاوي من دمشق إلى حلب في نحو مائتين من المماليك المنطاشية ، وقدم منهم إلى صـــفد نحو ثلاثمائة مملوك وأخبروا بسوء حال منطاش في دمشق [١٤٠] . وقدم البريد في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من نفس السنة مخبراً بأن تجريدة خرجت من دمشق لمحاصرة صفد مع الأمير قطلوبغا الصفوي ، فدخلوا بأجمعهم في طاعة السلطان الظاهر برقوق [١٤١] . وفي الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى من السنة ذاتها أخبر البريد بأن الأميرمحمد بن أينال اليوسفي حضر طائعاً إلى دمشق ، ومعه عسكر الأمير منطاش في نحو مائتي فارس [١٤٢] . وقدوم البريد من دمـــشق في الحادي والعشرين من شهر رمضان للسنة نفسها يخبر بـــأن الأميـــر قـــشتمر الأشرفي حاكم طرابلس من جهة الأمير منطاش سلمها من غير قتال ، وأن حمـــاة وحمص أيضاً استولت عليهما العساكر السلطانية [١٤٣] . وفي الثالث عشر من شهر شوال لذات السنة قدم البريد مخبراً بأن الأمير أسندمر اليونسي ، وجماعة من أتباع الأمير منطاش دخلوا في طاعة السلطان الظاهر برقوق [١٤٤]. وقدوم البريد في يوم الإثنين ثالث رمضان من سنة ٧٩٥ هـــ / ١٣٩٢ م من حلب يخبر بالقبض علـــى الأمير منطاش الخارج عن طاعة السلطان الظاهر برقوق [١٤٥] .

ومن أعداء السلطان أيضاً التتار ومن ناصـرهم ، وأمثلـة ذلـك : ورود صراي تمر دوادار الأمير يونس الدوادار، ومملوك نائب حلب على البريـد فـي الحادي والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م وأخبرا بـأن العسكر المملوكي توجه صوب سيواس ، وقاتل عسكرها ، وقد استنجدوا بالتتـار ، فأتاهم منهم نحو ستين ألفاً ، فحاربوهم يوماً كاملاً ، وهزموهم ، وحاصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين ، وجرح معظمهم ، وشح الطعـام، فجهـز السلطان الظاهر برقوق مبلغ خمسين ألف دينار مصرية ، وسار بها تلكتمر الـدوادار فـي سابع عشرينه ، ثم تحرك العسكر المملوكي للرحيل عن سيواس ، فهجـم التتـار عليهم من ورائهم ، فبرز إليهم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر منهم نحو الألف ، وأخذ منهم العسكر المملوكي نحـو عـشرة آلاف فرس ، وعادوا إلى حلب سالمين [١٤٦] . وجاء البريد في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٦ هـ/ ١٣٩٣ م من حلب برجل تتري ، يقال له دولات خجا مقيداً بالحديد ، من أصحاب تيمور لنك ، قبض عليه شخص يدعى سالم الذكر[١٤٧].

ومنهم الفرنجة وأمثلة ذلك : ورود البريد من طرابلس في شـهر ربيـع الآخر من سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م بقدوم الفرنجة غزاة إليها في عشرة مراكب ، ونزولهم الى البر ، فحاربهم الأمير يلبغا الناصري نائب طرابلس ، وقتل منهم عدة، وفر الباقون فـي مـراكبهم [١٤٨] . وقـدوم البريـد فـي شـهر شـعبان مـن سنة٧٨٥هـ/١٣٨٣ م مخبراً بخروج الأمير يلبغا الناصري من حلـب بالعـسكر المملوكي للقاء الفرنجة الذين قدموا غزاة في شوانيهم واتجهوا صوب إياس ، ثـم وصولهم إلى بيروت حيث ملكوا بعض أبراجها ، فأدركهم العسكر الشامي وقتلـوا من الفرنجة نحو خمسمائة رجل ، وهرب الباقون في مراكبهم [١٤٩] . وأخبرالبريد في ربيع الآخر من سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م بنزول الفرنجة على طرابلس غزاة ،

فحاربهم العسكر المملوكي وانتصرعليهم ، وغنم منهم ثلاثة مراكب ، وقتل منهم جماعة كثيرة (١٥٠). وجاء البريد في الخامس عشر من شهر رمضان سنة٧٩٢هـ/١٣٨٩ م بخبر نزول عدة مراكب للفرنجة على طرابلس لغزوها ، فعندما أشرفوا على الميناء هبت عليهم ريح أغرقت أحد مراكبهم ، وفرقت البقية ، وكانت مراكبهم نحو السبعين (١٥١) .

ومنهم التركمان ، وأمثلة ذلك : ورود البريد بخروج التركمان عن طاعة السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، فقبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن همز التركماني في يوم الأربعاء السادس من شهر شوال سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م (١٥٢) . وفي شهر ذي الحجة من السنة نفسها أخبر البريد بأن العساكر الحلبية والدمشقية بقيادة نائب حلب الأمير تمر باي الدمرداشي انتصروا على التركمان في أول الأمر ، إلا أن التركمان كمنوا للجيش المملوكي وأوقعوا به الهزيمة (١٥٣) . وجاء البريد في يوم الإثنين السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١م بخبر إلتقاء العسكر المملوكي مع جيش ابن دلغادر وانتصاره عليه وأنهم ملكوا مدينة مرعش ، وغنموا من جيش دلغادر غنائم كثيرة ، ثم نزلوا بمدينة أبلستين (١٥٤) . وورود الخبر في شهر ذي الحجة من سنة ٧٨٥ هـ /١٣٨٣م بقتال الأمير يلبغا الناصرى للتركمان وانتصاره عليهم بعد انضمام جيش الأمير سودون المظفري إليه (١٥٥) . وقدوم البريد في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر ، فقبض في الحال على أخيه عثمان بن قراجا ، وعلى ابن أخيه إبراهيم(١٥٦) . وجاءت الأخبار عن طريق البريد في جمادى الآخرة من حلب مخبرة بأن سولي بن دلغادر تعرض لهزيمة نكراء من قبل العسكر المملوكي ، وفر هارباً بنفسه (١٥٧) . وقدوم البريد من سيس (١٥٨) . وفي الثالث والعشرين من المحرم سنة٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م جاء البريدي مخبراً بأن خليل بن دلغادر ، ونائب سيس ، جمعا تركمان الطاعة وحاربوا سولي بن دلغادر والأمير منطاش الخارج عن طاعة

السلطان الظاهر برقوق ، وقتلوا كثيراً من أتباعهم ، وغنموا ما معهم من الأمـــوال والنساء (١٥٩) . وفي يوم الثلاثاء أول شهر جمادى الأولى سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩م ورد البريد من صفد مخبراً بنزول الأمير صارم الدين إبراهيم بن دلغادر بجماعـــة من التركمان على حلب ، وأنه تقاتل هو وتمان تمر الأشرفي، فوقعت الهزيمة فـــي جيش تمان تمر (١٦٠) .

ومنهم العربان : وأمثلة ذلك : قـــدوم البريـــد فـــي شـــهر رجـــب مـــن سنة٧٨٠هـ/١٣٧٨ م يخبر بأن طائفة من عرب البحيرة الخارجين عن الطاعة ، وكبيرهم بدر بن سلام ساروا إلى الصعيد ، فلقيهم الأمير مراد كاشف الوجه القبلي وقاتلهم فقتل في الحرب معهم (١٦١) . وقدوم البريد في شهر ربيـــع الآخـــر مـــن سنة٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م مخبراً بحدوث قتال بين الأمراء المماليك وبين بدر بـــن سلام الذي كان يقود عربان البحيرة ، ثم قدوم البريد في رابع عـــشر مـــن شـــهر جمادى الأولى من نفس السنة بأن الأمر في نهايته أسفر عن قتل نحو ألـــف مـــن عرب بدر(١٦٢) . وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر رجب من سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م جاء البريد بخبر انتصار نائب حلب الأمير يلبغا الناصري على أمير العربان نعير بن حيار ونهب العسكر المملوكي منه ما لا يوصف ، وأخذ منه نحواً من ثلاثـــين بعيراً ، وتم سبي حريمه (١٦٣) . وورود البريد في يوم الإثنين أول شهر شوال من حلب وصحبته عبد الرحمن حاجب الأمير نعير ، وعلى يده كتاب يعتذر عما فعله ، ويسأل العفو والصفح والأمان ، فأجيب إلى سؤاله ، وجهز له الأمان ، وتشريف ، وتقليد بأمرة آل فضل (١٦٤) .

وقد يتفق أعداء السلطان مجتمعين عليه ، ومن ذلك : أخبرالبريد في شهر ذي القعدة من سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م بأن الأمير علاء الدين ألطنبغا السلطاني نائب أبلستين خرج عن الطاعة وهرب إلى بلاد التتار (١٦٥) . وقدوم البريـــد فـــي الثاني عشر من شوال سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م مخبراً بأن تمر بغـــا الأفـــضلي منطاش نائب ملطية خرج عن طاعة السلطان الظاهر برقوق ، ووافقه على ذلـــك

القاضي برهان الدين صاحب سيواس ، وقرا محمد التركماني ، والماجاري نائب ألبيرة ، ويلبغا المنجكي ، وعدة من المماليك الأشرفية (١٦٦) . وورود البريد في شهر رمضان من سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م بخروج الأمير نعير عن الطاعة نصرة للأمير يلبغا الناصري ، واتفق هو وسولي بن دلغادر التركماني ، ونهبوا بعض البلاد الحلبية ، وأن الأمير بزلار نائب دمشق خرج عن الطاعة أيضاً (١٦٧) . و في الرابع والعشرين من شهر صفر في السنة ذاتها من دمشق جاء البريد مخبراً بأن قرا بغا فرج الله ، وبزلار العمري ، ودمرداش اليوسفي ، وكمشبغا الخاصكي، وأقبغا جنجق ، اجتمع معهم الكثير من المماليك المنفيين ، وقبضوا على الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وقتلوا صلاح الدين خليل بن سنجر وابنه ، وقبضوا على جماعة أخرى ، ودخلوا في طاعة يلبغا الناصري الخارج عن طاعة الظاهر برقوق (١٦٨) . وجاء البريدي مخبراً في شهر رجب من سنة٧٩٢هـ/١٣٨٩ م بأن الأمير منطاش ، والأمير نعير بن حيار اجتمعا في جمع كثير من المماليك الأشرفية والتركمان والعربان ، وأنهم توجهوا جميعاً لقتال نواب الممالك الشامية، فتوجه الأمير يلبغا الناصري ، والأمير ألطنبغا الجوباني بالعسكر من دمشق ونزلوا سلمية استعداداً للقائهم (١٦٩) .

الاستخدام الثالث : ارسال البريد لتنفيذ مهام محددة ، وهي كثيرة ، والأمثلة تؤخذ من بعض ما سبق ذكره ، لذا أعرضنا عنه هنا خشية التكرار ، ومنه أيضاً : أمر السلطان الأشرف خليل بن قلاوون في شهر صفر من سنة ٦٩٠ هـ /١٢٩١م للأمير عز الدين الأفرم أمير جندار أن يذهب إلى نائب الشام حسام الدين لاجين المنصوري ويخبره بأن عليه تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان من المجانيق وآلات الحصار ويوافيه بذلك ، فمضى من يومه على البريد (١٧٠) . وكتابة السلطان المذكور في سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م إلى نائب الغيبة بيدرا بن عبدالله المنصوري

ــ من غير علم الوزير شمس الدين ابن سلعوس ــ أن يطلب ناظر الخزانة وسائر مباشريها ، ويأمرهم بكتابة ما فيها من الحواصل ، وأن يسيرها صحبة البريدي[١٧١]. ومنه كذلك : أنه لما تكمل الدست للاجين في السلطنة سنة٦٩٦هـ/١٢٩٦ م طلب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، وأمره أن يركب ويذهب إلى العادل كتبغا في دمشق ، ويجتمع بالأمراء والمقدمين والجند ، ويعرفهم أن لاجين قد تسلطن [١٧٢]. وقدوم البريد من قطيا في شهر صفر من سنة٧٩٢هـ/١٣٨٩ م بكتاب السلطان الظاهر برقوق إلى الأمير علاء الدين الطشلاقي والي قطيا بحفظ الدروب ، والقبض على من انهزم من أتباع الأمير منطاش الخارج عن طاعة السلطان [١٧٣] ، وفي الخامس عشر من الشهر نفسه لذات السنة رسم لمقدم البريدية أن يتوجه إلى الإسكندرية لإحضار المسجونين من الأمراء بها ، وهم سبعة عشر أميراً منهم : يليغا الناصري ، وألطنبغا المعلم ، وقرا دمرداش الأحمدي ، وأحمد بن يلبغا العمري ، وقردم الحسني ، وسودون باق ، وسودون الطرنطاي ، وآقبغا المارداني [١٧٤] .

الاستخدام الرابع : ارسال البريدي لتنفيذ مهمة عقابية : وأمثلة ذلك : سير البريد في سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م بالقبض على الأمير طاز نائب حلب ، فبلغ الخبر طاز ، فسار من حلب في أصحابه كأنه يريد القتال ، وأخذ السلطان المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون في تجهيز عسكره لقتاله ، فلما اقترب من دمشق ، أرسل طاز إلى السلطان أنه مملوكه وفي طاعته [١٧٥] . وسير الأمير قطلوبغا جركس على البريد في الخامس من ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م إلى دمشق ليقبض على الأمير بيدمر ويحبسه بقلعة صفد [١٧٦] . وركوب الأمير ألطنبغا المعلم البريد إلى حلب في شهر صفر من سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ليقبض على الأمير أشقتمر النائب [١٧٧] . وخروج البريد في الثاني والعشرين من شهر

جمادى الأولى من السنة ذاتها للقبض على الأمير بيدمر نائب الشام (١٧٨) . وأخبر البريد في السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م بخروج الأمير إينال من غزة ، فركب الأمير أقبغا الصغير ـ أحد أمراء الطبلخاناه ـ البريد ، وقبض عليه بقطيا، وبعثه إلى الكرك حيث سجن بها (١٧٩) . وجاء البريد في شهر شوال من سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨م بدوادار بزلار نائب دمشق الثائر بها، ومعه أمير آخر ، فسجنا (١٨٠) . وفي شوال أيضاً من ذات السنة ملك السلطان الظاهر برقوق قلعة الكرك ، ثم تحصن بها ولم يخرج ، وسبب ذلك أن الأتابكي منطاش أرسل شهاب الدين البريدي وعلى يده مرسوم شريف إلى نائب الكرك يأمره بقتل برقوق ، فلما دخل البريدي الكرك بلغ برقوق ذلك ، فلما كانت تلك الليلة التي قدم فيها البريدي كانت نوبة أبي علوان السجان وكان من أقارب الحاج عبد الرحمن البابا الموالين لبرقوق ، فأنزلوا ذلك البريدي في الطارمة ـ وهي بيت خشبي يبنى سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان ، أو هي غرفة في البيت يطل فيها الجالس على ما حوله ـ بالقرب من مكان الظاهر برقوق ، وكان نائب الكرك يحضر كل يوم ليفطر مع الظاهر في شهر رمضان ، فلما حضر البريدي لم يحضر نائب الكرك تلك الليلة ، فأرسل الظاهر يطلبه ، فجاء بعد جهد جهيد ، فأكل مع الظاهر ، وعندما فرغوا من السماط دخل أقارب الحاج عبد الرحمن البابا على الشهاب البريدي وهو في الطارمة ، فقتلوه شر قتلة ، وقبضوا على نائب الكرك وسجنوه ، وبذا سلم الظاهر برقوق من القتل (١٨١) . وخروج البريد في يوم الأربعاء الخامس عشر من صفر من سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م إلى الإسكندرية بإحضار الأمراء المسجونين بها (١٨٢) . وفي السادس عشر من شهر رمضان سنة٧٩٤ هـ / ١٣٩١م كلف البريد بإحضار الفخر عبد الرحمن بن مكانس من دمشق في الترسيم هو وابنه مجد الدين فضل الله وأخوه نصر الله (١٨٣) . وتوجه

الأميرسيف الدين طولو من علي باشا ـ أحد أمراء العشرات ـ على البريـد فـي الخامس من رمضان سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م لإحضار الأمير منطاش ، فسار إلى حلب ، وعصره ليقر فلم يعترف بشيئ ، ثم ذبح ، وحملت رأسه علـى رمـح وطيف بها حلب وسائر مدن الشام ، ثم القاهرة ومصر (١٨٤) . وترسيم اثنين مـن البريدية على قاضي القضاة شمس الدين الهروي في سـنة ٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م بحكم عزله لما تكلم بعض القضاة كناصر الدين بن البارزي فـي حقـه ، ونقلـوا للسلطان المؤيد شيخ عنه بعض الأمور القبيحة ونسبوه إلى الجهل وكتابة الفتـاوى بغيرعلم ، وبالخطأ في الأجوبة ، كما اتهموه بأخذ عشرة آلاف دينار من أوقـاف القدس والخليل وغير ذلك ، ولما رسم عليه البريدية أتوا به إلى مدرسة الـصالحية وحبسوه في قبة الصالح ، ورتبوا عليه أموراً كاد يقتل بسببها ، ثم آل أمـره إلـى تسفيره إلى القدس منعزلاً عن الناس (١٨٥).

الاستخدام الخامس : طلب شخص مهم أو تسفيره على البريد ، ويكـون ذلك لأسباب مختلفة، منها : الطلب أو التسفير بقصد العقوبة ، كأن يكـون ممـن صدرت في حقهم عقوبات تستدعي حضورهم لتنفيذها عليهم ، وأمثلة ذلك : تسفير السلطان الناصر محمد بن قلاوون للداودار صلاح الدين يوسف بن أسعد الدمـشقي على البريد إلى صفد سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م بعد أن تطاول على القاضي فخـر الدين ناظر الجيش وشهاب الدين أحمد كاتب السر (١٨٦). وطلب السلطان الناصـر محمد بن قلاوون حضور متولي دمياط بسرعة ، فأحضر على البريد فـي الـسنة ذاتها ، ولما دخل سأله السلطان : " والله أخربت بلدي " ، ولم يسمع جوابه ، وإنما سلمه للناظر بدر الدين لؤلؤ يستخرج منه أموال الناس (١٨٧) . وقدوم البريـد فـي شهر شعبان من سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م بطلب قماري وغيره من الأمراء إلـى الكرك ، من أجل عقوبتهم (١٨٨) . وتسفير القاضي حسام الدين الغـوري الحنفـي

قاضي مصر على البريد في الحادي والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة إلى بلاد الشرق بعدما أقيمت عليه البينة بأشياء منكرة منهـا طعنـه بـسبعة مـن الأنبياء، الأمر الذي استوجب عزله ثم نفيه (١٨٩) . وتقييد الأمير يلبغا الفخري نائب الشام في السنة ذاتها وإرساله على البريد إلى الديار المصرية (١٩٠) . وتسفير الأمير ألطنبغا المادارني إلى حماة في شهر ربيع الأول من سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م بعد أن بلغ السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون أنه يميل إلى أحمـد صاحب الكرك ومعه جماعة من المماليك وقد كبر شأنه وتحكم في الدوله ، فخاف من شره وسفره إلى حماة (١٩١) . والقبض على الأميرين شـركتمر المـارداني و قطلوبغا المنصوري في الشام في شهر المحرم من سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م وقيدا وأرسلا إلى الديار المصرية على البريد (١٩٢) . وقدوم البريد في الثامن والعـشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م بطلب بدر الدين محمود الكلستاني إلى السلطان الظاهر برقوق ، فخرج في غاية الخوف من القتل ، لأنه كـان مـن ألزام الأمير ألطنبغا الجوباني أحد الخارجين عن طاعة الـسلطان (١٩٣) . وقـدوم البريد في شهر شعبان من السنة ذاتها بإحضار محمد بن صـدقة الأعـسر والـي المنوفية ، فسار إليه البريد وأحضره إلى القاهرة ، فهرب (١٩٤) .

ومنها الطلب بمفهوم التقدير ، فالمكانة العالية للشخص تـستوجب قدومـه معززاً مكرماً على البريد ، ومن أمثلة ذلك : أن السلطان الظاهر بيبرس بعث فـي عصر يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على البريد من دمشق إلى القاهرة يستدعي ولده الملـك السعيد إليه ، فوصلها ليلة الأربعاء قريب الغروب في السابع والعشرين من الشهر ، وأقام بالقلعة أربعة أيام حتى تجهز أمر السعيد ، ثم رحل به على البريد عند غروب يوم السبت الثاني من صفر ، فدخل دمشق رابع ساعة من يـوم الأربعـاء سـادس

الشهر (١٩٥) . وتوجه شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني إلى القاهرة في ربيع الآخر من سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م على البريد مطلوباً مكرماً ، وولي التدريس بالمدرسة المعزية (١٩٦) . ودخول القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني على الأمير قوصون في سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م ، وطلب منه أن يكلم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بشأن حضور ولده عبدالله من دمشق إلى القاهرة ، وأن يجمع شمله به وعائلته ـ وكان السلطان قد أخرجه إلى دمشق نظراً لما عرف عنه من انغماسه باللهو ومجالس الأنس ـ فشفع قوصون فيه عند السلطان الذي رسم بحضوره على البريد تقديراً لمكانة والده جلال الدين (١٩٧). وتوجه الخطيب بدر الدين بن القاضي جلال الدين القزويني خطيب الجامع الأموي إلى مصر مطلوباً على البريد في شهر شعبان من سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م (١٩٨). وقدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكي على البريد في يوم الإثنين رابع عشر صفر سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م من دمشق باستدعاء ، فاجتمع بالسلطان الملك المنصور محمد بن حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة (١٩٩) . وركوب الأمير يلبغا الناصري البريد في يوم الإثنين الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م لإحضار الأمير منجك، ومملوكه جركتمر المنجكي ، وصهره أروس المحمودي ، وعند وصولهم في الثالث من ذي الحجة نزل الأمير منجك بسرياقوس ، وخرج إليه جميع أرباب الدولة كالوزير والقضاة والأمراء بحيث لم يتأخر عنه سوى السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وولديه ، فلما دخل على السلطان ابتهج بقدومه ، وبالغ في إكرامه (٢٠٠) . وخروج البريد في يوم الأحد رابع شهر ذي القعدة من سنة٧٧٨هـ / ١٣٧٦ م لإحضار الأمير أقتمر الحنبلي من بلاد الصعيد (٢٠١) . وتوجه الأمير حسن قجا على البريد في شهر رجب من سنة ٧٨٧ هـ / ١٣٨٥ م

لإحضار الأمير يلبغا الناصري نائب حلب [٢٠٢] . وخروج البريد في الثامن عشر شهر من رجب سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م لإحضار الأمير كمشبغا نائب حلب [٢٠٣]. وركوب الأمير سودون طاز البريد في خامس شهر المحرم من سنة٧٩٩هـ/ ١٣٩٦ م لإحضار الأمير تنم الحسني نائب الشام [٢٠٤] . وخروج البريد في شهر ذي الحجة من سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م بطلب الأمير تغري بردي من برية القدس ، فحضر إلى القاهرة ، وجلس رأس الميسرة ، بعد أن بنى السلطان الناصر فرج بن برقوق على ابنته فاطمة [٢٠٥] . ومنه أيضاً: انه لما توجه الملك الأشرف برسباي في سنة ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م من الديار المصرية إلى آمد ، ونزل عليها وحاصرها ، بلغه أن الأشرف أحمد بن سليمان صاحب حصن كيفا يريد الاجتماع به ، فأرسل بريدياً يطلبه إكراماً لشأنه [٢٠٦] .

الاستخدام السادس : ارسال التقاليد للنواب ، والتقاليد تعني تنصيب نواب الحكم في مناصب الحكم نيابة عن السلطان ، ويجري تنفيذ الأمر بوجب كتاب مختوم من السلطان موقع عليه [٢٠٧] ، ويقوم البريد بدور لافت في ذلك ، فإذا كان الشخص المطلوب تعيينه في الوظيفة يقيم داخل مقر الحكم في مصر أو الشام وكانت نيابته المعين لها تقع خارج مقر الحكم، فإن الأمر يستلزم إكرامه بإرساله على البريد إلى نيابته ، وإذا كان المرشح للنيابة يقيم خارج مقر الحكم ، فإن الأمر يستلزم إكرامه بطلبه أو استدعائه على البريد إلى مقر الحكم لتقليده نيابته . كما يتم عن طريق البريد أيضاً ارسال التقاليد والخلع لأصحابها .

وعن ارسال من يقيم في مقر الحكم إلى ولايته التي عين لها ، فمثاله : ارسال السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الأمير ألملك الجوكندار في سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م إلى نيابة حماة كنائب لها [٢٠٨] . وقدوم القاضي بدر الدين بن القاضي محي الدين بن فضل الله من مصر على البريد في شهر جمادى

الآخرة من سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م ليتولى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين (٢٠٩) . واستقرار الأمير آقسنقر الناصري في نيابة طرابلس في أواخر شهر رمضان سنة ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م ، فأخرج من القاهرة في نهاره على البريد، وتوجه صحبته بتقليده الأمير قبلاي (٢١٠) . و لما تسلطن الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م أرسل ألملك الجوكندارعلى البريد كنائب لدمشق ، ثم لحقه البريد بأن يذهب إلى نيابة صفد (٢١١) . وارسال الأمير أرغون شاه في شهر رمضان من سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م على البريد ليتقلد نيابة صفد (٢١٢) .

وعن الطلب أو الاستدعاء على البريد إلى مقر الحكم لتقلد الوظيفة ، فأمثلته: طلب القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة من القدس وهو حاكم به وخطيب فيه على البريد في أوائل شهر رمضان من سنة٦٩٠هـ/١٢٩١ م إلى مصر ، فدخلها في رابع عشره ، ثم ولي قضاء القضاة فيها (٢١٣) . وطلب شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري في آخر شهر ذي الحجة من سنة ٦٩٢ هـ / م على البريد ، فلما حضر خلع عليه واستقر في وظيفة كاتب السر بمصر (٢١٤) . وطلب القاضي ناصر الدين بن العديم في شهر شوال من سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م على البريد من حلب ، فعين لقضاء مصر(٢١٥). وورود البريد في شهر جمادى الأولى من سنة ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م إلى دمشق من مصر بطلب قاضي القضاة تقي الدين السبكي ليتولى القضاء بمصر(٢١٦) . وطلب المحتسب علاء الدين ابن الأطروش على البريد من دمشق في شهر رمضان من سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م لتولي الحسبة بالقاهرة ونظر المارستان المنصوري (٢١٧). وركوب القاضي تقي الدين بن مراجل إلى مصر على البريد في يوم عيد الفطر من سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م مطلوباً ، فلما وصل ولي نظر الدواوين بمصر (٢١٨) . وخروج البريد من مصر في يوم الإثنين ثامن شهر

جمادى الأولى من سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م بطلب خطيب القدس برهان الدين بن عبد الرحيم بن جماعة ، فقدم في يوم الأحد خامس جمادى الأخرة ، فولي قضاء القضاة بمصر[٢١٩] . وقدوم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس يوم الإثنين خامس شهر ذي الحجة من سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ، فخلع عليه واستقر في نيابة الإسكندرية عوضاً عن قطلوبغا الشعباني [٢٢٠] . وطلب نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن محمد ، المعروف بابن الكشك على البريد في ذات الشهر من السنة المذكورة من دمشق ليتولى قضاء القضاة الحنفية بمصر [٢٢١] . ومجيئ البريد إلى دمشق في شهر ذي القعدة من السنة ذاتها بطلب الشيخ شرف الدين بن منصور إلى مصر ليولى القضاء بها [٢٢٢] . وطلب ابن عم والد القاضي صدر الدين بن العز المدعو نجم الدين على البريد إلى القاهرة ليولى القضاء بها [٢٢٣] . وقدوم البريد في يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م بطلب الأمير طشتمر ـ وهو بقبة يلبغا خارج المدينة ـ إلى مصر ليكون الأمير الكبير الأتابك فيها [٢٢٤] . وخروج البريد في شهر صفر من سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م بطلب تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن الصاحب تاج الدين موسى بن أبي شاكر من الوجه القبلي حتى يولى الوزارة [٢٢٥] . وقدوم جمال الدين يوسف بن صلاح الدين موسى بن محمد الملطي الفقيه الحنفي من حلب باستدعاء في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ليلي قضاء الحنفية بالقاهرة [٢٢٦] . وخروج البريد في العاشر من شهر رمضان سنة٨٠١ هـ/١٣٩٨م لإحضار الشيخ ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون من قريته بالفيوم ، ليستقر في قضاء المالكية [٢٢٧] .

وعن ارسال التقاليد والخلع لأصحابها ، فأمثلته : خروج الأمير سيف الدين قفجاق على البريد في سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م وتقدم قبله جاغان بالتقاليد ، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر أمير حاجب على عادته ، وعلى الأمير سيف الدين بكتمر السلحدار واستقر أمير جاندار ، وخلع على الأمير سيف الدين سلار

واستقر أستاذ الدار عوضاً عن بتخاص [٢٢٨] . وسفر الأمير قطلوبغا الشعباني على البريد في خامس عشر شهر ذي الحجة من سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م ليسير بالأمير أشقتمر المارديني إلى حلب ، وكتب معه تقليده بالنيابة ، وحملت إليه الخلعة، وأن يقلد الأمير زامل إمرة العرب عوضاً عن حيار بن مهنا ، فاستقر الأمير أشقتمر في نيابة حلب ، ووجد أن العرب قد شرقوا فلم يتمكن من تقليد زامل[٢٢٩] . واستقرار ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء في قضاء القضاة بدمشق في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م ، وحمل إليه التقليد والخلعة على البريد [٢٣٠] . وخروج الأمير تمربغا الحاجب على البريد في شهر شوال من سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م بتقليد الأمير نعير بن حيار بن مهنا إمرة العرب ، عوضاً عن زامل ومعيقل [٢٣١] . وركوب الأمير تمربغا المنجكي البريد في أول شهر رمضان من سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م لتقليد الأمير أشقتمر المارديني نيابة الشام ، وحمله من القدس إلى دمشق ، وحمل إليه التقليد والتشريف [٢٣٢] . واستقرار جقمق الصفوي في نيابة ملطية في الثاني من رجب سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م عوضاً عن دقماق المحمدي ، وجهز تقليده وتشريفه على يد مقبل أمير خازندار على البريد [٢٣٣] . وركوب الأمير مشترك في السادس عشر في ذات الشهر من السنة المذكورة بتقليد نيابة غزة للأمير ألطنبغا قراقاش [٢٣٤] .

الاستخدام السابع : ارسال مراسيم العزل عن الوظائف ، فقد يحمل البريد أيضاً مراسيم عزل النواب عن وظائفهم ، وأمثلة ذلك : قدوم القاضي بدر الدين بن الخشاب قاضي حلب منها على البريد في شهر ربيع الأول من سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م إلى دمشق متوجهاً إلى القاهرة ، وقد استعفي من القضاء[٢٣٥]. ومجيئ أمير ــ دون أن يحدد المصدر اسمه ــ من مصر على البريد في يوم الأربعاء جمادى الأولى من سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م بكتاب السلطان

المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون بعزل نائب الشام يلبغا اليحياوي وتوليه الأمير أرغون شاه نائب حلب عوضاً عنه (٢٣٦) . ومنه أيضاً : أن السلطان المؤيد شيخ أرسل بريدياً إلى القاضي جلال الدين بن البلقيني ــ وكان يومئذ في مصر على شاطئ النيل ــ وقال له : " رسم السلطان أن تمتنع عن الحكم " (٢٣٧) .

الاستخدام الثامن : بريد التجسس : من الغايات المهمة للبريد على مر العصور التاريخية ما يسمى ببريد التجسس ، حيث يستخدم البريد في التجسس على النواب والعمال في سائر أرجاء الجهات للتعرف على مدى انقيادهم للدولة . ونظراً لتقلب الأحوال السياسية واضطرابها في زمن المماليك ، وما ينجم عنها من دسائس تحاك في الخفاء للسلاطين من قبل الأمراء والنواب وخاصة الطامحين منهم إلى السلطة ، فضلاً عن ما تحوط السلطنة من جهات خارجية طامعة في تقويض أركانها واقتطاع أجزاء من أراضيها ، فإن الأمر يتطلب وجود هذا النوع من البريد الذي يتسم بالسرية في التداول ، ورجاله من البريدية تبعيتهم المطلقة للسلطة الحاكمة .

وفيما يتعلق بسرية التداول ، فإن منها إخفاء ما في الكتاب من السر : وهو ما تمس الحاجة إليه عند الضرورة ، وذلك عند اعتراض معترض من عدو ونحوه يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه من ملكين أو غيرهما حيث لم تفد الملطفات لضرر الرصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانبين ، وهو على نوعين :

النوع الأول : ما يتعلق بالكتابة ، وهو على ضربين : الضرب الأول : ما يتعلق بالمكتوب به ، بأن يكتب في الورق بلبن حليب قد خلط به نوشادر ، فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة ، فإذا قرب من النار ظهرت لكتابة . ومنها أن يكتب في الورق أيضاً بماء البصل المعتصر منه، فلا ترى الكتابة ، فإذا قرب من النار ظهرت الكتابة . ومنها أنه يكتب فيما أراد من ورق أو غيره بماء قد خلط فيه زاج،

فلا تظهر الكتابة ، فإذا مسح بماء قد خلط فيه العفص ــ معروف يقع على الشجر وعلى الثمر يتخذ منه الحبر ــ المدقوق ظهرت الكتابة . ومنها أن يكتب في الورق غير المنشى بالشب المحلول بماء المطر، ثم يلقيه في الماء أو يمسحه به ، فإنه إذا جف ظهرت فيه الكتابة . ومنها أن يكتب بمرارة السلحفاة فإن الكتابة بها ترى في الليل ولا ترى في النهار . ومنها أن يأخذ الليمون الأسود وعروق الحنظل المقلوة بزيت الزيتون جزأين متساويين وتسحق ناعماً ، ثم يضاف إليهما دهن صفار البيض ، ويكتب به على جسد من يراد الكتابة عليه ، فإنه ينبت الشعر مكان الكتابة، فإذا أريد ارسال شخص بكتاب إلى مكان بعيد ، فعل به ذلك ، فإنه إذا نبت الشعر قرئت الكتابة . والضرب الثاني : ما يتعلق بالخط المكتوب ، وذلك بأن تكون الكتابة بقلم اصطلح عليه المرسل والمرسل إليه لا يعرفه غيرهما ، ويسمى التعمية، وكيفيتها بحسب ما يجهله كل واحد من الناس من الخطوط، فيعمى على العربي في اللغة العربية بالخطوط غير العربية كالرومية ، والعبرانية ونحوهما إذا كانت حروف تلك اللغة توافق لغة العرب ، أو بقلم مصطلح عليه على وفق العربية ؛ وكذلك يعمى على العربي من الرومي ونحوه ممن يجهل الخط العربي وعلى هذا المنوال . وللناس في التعمية مذهبان : الأول أن يكتب بالأقلام القديمة غير المتداولة بين الناس مما لا يعرفه إلا الآحاد منهم ، والمذهب الثاني : أن يصطلح الإنسان مع نفسه على قلم يبتكره وحروف يصورها كإبدال حرف معين مكان آخر، أو أن يعكس حروف الكتابة في الكلمة الواحدة ، أو من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام ، أو من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل ، أو أن يكتب بدل عدد الحرف حروفاً ، أو أن يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره ، أو أن يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين على ترتيبها على حروف أبجد [٢٣٨] .

والنوع الثاني : الرموز والإشارات التي لا تعلق لها بالخط والكتابة : وهي التي يعبر عنها أهل المعاني والبيان الاستعارة بالكناية " بالنون بعد الكاف " ، وقد

يعبر عنها بالوحي والإشارة. ومثال ذلك : أن ملك الفرنجة بطليطلة كان خبيث النية للإسلام وأهله ، فأرسل مرة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون هدية فيها سيف وثوب بندقي وطارقة مستطيلة تشبه النعش كأنه يقول : أقتلك بهذا السيف ، وأكفنك في هذا الثوب ، وأحملك في هذا النعش ، فكان الجواب أن أرسل إليه الناصر حبلاً أسود وحجراً ، أي إنه كلب يرمى بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل . ومنه أيضاً: أن تيمورلنك كان يغير على حلب مرات عديدة بقصد الإستيلاء عليها في زمن السلطان الظاهر برقوق ، فأرسل تيمورلنك رسالة إلى الظاهر يذكر فيها أنه وقع بتلك البلاد ـــ يعني حلب ـــ سيل عظيم ساق جملة من الأسد والنمورة والحيات ، وأنه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس . وقرئ الكتاب بحضرة السلطان الظاهر ، وحملوا ذلك الأمر على ظاهره وهو أن المراد حقيقة السيل ، وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها ، وشاع ذلك بين كافة الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية ، ومضى الأمرعلى ذلك ؛ ثم تبين أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تيمورلنك وعساكره ؛ وأنه كنى بالحية العظيمة عنه نفسه ، وبالسباع والحيات عن عساكره . ومنه كذلك : أنه ورد على السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في أواخر سلطنته كتاب صاحب تونس في آخره خطاباً للسلطان فحواه : " وعلى إحسانكم المعول ، وبيت الطغرائي في لامية العجم لا يتأول " ، ولما عرضت هذه العبارة على القلقشندي ، راجع لامية أبيات اللامية فتبين له أن المعنى يشير إلى قول الطغرائي فيها :

فقلت أرجوك للجلى لتنصرني   وأنت تحذلني في الحادث الجلل

ومن هنا تبين أن معانى البيت تتطابق مع مناسبة الحدث الذي يتحدث فيه صاحب تونس للسلطان الناصر ، فهو يلومه على أنه خذله في الأخذ بثأر حجاج بلاده من المغاربة الذين تعرض لهم العربان وهم في طريق الحج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ونهبوا أموالهم ، وكان الكتاب في ظاهره يحمل معنى الدعاء للسلطان ووصية له للحجاج المغاربة ، لكن الحاذق الفطن يتوصل إلى المقصود (٢٣٩) .

وفيما يتعلق بالكشف عن أحوال الأمراء والنواب : فأمثلته : قدوم الخبر سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م باتفاق الأمير طيبغا الطويل نائب حماة ، والأمير أشقتمر نائب طرابلس على العصيان ، فتجهز الأمير أسندمر الأتابك للسفر ، وأمر الأمراء بالتأهب لهذا الخطر لدرئه ، وكبداية لذلك بعث القصاد على البريد للكشف عن حقيقة خبر العصيان ، فضلاً عن استطلاع شأن الأمراء من الباقين ، فتمخض الأمر بصدق خبر عصيان الأميرين المذكورين دون غيرهما من الأمراء ، فقبض عليهما وعلى إخوة طيبغا الطويل ، وحمل الجميع إلى الإسكندرية مقيدين [٢٤٠] . وقدوم قاصد على البريد من قبل الأمير منطاش في سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م يخبر بأنه باق على الطاعة ، فقدم البريد من حلب أنه خارج عن الطاعة ، وإنه يتظاهر بالطاعة لصرف الأنظار عنه حتى يدخل فصل الربيع ، وتذوب الثلوج . فسير السلطان الظاهر برقوق الأمير سيف الدين تلكتمر الدوادار بعشرة آلاف دينار للأمراء المجردين لهذه المهمة ، تقوية لهم وتوسعة عليهم ، وليعرف حقيقة أمر منطاش [٢٤١] . وورود البريد في الرابع عشر من شهر شعبان سنة٧٩٢هـ/١٣٨٩م مخبراً بأن جنق السيفي أرسله أهل دمشق لكشف أخبار منطاش فمسكه العربان وحملوه إلى منطاش فقتله [٢٤٢] . ومجيئ البريد من حلب إلى قلعة الجبل في الحادي والعشرين من صفر سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م مخبراً بأن نائب حلب ، ونائب حماة ، ونائب حمص باقون على الطاعة ، وأن الأمير تنم نائب دمشق خرج عن الطاعة ، وأطلق من بداخل السجن كالأمير جلبان ، والأمير آقبغا اللكاش ، والأمير أحمد بن يلبغا ، والأمير أزدمر أخا إينال ، والجيبغا الجمالي، وخضر الكريمي ، فتحقق بذا صحة ما كان يشاع من عصيان الأمير تنم، وتبين أيضاً من الخاصكية بأن الأمير أيتمش قد وافقه على ذلك في الباطن ، فتحرزوا منه [٢٤٣] .

والحاجة ملحة لبريد التجسس أيضاً في كشف أحوال الأعداء المحيطين بالسلطنة المملوكية : وأمثلة ذلك : ركوب الأمير يونس دوادار الأمير الكبير إلى

حلب سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م لكشف أحوال التركمان من هناك ، وقد ورد الخبر بخروجهم عن الطاعة [٢٤٤] . وسير الأمير سودون الطيار في شهر ذي الحجة من سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م على خيل البريد لكشف أخبار ابن عثمان ، فدخل دمشق في العشرين منه ، وتتحقق من خبره ، بعدها خرج مرسوم السلطان الظاهر برقوق بتجهيز عساكر الشام إلى بلاد ابن عثمان ، ونودي في البلد بذلك[٢٤٥] .

الاستخدام التاسع : الوقوف على الأخبار والحوادث الهامة في السلطنة المملوكية بصفة خاصة ، أو ما يحدث خارجها ، وهي بالطبع كثيرة ، وأجل من أن تحصى ، فقد تكون كارثية، أو تنذر بوقوع الأزمات ، وأمثلة ذلك : قدوم البريد في شهر ذي القعدة من سنة ٧٧٦ هـ / ١٤٧٤ م بغلاء أسعار القمح في حلب ، حتى بيع مكوك القمح بمائة وخمسين درهماً [٢٤٦] . وقدوم البريد إلى دمشق من مصر في سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦ م ، يخبر أن الأمراض بالحميات انتشرت في مصر في جمادى الآخرة ، واستمرت إلى آخر شعبان ، فمات خلق كثير [٢٤٧] .وورود البريد في شهر ذي الحجة من سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م بوقوع الوباء بصفد ، ومجيئ الأخبار كذلك بحدوث الغلاء بمكة [٢٤٨] . وقدوم البريد في الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م بأن السيل وقع بدمشق ، وخرب بها عدة دور ، ولم يعهد بها سيل مثله [٢٤٩] . وورود البريد في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م مخبراً بأن الشام وقع فيها حريق عظيم في يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان بجوار جامع بني أمية ، وأن أهل الشام تلف لهم مال كبير فيه [٢٥٠] . وقدوم البريد في شهر شوال من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧م بأن الحريق وقع بدمشق في ليلة السبت عشرينه ، واستمر

إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه ، فتلف فيه معظم أسواق المدينة ، وتشعث جدار الجامع الأموي القبلي(٢٥١).

وقد يجيئ البريد بأخبار محزنة أخرى كوفاة الأعيان ، وأمثلته : قدم البريد سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م بخبر وفاة قاضي القضاة بدمشق تاج الدين عبد الوهاب السبكي (٢٥٢) . وقدوم البريد في سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م بخبر وفاة قاضي القضاة بدمشق برهان الدين ابن جماعة (٢٥٣) . وأخبر البريد في شهر ذي القعدة من سنة٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م بموت موقع الدست ناصر الدين محمد بن علي بن الطوسي ، واستقرار ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسي موقع الدرج بدلاً عنه(٢٥٤) . وفي الخامس والعشرين من المحرم سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م جاء البريد مخبراً بموت نائب دمشق الأمير بطا الطولوتمري (٢٥٥) . ومجيئ البريد في الثالث عشر من المحرم سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م بوفاة نائب دمشق الأمير كمشبغا الخاصكي(٢٥٦). وقدوم البريد في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة من السنة ذاتها بوفاة نائب غزة الأمير يلبغا الأشقتمري (٢٥٧) . وجاء نبأ وفاة نائب الإسكندرية الأمير سيف الدين صرغتمش المحمدي القزويني بخبر بريدي في جمادى الأولى من سنة٨٠١هـ / ١٣٩٨ م (٢٥٨) .

وقد يجيئ البريد بأخبار سارة ، منها : ورود البريد من الشام سنة٦٩٤هـ/١٢٩٤ م يخبر أنه وصل إلى الفرات بالرحبة من عسكر التتار تقدير عشرة آلاف بيت بنسائهم وأولادهم ومواشيهم ، وأنهم قصدوا بلاد الإسلام راغبين في الإسلام ، بعد هزيمة غازان (٢٥٩) ففرح المسلمون بذلك (٢٦٠) . وورود البريد في عاشر شهر رمضان من سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م مخبراً بأن أهل حلب تقاتلوا مع منطاش قتالاً عظيماً وأنهم هزموه ، ففر حتى عدى الفرات ، ففرح أهل الشام بذلك(٢٦١) .

وقد يجيئ البريد بأخبار لا تخرج عن كونها أثارت في نفوس الناس غرابة، وقد يشك في مصداقيتها ، مثل : قدوم البريد من حلب في آخر شهر المحرم من سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م يخبر بأن رجلاً قام يصلي بقوم ، فتعرض له شخص يعبث به ، فتمادى في صلاته ، ولم يقطعها حتى سلم منها في آخرها ، فتحول وجه الشخص الذي عبث به إلى وجه خنزير ، وفر على وجهه هارباً إلى غابة بالقرب من ذلك المسجد فعبرها (٢٦٢) .

وقد يجيئ أيضاً بأخبار موت الكبار من الحكام ، وأمثلة ذلك : قدوم البريد في شهر ذي القعدة من سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م بوفاة متملك بغداد الشيخ أويس بن الشيخ حسن ، واستقر في السلطنة بعده ابنه حسين (٢٦٣) . و في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م أخبر البريد بأن حسين بن أويس متملك بغداد قتله أخوه أحمد ، واستقر بالمملكة بعده (٢٦٤). وجاء البريد في شهر ذي القعدة من سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م بنبأ قتل سولي بن دلغادر أمير التركمان (٢٦٥) .

وقد يجيئ البريد بأخبار خارجية أخرى ، وأمثلة ذلك : قدوم البريد في شهر شوال من سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م بخبر استيلاء السلطان بايزيد العثماني على قيصرية (٢٦٦) . وفي شهر رمضان من سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م أخبر البريد بوصول عسكر تيمورلنك إلى ارزنجان من بلاد الروم ، وقتل الكثير من التركمان(٢٦٧) . وجاء البريدي طغيتمر من دمشق في التاسع من المحرم من سنة٨٠٣هـ/١٤٠٠ م وأخبر بأن تيمورلنك نزل على سيواس ، فهرب منها سليمان بن أبي يزيد بن عثمان ، وقرا يوسف محمد إلى جهة برصا من بلاد الروم ، وأن تيمورلنك أخذ سيواس ، وقتل من اهلها جماعة كبيرة (٢٦٨) .

١٢- **انقطاع البريد لأحوال عارضة :** قد ينقطع البريد لأحوال عارضة ، وهذا ما حدث في سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ، حين انقطع البريد عن الشام نحو عشرين

يوماً لانشغال الأمراء في مصر بمرض السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، فلما كان حادي عشر ربيع الأخر قدم الأمير بيبغوا مخبراً بوفاة الصالح وأخذ البيعة لأخيه الكامل ، فزينت دمشق لذلك(٢٦٩) . ومنه أيضاً : منع الأمراء الخارجين عن طاعة السلطان الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون البريد سنة٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م بأن يرد إلى مصر من الشام وغيرها ، والأمراء هم : طشتمر نائب الشام ، وأشقتمر نائب حلب، وتمر باي نائب صفد ، ومنكلي بغا البلدي الخارج من سجن الكرك ، وأرغون الأسعردي ، وقرطاي ، وقد انحاز إليهم جمع كبير من المماليك والعربان والتركمان (٢٧٠) .

ب : البريد الجوي :

الكلام على البريد الجوي هو الكلام عن نوع الحمام المستخدم ، والأبراج المخصصة له ، والمكاتبات في بطائق الحمام ، والورق المستخدم فيها ، ونماذج لاستخدام المراسلات عبر بطائق الحمام .

١- الحمام الرسائلي :

الحمام اسم جنس يقع على الحمام المتداول بين الناس ، وعلى اليمام والدباسي والقماري والفواخت وغيرها ، والمقصود عند ذكر الحمام هو نوع مخصوص ، وأغلاه قيمة ، وأعلاه رتبة ، يسمى بالحمام الرسائلي ، وهو الذي يتخذه الملوك لحمل المكاتبات ، ويعبرعنه باسم " الهدى " ، وهي التي يقال لها أيضاً المناسيب ، وهي تطير من البلاد البعيدة إلى أوكارها . وأول ما نشأ من الحمام بالديار المصرية واالبلاد الشامية كان من الموصل ، ويعد نورالدين بن زنكي صاحب الشام أول من اعتنى به من الملوك (٢٧١) ، واستمر الفاطميون على ذلك، وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً ووضعوا جرائد بأنساب الحمام ، وصنف فيه

القاضي محي الدين بن عبد الظاهر كتاباً سماه " تمائم الحمام " ، كما صنف قبله أبو الحسن بن ملاعب الفوارس البغدادي كتاباً للناصر لدين الله الخليفة العباسي ببغداد ذكر فيه أسماء أعضاء الطائر ورياشه ، والوشوم التي توسم في كل عضو ، وألوان الطيور وما يستحسن من صفاتها ، وكيفية إفراخها ، وبعد المسافات التي أرسلت فيها(٢٧٢) .

وحمام كل برج ينقل منه في كل يوم إلى البرج الذي يليه ، ليطلب برجه الذي هو مستوطنه إذا أرسل . فإذا عرض أمر مهم ، أو ورد بريد ، أوغيره مما يحتاج إلى مطالعة الأبواب السلطانية به إلى مكان من الأمكنة التي فيها أبراج الحمام ، كتب واليها المتحدث فيها بذلك للأبواب السلطانية ، وبعثه على أجنحة الحمام (٢٧٣). وقد جرت العادة أن تكتب بطاقتان وتؤرخان بساعة كتابتهما من النهار، ويعلق كل منهما في جناح طائر من الحمام الرسائلي ويرسلان ، ولا يكتفى بواحد لاحتمال أن يعرض له عارض يمنعه من الوصول إلى مقصده . فإذا وصل الطائر إلى البرج الذي وجه به إليه ، أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه أي من المنقول على ذلك البرج ، وعلى ذلك حتى ينتهي إلى برج القلعة ، فيأخذ البراج الطائر والبطاقة في جناحه ، ويحضره بين يدي الدوادار الكبير فيعرض عليه ، فيضع البطاقة عن جناحه بيده . فإن كان الأمر الذي حضرت البطاقة بسببه خفيفاً لا يحتاج إلى مطالعة السلطان به ، استقل الدوادار به، وإن كان مهماً يحتاج إلى إعلام السلطان به ، استدعى كاتب السر وطلع لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل في المكاتبات الواردة ، وكذلك الحكم فيما يطرأ من المهمات بالأبواب السلطانية فإنه يوجه بالحمام من برج القلعة إلى الجهة المتعلقة بذلك المهم . ويشابه ذلك ما يحدث في كل نيابة من النيابات العظام

بالممالك الشامية كدمشق وحلب وطرابلس ونحوها مع ما تحتها من النيابات الصغار والولايات [٢٧٤] .

٢- أبراج الحمام :

وضع لأبراج الحمام في العصر المملوكي من القواعد والطرق على نحو مشابه لما في مراكز البريد البري ، أما من ناحية المسافات فإنها تختلف ، فإن مطارات الحمام ربما زادت على مراكز البريد ، وهاك أشهر الأبراج في مصر والشام :

١- الأبراج الآخذه من قلعة الجبل إلى جهات الديار المصرية : ذكر القلقشندي نقلاً عن شهاب الدين بن فضل الله في التعريف أن تدريج الحمام من مصر إلى قوص وأسوان وعيذاب قد انقطع ، وهذا يدل في ظاهره أن الحمام كان يدرج إلى هذه الأماكن ، ثم أهمل تدريجه بعد ذلك ، ثم ذكر أنه لم يبق منه إلا ما هو من القاهرة إلى الإسكندرية ، ومن القاهرة إلى دمياط ، ومن القاهرة إلى السويس من طريق الحج ، ومن القاهرة إلى بلبيس متصلاً بالشام [٢٧٥] .

٢- الأبراج الآخذة من قلعة الجبل إلى غزة :هي من قلعة الجبل إلى بلبيس ، ثم منها إلى الصالحية ، ثم منها إلى قطيا ، ثم منها إلى الوِرادة ، ثم منها إلى غزة[٢٧٦].

٣- الأبراج الآخذة من غزة وما يتفرع عنها : تتشعب مسارح الحمام في الأبرال من غزة إلى غير جهة دمشق وإلى جهتها . فأما غير جهة دمشق فمن غزة إلى بلد الخليل عليه السلام، ومن غزة إلى القدس الشريف ، ومن غزة إلى نابلس . وأما جهة الشام فمن غزة إلى لد ، ومن لد إلى قاقون ، ومن قاقون إلى جينين ، ومن جينين تتشعب المسارح إلى غير جهة دمشق وإلى جهتها . فأما ما إلى غير جهة دمشق فمن جينين إلى صفد ، وأما ما إلى جهة دمشق ، فمن جينين

إلى بيسان ، ومن بيسان إلى أربد ، ومن أربد إلى طفس ، ومن طفس إلى الصنمين ، ومن الصنمين إلى دمشق (٢٧٧) .

٤- الأبراج الآخذة من دمشق وما يتفرع عنها : تتشعب مسارح الحمام من دمشق إلى جهة حلب ، وإلى جهتها . أما إلى غير جهة حلب فتسرح من دمشق إلى بعلبك، ومن دمشق إلى القريتين ، وأما ما هو إلى جهة حلب فتسرح من دمشق إلى قارا، ثم من قارا إلى حمص ، ثم من حمص إلى حماة ، ثم من حماة إلى المعرة ، ثم من المعرة إلى حلب (٢٧٨) .

٥- الأبراج الآخذة من حلب وما يتفرع عنها : برج الحمام من حلب إلى ألبيرة ، ومن حلب قلعة المسلمين ، ومن حلب إلى بهسني وإلى بقية ما له شأن مما حولها ، ثم من القريتين إلى تدمر، ومنها إلى السخنة ، ومنها إلى قباقب ، ومنها إلى الرحبة، وقد تعطل في زمن الشهاب بن فضل الله تدريج السخنة إلى قباقب ، وصار يسوق ببطائق تدمر الواقعة بالسخنة منها إلى قباقب ، ثم يسرح على الجناح من قباقب إلى الرحبة (٢٧٩) .

٣- المكاتبات في نسخ بطائق الحمام :

المكاتبات في بطائق الحمام على نوعين : **الأول** أن تكون البطاقة بعلامة شريفة: وتكون نحو ثلثي وصل من ورق البطائق ، وصورتها أن يكتب في رأس الورق في الوسط " الاسم الشريف " ، وتحته ملصقاً من غير بياض سطر واحد كامل من يمين الورق بغير هامش بما يأتي ذكره ، ثم يجلى بيت العلامة تقدير أربعة أصابع مطبوقة ، ثم تكتب تتمة الكلام أسطراً متلاصقة بنسبة الأول بغير هامش أصلاً إلى آخره ، والذي يكتب من يمين الورق : " الهادي، سرح الطائر الميمون ورفيقه ، هداهما الله تعالى في الساعة الفلانية من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من سنة كذا وكذا إلى المجلس الكريم أو السامي ، الأمير فلان والي فلانة ، أو نحو ذلك ، يعلمه أن الأمر كذا وكذا ، ومرسومنا له أن يتقدم بكذا وكذا ، فليعلم

ذلك ويعتمده ، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى ، حسبنا الله ونعم الوكيل". والمستند لها : " حسب المرسوم الشريف " (٢٨٠).

والنوع الثاني أن تكون البطاقة بغير علامة ، وصورتها أن يكتب في رأس الورقة في الوسط موضع الاسم : " الله الهادي بكرمه " ، والأسطر متلاصقة بغير هامش ، ولا يخلى فيها بيت علامة ، وصورة ما يكتب فيها : " المرسوم بالأمر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، أعلاه الله تعالى وصرفه أن يسرح هذا الطائر الميمون ورفيقه، هداهما الله تعالى في وقت كذا وكذا " ، ويكمل على حسب ما تقدم : " والله الموفق ، حسب المرسوم الشريف ، إن شاء الله تعالى " ، وقد يقتضي الحال نقلها من مكان إلى آخر ، مثل أن تنقل من بلبيس إلى قطيا ، فيكتب بعد ذكر المرسوم به : " ويتقدم بنقل هذه البطاقة إلى فلان الفلاني ليعتمد مضمونها ويعمل بحسبها " . فإن كانت منقولة إلى مكان ثالث ، كتب بعد ذلك : " ثم ينقلها إلى فلان ليعتمد مضمونها أيضاً ويعمل بمقتضاها فيعلم ذلك ويعتمده " ، والتتمة حسب ما تقدم (٢٨١) .

٤- الورق المستعمل في كتابة بطائق الحمام بديوان الإنشاء في مصر والشام:

يستخدم في كتابة بطائق الحمام القطع الصغير من الورق ، وهو عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير ، وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية ، وفيه تكتب فيه أيضاً ملطفات الكتب (٢٨٢) .

٥- نماذج لاستخدام المرسلات عبر بطائق الحمام : تستخدم بطائق الحمام في أغراض كثيرة :

الاستخدام الأول : لغرض حربي : ومن أمثلته : أنه بعد انتصار المماليك على التتار في حمص سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م كتبت البطائق المخلقة ــ المطيبة بالخلوق ــ وطارت بها الأطيار الأيامن محلقة ، تبشر بهذا النصر ، وتدعو أهل

الحصون القريبة من مسالك التتار التي سلكوها للفرار مثل ألبيــرة ، وعينتــاب ، وبغراس ، والدربساك ، والراوندان ، وأبي قبيس، وشيزر ، بــأن يأخــذوا لهــم المراصد ، ففعلوا ذلك لما وصلتهم البطائق وقتلوا مــن التتــار الكثيــر (٢٨٣) . و وصول بطاقة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م إلى أرجواش نائب قلعة دمشق مضمونها أنهم ألتقوا بالتتار في غزة وهزموهم ، وجاء فيها كذلك الوصية لأرجواش بتحصين القلعة (٢٨٤) . وقراءة بطاقة بعد ظهر يــوم السبت ثاني شهر رمضان من سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م بالجامع تتضمن أنه فــي الساعة الثانية من نهار السبت اجتمعت الجيوش ، ووصل الركاب السلطاني إلــى مرج الصفر ، وفيه طلب الدعاء من الناس ، والأمر بحفظ القلعة ، والتحرز علــى الأسواق ، ثم جاءت بطاقة بعد عصر يوم الأحد من النائب جمال الدين الأفرم إلى نائب الغيبة مضمونها أن وقعة شقحب كانت من العصر يوم السبت إلــى الــساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتار ليلاً ونهاراً ، وانهــم وهنوا وركنوا إلى الفرار ، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل ، فدقت البشائر بالقلعة فرحاً لهذا الإنتصار (٢٨٥) . وسقوط الطائر ببطاقة في التاسع عشر من شهر ذي القعــدة من سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م تخبر بالبشارة بفتح سيس ، وقد بعث هــذا الخبــر الأمير بيدمر نائب الشام (٢٨٦) . ووقوع بطاقة في يوم الخميس الــسادس مــن ذي الحجة سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م من بلبيس تخبر بأن العساكر الخارجين عن طاعة السلطان الناصر فرج ابن برقوق قد وصلوا إلى قطيا ، ووقع الهرج بين العــساكر المصرية لهذا الخبر (٢٨٧) . ووصول بطاقــة ســنة ٨٢٨ هــ/ ١٤٢٤ م تخبــر بحضور جاني بك النوروزي وصحبته مماليك يبشرون بانتصار العسكر المملوكي على صاحب قبرص وأسرهم له (٢٨٨) .

الاستخدام الثاني : الإخبار عن ضرورة اعتقال شخص ما : ففي سنة٦٩٣هـ/١٢٩٣ م وقعت بطاقة ، فأحضرها البراج للمتولي ، فأخذها وقرأها ، فوجدها من تروجة ، وقد كتبت عن بيدرا : " سرح الطائر الميمون يوم السبت وقت العصر ، الثاني عشر من المحرم يأمر بالقبض على الوزير " ، وهو شمس الدين محمد بن عثمان ، المعروف بابن سلعوس [٢٨٩] . ومنه أيضاً : وقوع بطاقة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م مضمونها : " إن كانت الرسل قد سافروا تحيلوا على ردهم إلى إسكندرية إن أمكن ذلك ، وإن كانوا ما سافروا عوقوهم وخذوا منهم ذلك الأسير الذي فك قيده وسلم إليهم ، وأحضروه إلى مصر ، ويأذن السلطان بعد ذلك بالسفر " ، وكان السلطان محمد قد اكتشف من أحد أتباعه أن ذلك الأسير ابن ملك كبير ثري ، و لو طلب السلطان منه ملء مركب ذهباً لأعطاه ، ولما وصلت بطاقة السلطان نفذ متولي إسكندرية ما فيها ، وقبض على الأسير وسيره إلى مصر [٢٩٠] .

الاستخدام الثالث : الإخبار عن خطب جلل : من ذلك وقوع بطاقة في سنة٦٩٣هـ/ ١٢٩٣ م كتبت عن بيدرا تخبر بأن السلطان ــ الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ــ قتل، وتسلطن بيدرا [٢٩١] ، ومنه أيضاً وقوع بطاقة تخبر بوفاة مولود لقاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكان قد شفي من علة ، وكان موته فجاءة [٢٩٢] .

الاستخدام الرابع : طلب النجدة : من ذلك بعث الزمام كافور ببطاقة سنة٨١٣ هـ / ١٤١٠ م للعسكر السلطاني باستعجالهم للمجيئ بعد أن حاصرهم الأمراء الخارجين عن طاعة السلطان الناصر فرج بن برقوق وحاولوا فتح باب قلعة الجبل، فلما وصلت بطاقة كافور أسرع العسكر السلطاني بالمجيئ ، وداهم الخارجين عن الطاعة فولوا هاربين نحو باب القرافة [٢٩٣] .

الاستخدام الخامس : استدعاء شخص مهم : من ذلك استدعاء السلطان الأشرف برسباي لنائب الشام سودون من عبد الرحمن ببطاقة أرسلها له عبر الحمام الرسائلي في سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٤ م (٢٩٤) .

وبعد ، فإن البريد في زمن المماليك لعب دوراً فاعلاً في تسيير أمور السلطنة ، بحيث أن أحوالها لا تتم إلا به ، ولا يمكننا بحال أن نتخيل بقاء الدولة بدونه ، وإذا سلمنا جدلاً بتدهور أحواله في فترة ما من عمر السلطنة المملوكية ــ حسب ما ذكره بعض مؤرخي العصر ــ إلا أن طول عمر هذه السلطنة يعطينا دلالة أكيدة على بقاء دور البريد كلاعب أساس ، كما أن العدد الكبير للمراكز البريدية ، وكثرة استخدامات البريد المختلفة تعطينا إشارات قطعية على عناية سلاطين المماليك بالبريد ونظامه .

ثانياً : ملحق الألفاظ الإصطلاحية المتعلقة بنظام البريد :

ومن المفيد أن نستعرض أن نفرد ملحقاً للألفاظ الإصطلاحية المرتبطة بالبريد، فقد جاءت في المصادر المملوكية الكثير من الألفاظ الإصطلاحية المرتبطة بنظام البريد ، وسوف نوردها مرتبة أبجدياً ليسهل على الباحث تتبعها :

أمير آخورية البريد : يتحدث صاحبها عن خيول البريد بدمشق ونواحيها ، وكانت رتبته أميرعشرة منذ أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون وإلى زمن القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أما في نيابة حماة فمتوليها رتبته جندي (٢٩٥) .

أمير جاندار : اسم مركب من ثلاثة ألفاظ : أحدها عربي وهو الأمير ، والثاني جان ومعناه الروح بالفارسية والتركية معاً ، والثالث دار ومعناه ممسك ، فيكون المعنى " الأمير الممسك للروح " ، وذكر القلقشندي أنه ربما يكون الحافظ لدم السلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يأمن عاقبته ، وصاحب هذه الوظيفة يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر (٢٩٦) .

البراج : هو الذي يستقبل الحمام الذي يحمل البطائق ، فإذا وصل الطائر إلى البرج ، أمسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذي يليه ، أي من المنقول على ذلك البرج ، حتى ينتهي إلى برج القلعة فيأخذ البراج الطائر والبطاقة في جناحه ويحضره بين يدي الدوادار الكبير فيعرض عليه، فيضع البطاقة عن جناحه (٢٩٧) .

البريد : اختلف في أصله ، قيل : إنه عربي الأصل ، وعلى هذا ذهب الخليل إلى أنه من قولهم : بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه ، وقيل : مشتق من برد أو أبرد بمعنى أرسل، وقيل : من برد بمعنى ثبت ، لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار ، يقال : " اليوم بارد سمومه " أي ثابت . وقيل : هي فارسية ، وهو الأرجح ، من " بريد دم " بمعنى مقصوص الذنب ، لأن الفرس من عاداتهم أن يقصوا ذنب الخيل والبغال التي يستخدمونها في البريد علامة لها ، وأنشد الجوهري لامرئ القيس :

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا (٢٩٨)

بريد السهام : قد تتطلب الضرورة الحربية استخدام نوع خاص من البريد ، وذلك لتنفيذ العاجل من المهام ، ومن ذلك ارسال الرسائل عبر السهام ، وهذا ما حدث سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م إذ رأى الأمير شيخ نائب الشام أن السلطان الناصر فرج بن برقوق قد نصب المنجنيق وجهز حجارته للرمي فشعر بالخوف ، وتحقق أنه متى ظفر به الناصر لا يبقيه ، فما كان من الأمير شيخ إلا أن طلب من الأمير تغري بردي أتابك العساكر التوسط عند الناصر للعفو عنه وعن بقية الأمراء، وكانت المراسلات بين شيخ وتغري بردي تتم عبر إلقاء الأوراق في السهام (٢٩٩) .

البريد الشخصي . انظر كتاب الرسائل .

البريدي : يسمى أيضاً صاحب البريد ، ويجمع على البريدية أو البرداء ، مشتق من قولهم: أبرد صاحب البريد إلى الأمير فهو مبرد يعني أرسل إليه البريد ، لـذا فإنه شخص مخصوص يتولى أمره بتنفيذ ما يصدر وتلقي ما يرد ، يحمل رسـائل السلطان وكتبه ، لا يساق عادة إلا لمهمات السلطنة ، كإرسال الرسائل ، والمناشير ، والتقاليد ، والملطفات ، وقد يتضمن الأمر أيضاً ما اعتاد عليه السلاطين من شراء مملوك مليح ، أو استدعاء مغن حسن الصوت ، أو خراب بيت شخص شـك فـي ولائه ، ويستخدم أيضاً في استدعاء الأشخاص من الأمراء والعلماء وغيرهم [٣٠٠] . ويختص سلاطين المماليك ونوابهم بأكابر البريدية وعقلائهم وأصـحاب التجـارب منهم ، وخاصة " في المهمات العظيمة التي يحتاج الرسول فيها إلى تنميق الكلام ، وتحسين العبارة ، وسماع شبهة المرسل إليه ، ورد جوابه وإقامة الحجة عليه"[٣٠١]، ويشترط في البريدي " أن يكون بصيراً بمخارج الكلام وأجوبته ، مؤدياً للألفاظ عن الملك بمعانيها ، صدوقاً بريئاً من الطمع " [٣٠٢] ، كما على البريدي أن يعمل على " كتمان الأسرار ، وستر العورات ، وكف لسانه عن الفضول ، فضلاً عن الكـذب ...، وعليه ألا يجهد الفرس ، بل يسوقها بقدر طاقتها"[٣٠٣] ، ويتطلب الأمـر مـن المرسل للبريدي " امتحانه قبل توجيهه في مقاصده، ولا يرسل إلى الملوك الأجانب، إلا من اختبره بتكرير الرسائل إلى نوابه وأهل مملكته ،... ، ثم يجعل عليه عينـاً فيما يرسل به من حيث لا يشعر ، فإذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها وسـأل الملك عينه ، فإن طابق ما قاله الرسول ما أتى به من هو عين عليه وتكرر ذلـك منه ، صارت له الميزة والتقدمة عند الملك ، ووجهه حينئذ في مهمات أموره"[٣٠٤].

البشارة : والجمع بشائر ، وهي الرسائل التي كان سلاطين المماليك يبعثون بها إلى البلاد والأعمال في الأعياد والمواسم والحوادث السارة [٣٠٥] .

بطائق الحمـــام : نوع من المكاتبات تحمل على أجنحة الحمام ، يكتب فيها بالقلم الغبار على ورق رقيق للغاية من صنف الورق الشامي يسمى ورق الطير ، ويكون من القطع الصغير في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة (٣٠٦) .

تذكرة : والجمع تذاكر ، وهي كل مكتوب يصدر عن السلطان إلى نوابه بأقاليم السلطنة المملوكية أو لكاشف كل عمل أو إلى قصاده من مقدمي البريدية وغيـــرهم الذين يرسلهم في مهام الدولة لتذكرتهم بتفاصيل ما يوكل إليهم ، وتكون بمثابة ورقة اعتماد وحجة عند الجهات التي يقصدونها . وقد جرت العـــادة أن تـــضمن جمـــل الأموال التي يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئاً منهـــا أو نـــسيه . فأمـــا عنوان التذكرة فيكون في صدرها تلو البسملة ، فإن كانت للرسول يعمل عليهـــا ، قيل : تذكرة منجحة ـــ أي صواب ـــ صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ، وينتهي بمشيئة الله تعالى ما نص فيها ، وإن كانت حجة لـــه يعرضـــها لتشهد بصدق ما يورده ، قيل : تذكرة منجحة صدرت على يد فلان بن فلان بمـــا يحتاج إلى عرضه على فلان. وعادة تكتب التذكرة في قطع الورق الشامي المربع ، تكسر فيها الفرخة الكاملة نصفين ، وتجعل دفتراً وورقة إلى جنب أخرى لا كراسة بعضها داخل بعض ، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالاسم الشريف ، ويكون الكتابة عليها بخط الرقاع (٣٠٧) .

تقدمة البريد : يتحدث صاحبها على جماعة البريدية بدمشق ، وكانت في زمـــن السلطان الناصر محمد بن قلاوون منحصرة في واحد من جملة البريدية ، ثم استقر فيها اثنان : إما إمرة عشرة وإمرة خمسة ، أو إمرة خمسة وجندي ، أو نحو ذلك ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته (٣٠٨) .

التقليد : كتاب مختوم من السلطان موقع عليه فيه تنصيب لنواب الحاكم في مناصب الحكم نيابة عن السلطان ، وتقاليد النواب يكتب عليها اسم السلطان ، واسم أبيه ، مثل : محمد بن قلاوون (٣٠٩) .

جراب البريدي : هو الذي يضع فيه البريدي الكتب والرسائل التي يحملها(٣١٠).

الدرج : انظر كاتب الدرج .

الدوادار : لقب يطلق على الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها، وهو اسم فارسي مركب من لفظين أحدهما عربي وهو الدواة ، والثاني دار بمعنى ممسك . والدوادار من مهامه تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغه عامة الأمور ، وتقديم القصص إليه ، وتقديم البريد إليه هو وأمير جاندار وكاتب السر ، ويأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتواقيع والكتب ، وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيئ بمرسوم ، حمل رسالته وعينت فيما يكتب ، وإذا جاء الكتاب أخذه الدوادار فيمسحه بوجه البريدي ، ثم يناوله السلطان فيفتحه ، ويجلس كاتب السر فيقرأه عليه ، ويأمر السلطان فيه بأمره (٣١١) .

ديوان الإنشاء : مقر هذا الديوان في قلعة الجبل ، وبه قاعة خاصة مثل الوزارة تعرف باسم " قاعة الإنشاء " . وتنظيم هذا الديوان مطابق لديوان الإنشاءء الفاطمي، وقد استمر في مستواه العالي مثلما كان عليه الحال في العهد الفاطمي ، بل زاد نشاطه بسبب اتصالات المماليك الواسعة مع ملوك الفرنجة والمغول . ويدار هذا الديوان بنظام بيروقراطي صرف ، وكان رئيسه من رجال القلم ، وعادة يكون من أهل مصر ، ويتم تعيينه عن طريق السلطان كالقضاة الأربعة وبقية النواب ، ويتلقب بصاحب ديوان الإنشاء ، ومنزلته رفيعة القدر عند السلطان ، لا يكاد أن لا يكون عند السلطان أخص منه ، ولا ألزم لمجالسته منه ، فهو يلقي إليه أسراره ، ويخصه بخفايا أموره ، ويطلعه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء من الوزراء

والأهل والولد ، وهو أول داخل على السلطان ، وآخر خارج عنه ، ولا غنى لـــه عن مفاوضته في آرائه ، ويشترط صاحبه أن يكون ملماً بألفاظ القــرآن الكــريم ، والحديث الشريف، وبالآثار ، والأشعار ، والأمثال ، وكيفية استخدامها والاستدلال بها في أعمال الكتابة ، والإلمام باللغة العربية وفنونها كالنحو والتصريف والبلاغة، فكان يلقى إلى الواحد منهم الكلمة الواحدة أو المعنى المفرد فيبنـــي عليـــه الكـــلام الطويل ، ويعرف المفصول والموصـــول ، والمقـــصور والممـــدود ، والابتـــداء والجواب ، حاذقاً بالعقود والفتوح ، كما أن الحاجة تستلزم أن يلم بعموميات العلوم والفنون ، وبتفصيلات ما يكون متصلاً بوظيفته كأوصاف الأبطـــال والـــشجعان ، والجواري والغلمان ، والخيل والإبل ، وجليل الوحش وسائر أصنافه ، وجـــوارح الوحش والطير ، والحمام الرسائلي المسمى بالهـــدى ، وســـائر أنـــواع الطيـــر ، والسلاح بأنواعه ، وآلات الحصار ، والآلات الملوكيـــة ، وآلات الـــسفر ، وآلات الصيد ، وآلات المعاملة ، وآلات اللهو والطرب ، والمدن والحصون ، والمساجد ، والرياض ، والأشجار ، والأزهار ، والثمار، والبـــراري ، والقفـــار ، والجبـــال ، والبحار والأنهار ، والسفن ، والكواكـــب ، والعناصـــر، والأزمنـــة ، والأنـــواء ، والرياح ، والمطر ، وأنساب العرب والعجم ، والوقائع ، وأيام العرب ، وعاداتهم ، وغير ذلك كثير ، وكانت الضرورة تحتم كذلك معرفـــة اللغـــات الأجنبيـــة كلغـــة الفرنجة ، واللغات الأخرى خاصة التركية ، على اعتبارها اللغة السائدة عند حكام المماليك ، فكان هؤلاء المتخصصون يقومون بالمكاتبات الصادرة للملـــوك شـــرقاً وغرباً على اختلاف لغاتهم ، وتطلب الأمر وجود من يقـــوم بالترجمـــة وتعريـــب المكاتبات . وتتنوع المكاتبات في هذا الديوان من رسائل وتقاليد وتفاويض وما ينشأ من أمور هامة عن البيوع والعقود ومنشورات الإقطاع ونحو ذلك (٣١٢) .

أما في نيابات السلطنة المملوكية فلا يقال في واحد منهم في مصطلح الديوان صاحب دواوين الإنشاء كما يقال في متولي ديوان الإنشاء بالديار المصرية، بل يقال في متولي ديوان دمشق صاحب ديوان الإنشاء بالشام ، وفي متولي ديوان حلب صاحب ديوان المكاتبات بحلب، وكذا في النيابات الأخرى كحماة ، أما غزة ، والكرك ، والإسكندرية وغيرها من النيابات الصغار فإنما يقال في متولي شيئ من دواوينها كاتب الدرج ، ولا يطلق عليه كاتب السر بحال (٣١٣) .

وعلى صاحب ديوان الإنشاء في زمن المماليك مهام جسام فيما يتصرف الديوان بتدبيره ، ويصرفه بقلمه ، ومتعلق ذلك اثنا عشر أمراً ذكرها القلقشندي وفصل القول فيها (٣١٤) ، وما يعنينا منها : نظر صاحب الإنشاء في أمر البريد ومتعلقاته ، وقد لفت القلقشندي إلى أهمية هذا الأمر بقوله : " وهو من أعظم مهمات السلطان وآكد روابط الملك " (٣١٥) ، ثم ذكر سبب ذلك في كون صاحب الإنشاء هو الذي يتلقى المكاتبات الواردة ويقرؤها على السلطان ويجاوب عنها ، لذا كان صاحب الإنشاء عند السلطان المعتمد عليه في ذلك والمعول عليه في أمره(٣١٦)، كما ذكر القلقشندي أن من بين مهام صاحب الإنشاء النظر في أمر أبراج الحمام ومتعلقاته(٣١٧) . وفي موضع آخر حدد القلقشندي العلاقة الوثيقة بين صاحب ديوان الإنشاء والبريد السلطاني بقوله : " هو المتولي لأمر البريد ــ بالأبواب السلطانية ــ وتنفيذ أموره في الإيراد والإصدار " (٣١٨) .

رأس باش البريدية : باش بمعنى الرئيس ، والجمع باشات (٣١٩) . والمعنى في ظني رئيس مقدمي البريدية ، على اعتبار وجود وظيفة مقدم البريدية ، فإن هذا الرجل مرتبته أعلى منه ، وقد ذكر هذه الوظيفة ابن إياس حين أخبر عن وفاة ابن برد بيك أحد الحجاب ورأس باش البريدية في سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م (٣٢٠) .

شد مراكز البريد : متوليها يكون رفيقاً لأمير آخور البريد ، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدم حلقة أو جندياً ، وولايتها عن نائب حلب بتوقيع كريم [٣٢١].
أما شد مراكز البريد لنيابة حماة ، ففيها جندي [٣٢٢] .

صاحب ديوان الإنشاء : انظر : ديوان الإنشاء .

صاحب ديوان الرسائل بصفد : من أرباب الوظائف الديوانية ، ويكتب له من الأبواب السلطانية [٣٢٣] .

صولاق : مصطلح تركي يعني جندي البريد السريع [٣٢٤] .

الطومار : الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها بالفرخة [٣٢٥] .

قلم الغبار : بضم الغين وفتح الباء ، سمي بذلك لدقته ، كأن النظر يضعف عن رؤيته كما يضعف عن رؤية الشيئ عند ثوران الغبار وتغطيته له ، وهو الذي يكتب به في القطع الصغير من ورق الطير وغيره . به تكتب بطائق الحمام التي تحمل على أجنحتها في ورق الطير ، وبعضهم يسميه قلم الجناح لذلك ، وهو قلم ضئيل مولد من الرقاع والنسخ ، مفتح العقد من غير ترويس فيه ، وينبغي أن تكون قطته مائلة إلى التدوير لتفرعه عن الرقاع والنسخ [٣٢٦] .

كاتب السر : العامة يبدلون الباء بميم فيقولون كاتم السر ، وهو صحيح المعنى إما لأنه يكتم سر الملك ، أو من باب إبدال الباء بالميم على لغة ربيعة . يجلس عن يسار السلطان بدار العدل ، ومن مهامه : تقديم البريد إلى السلطان هو والدوادار وأمير جاندار، والنظر في تجهيز البريد والنجابة ، وما يبعث فيه من المصالح وينفذ فيه من المهمات والقصاد ، والنظر في أمر أبراج الحمام ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخذ عليه العلامة الشريفة ، ومن مهامه أيضاً : التوقيع عن السلطان ، والاطلاع على أسراره التي بها يكاتب ، وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل ، ومن حقه إنهاء القصص إلى السلطان وتفهيمه إياها ، فإن أكثر الملوك

يعسر عليهم الفهم ، ويؤتون من قبل ذلك ، لا سيما إذا اشتبكت الأمور، وازدحمت الأشغال (٣٢٧).

كاتم السر : انظر : كاتب السر .

كتاب الدرج : وهم الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير ، أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات والعهود وما يجري مجراها ، وسموا كتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دروج الورق ، والمراد بالدرج في العرف العام الورق المستطيل المركب من عدة أوصال ، وهو في عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة . وقد زاد عدد كتاب الدرج في زمن المماليك حتى خرجوا عن الحد ، وبلغوا نحواً من مائة وثلاثين كاتباً . وذكر القلقشندي أن رئاسة هذه الوظيفة سقطت في زمانه وانحط مقدارها حتى إنه لم يرضها إلا من لم يكن أهلاً بها (٣٢٨) .

كتاب الدست : وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم حسب أقدميتهم ، ويقرءون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر لها ، ويوقعون على القصص كما يوقع كاتب السر، وسموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه ، وذلك لجلوسهم للكتابة بين يديه ؛ وهؤلاء هم أحق كتاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين ، لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم ، وكانوا في أوائل في أيام السلطان الظاهر بيبرس وما والاها قبل أن يلقب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر ثلاثة كتاب ، كبيرهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، ثم تزايد عددهم شيئاً فشيئاً خصوصاً في سلطنة الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج حتى وصلوا إلى العشرين (٣٢٩) .

كتاب الرسائل أو البريد الشخصي : ونعني بهم أولئك الذين يجلسون على قارعة الطريق، ويكتبون الرسائل الشخصية للعامة من الناس التي تتضمن الإستعلام عن الخبر وكل ما فيه مصلحة خاصة بالمرسل والمرسل إليه ، وقد ذكر ابن الإخوة في الكلام على الحسبة على كتاب الرسائل أن عليهم أن لا يجلسوا في درب ، ولا في زقاق ، ولا في حانوت ، بل على قارعة الطريق ، لأن أغلب من يجلس عندهم من النساء ، وقد يجلس من لا حاجة عندهم من الشباب وغيرهم ، وليس لهم قصد سوى حضور إمرأة تكتب رسالة أو حاجة لها فيشاكلها، ويتمكن من الحديث معها بسبب جلوسه وجلوسها ، ويؤدي ذلك إلى أشياء لا يليق ذكرها ، فإن كانوا على قارعة الطريق كان أمرهم أسهل من جلوسهم في حانوت أو درب أو غيره ، ويلزمهم الحال حينئذ أن لا يكتبوا لأحد من الناس ما يتعلق بالمحبة ودواعيها ، ولا يكتبوا رسالة إمرأة لرجل أجنبي [٣٣٠] .

ويمكن أن نطلق على هذا النوع من المراسلات البريد الشخصي ، لأن الرسائل التي تكتب عادة يقوم بإيصالها شخص إلى شخص آخر .

ولم تحدثنا المصادرعن وجود من يقوم بتوصيل الرسائل البريدية الشخصية لعامة الناس ـ كما هو الحال في عصرنا الحديث ـ وعلى ضوء هذه المسلمة فإن توصيل البريد الشخصي لعامة الناس يتم عبر من يثق بهم المرسل ، والمرسل إليه من الأقارب والأصدقاء والخدم وغيرهم .

الملطفات : رسائل سرية تكتب على ورق رقيق ، تلف وتختم ، ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين ، أو سواك ، أو عصا ونحو ذلك ، يجوف داخلها وتوضع فيه وتسلم عادة عن طريق مقدم البريدية أو من يثق السلطان به إلى من يراد تسليمها له بصورة سرية لا تلفت النظر ، وهي تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والمدح أو التغرير والتأمين تمهيداً لما يضعه لهم السلطان من عقوبة أو

قتل ، وكانت تكتب بخط الغبار (٣٣١) . من ذلك : ارسال السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م إلى الأمراء الذين يعلم منهم الحفظ والصيانة ويتحقق منهم الإخلاص وعدم الخيانة ملطفات ورسائل مذكرة بحقوقه المتعددة ومعلمة بهذه الأمور المتجددة ، فصادفت موقعاً حسناً في نفوسهم ، فمنهم من كتم أمرها ، ومنهم من تملكه الخوف فأظهرها ، ولما علم بيبرس الجاشنكير — وهو خصم الناصر — بذلك بحث عن محضري الرسائل والملطفات ، ولما تيقن من شخصهما ضربهما ضرباً مبرحاً (٣٣٢) . ومن ذلك أيضاً : ركوب طغيتمر مقدم البريدية البريد سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م ، ومعه ملطفات للأمراء الأوجاقية (٣٣٣) ، وأمراء الورسق — من قبائل الغز التي تسكن شرق إقليم قيليقية — ومطلق لنواب المماليك والقلاع ، وصحبته أقبية مطرزة بفرو وخمس عشرة قطعة ، وفوقانيات حرير بأطرزة زركش أربع وعشرون قطعة ، وتشاريف كثيرة ، كل ذلك على سبيل الترضية (٣٣٤) .

المنشور : أمر سلطاني مكتوب بإقطاع من أرض أو مال أو غير ذلك ، وهو من المكاتبات التي لا تحتاج إلى ختم كالمكتوب بالولاية ، والمكتوب بالحماية، والمكتوب بالإقطاع. قال القلقشندي : " اصطلح كتاب الزمان على تسمية جميع ما يكتب في الإقطاعات من عاليها ودانيها للأمراء والجند والعربان والتركمان وغيرهم مناشير " (٣٣٥) ، وغالباً ما يقوم البريدي بإيصال المناشير إلى جهات السلطنة المملوكية ، وكانت المناشير على أربعة أصناف يكتب كل صنف منها في قطع معين من الورق يختلف باختلاف طوائف رجال الدولة، فالصنف الأول : ما يكتب في قطع الثلثين وهو لأعلى المراتب من الأمراء كمقدمي الألوف بالديار المصرية وجميع النواب الأكابر بالممالك الإسلامية والمقدمون بدمشق . والصنف الثاني : ما يكتب في قطع النصف وفيه يكتب لأمراء الطبلخاناه بمصر والشام

والأمراء المقدمون بحلب وغيرها من نواب القلاع . والصنف الثالث : ما يكتب في قطع الثلث وفيه يكتب لأمراء العشرات مطلقاً بسائر الممالك في مصر والشام والطبلخاناه من التركمان والأكراد بالممالك الإسلامية . والصنف الرابع : ما يكتب في قطع العادة المنصوري وفيه يكتب للمماليك السلطانية ومقدمي الحلقة ورجال الحلقة ، وعادة تفتتح في المناشير بعبارة: " خرج الأمر " ، وتمتاز المناشير المفتتح فيها بخطبة : " الحمد لله " بطغرا بالسواد ، يضمن اسم السلطان وألقابه ، والمناشير عادة تكتب في ديوان الإنشاء ، ويعلم عليها السلطان علامته ، ثم يكمل ذلك المنشور بخطوط ديوان الإقطاع بعد المقابلة على صحة أصله (٣٣٦). ومثال حمل البريدي للمناشير : قدوم البريد في شهر ذي الحجة من سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م بمنشور الأمير بدر الدين بن الخطير بإقطاع ألملش الحاجب المتوفى ، ومنشور للأمير فخر الدين أياس بإقطاع ابن الخطير وحجوبية الحجاب (٣٣٧) .

موقع الإنشاء : انظر كاتب الدست .

نظر مراكز البريد : متوليها يكون رفيقاً لأمير آخور البريد ، وولايته عن نائب الشام بتوقيع كريم (٣٣٨) .

الحواشي

(١) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق أحمد حطيط ، نشر جمعية المستشرقين الألمانية ، دار فرانز شتايز، فيسبادن ١٩٨٣ م ، ص ٣١١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ج ١٤ ص ٣٧٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبدالله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة د.ت ، ص ٨٩٨ .

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٣ – ١٩٧٢ م ، ج ١٦ ص ٧٥ .

(٥) ابن شاهين الظاهري ، ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس، المطبعة الجمهورية ، باريس ١٨٩٤ م ، ص ١١٨؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٦٦ ؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، طبعة دار صادر ، بيروت د . ت ، ج ١ ص ١١٩ ؛ ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣ م ، ص ١٢ ؛ نظير حسان ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٧٦ م ، ص ١٩ – ٢١ ؛ أدي شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت د. ت ، ص ١١٨ ؛ الرسالة الثانية لأبي دلف ، تحقيق بطرس لفاكوف وأنس خالدون ، بيروت د . ت ، ص ٤٠ ، ١٢٤ ، ١٤٥ ،٢٦٧، ٣٤٤.

(٦) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٧) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية ، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة١٩٩٠م،ج٣ص١٥٧.

(٨) العيني ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٠ – ٩١ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(١٠) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٢٠.

(١١) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٣٤– ١٩٧٣م ، ج ٣ ص ٨٥٧ ، ٨٥٩ .

(١٢) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٣ ص ١٦٧ .

(١٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ص ١٥٨.

(١٤) العيني ، السيف المهند ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، من إصدارات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بوزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦– ١٩٦٧ م ، ص ١٨٤ .

(١٥) ابن فضل الله ، مسالك الأبصارفي ممالك الأمصار – دولة المماليك الأولى ، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي ، نشر المركزالإسلامي للبحوث ، بيروت ١٩٨٦ م ، ص ١٠٨ ؛ القلقشندي، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(١٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٥– ١١٦ .

(١٧) ابن طولون مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق محمد مصطفى ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢م ، ق ١ ص ١٤٢.

(١٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٦ .

(١٩) لعب الكرة ، ويراد هنا اللعبة المعروفة الآن باسم Polo وهي رياضة درج على ممارستها الملوك والسلاطين زمن الأيوبيين والمماليك . القلقشندي ، ج ٤ ص ٤٧ ;
Ahsan(M.M):Social Life under the Abbasids.London,Newyourk,Beirut.1979,P.252-254.

(٢٠) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٥٨ – ٥٩ .

(٢١) ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ – ١٠٦؛ القلقشندي ، المصدر السابق ج ٤ ص٥٩ – ٦٠.

(٢٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٠ .

(٢٣) المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩٠ – ١٩١ ، ١٩٣ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

(٢٥) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٨ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٣– ٣٧٥ .

(٢٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٣ – ٣٧٥ .

(٢٧) سرياقوس : بليدة من نواحي القاهرة بمصر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م ، ج ٣ ص ٢١٨ ;
Amelineau(E):La geographie de l'Egypte a' l'epoque Copte.Paris MDCCC XC III,P.468-469.

(٢٨) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٨ – ١١٩؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٥ – ٣٧٦.

(٢٩) القلقشندي، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٦ – ٣٧٧ ؛ ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩؛ محمد قنديل البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ١٣٢.

(٣٠) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٧ .

(٣١) المصدر السابق .

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٣٧٨ .

(٣٤) المصدر السابق .

(٣٥) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٨

(٣٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٩ ؛ ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩

(٣٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧٩ .

(٣٨) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨٠.

(٣٩) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨٠ ؛ ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩.

(٤٠) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨٠ .

(٤١) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨١

(٤٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨١ .

(٤٣) المصدر السابق ، ٣٨١ – ٣٨٣ .

(٤٤) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ – ١٢٠ ؛ صبح ، ج ١٤ ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٤٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨٥ ؛ ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١١٩ – ١٢٠.

(٤٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٨٣٣ ؛ محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، نشر دارالفكر ، دمشق ١٩٩٠م ، ص ١٩ .

(٤٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ص ٣٠٦ – ٣٠٨ .

(٤٨) العيني ، عقد الجمان ، ج ١ ص ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٤٩) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، طبعة الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ٧٣ ؛ ابن طولون ، رسائله ، نسخة كبيرة متفرقة المحتوى بمكتبة أحمد الثالث في تركيا برقم ١٣١٦، ق ٦٣ .

(٥٠) ابن طولون ، رسائله ، ق ٦٤ ؛ بيبرس المنصوري ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٥١) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٥٢) ابن قاضي شهبة ، تاريخه ، تحقيق عدنان درويش ، نشر المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، طباعة مشتركة بين المعهد المذكور ، والجفان للطباعة والنشر ، دمشق١٩٩٤م، مج ٢ ج ١ ص ٢٢١ .

(٥٣) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٥١ ؛ ابن حجي الحسباني ، عبر الأعصار وخبر الأمصار ، مخطوط بالمكتبة الملكية في برلين برقم ٩٤٥٨ ، ق ٤٧ .

(٥٤) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٥٦) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٢٠٣ .

(٥٧) المصدر السابق ، ص ٦٦٢ – ٦٦٣ .

(٥٨) المصدر السابق ، مج ٣ ج ٢ ص ٣١٨ .

(٥٩) العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ ص ٧٧ .

(٦٠) ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ .

(٦١) المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٦٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٦٣) ابن الفرات ، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عزالدين ، نسخة مصورة ، د . ن ، بيروت د . ت ، ج ٨ ص ١٢٠ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٦٨ .

(٦٤) العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ ص ٤٦٠ – ٤٦١ .

(٦٥) اليوسفي ، نزهة الناظر في سيرة الملك الظاهر ، دارسة وتحقيق أحمد حطيط ، طبعة عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٦ م ، ص ٤٠١ – ٤٠٢ .

(٦٦) المصدر السابق ، ص ٤١٠ .

(٦٧) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٥٠٦ ؛ محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٥٥٣ – ٥٥٤ .

(٦٩) ابن طولون ، رسائله ، ورقة ٨٦ ؛ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٣ ج ٢ ص٥١٥ .

(٧٠) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، نسخة الهيئة العامة المصرية للكتاب ، طبعة ثانية مصورة عن الأولى، القاهرة ١٩٨٢ – ١٩٨٤ م، ج ١ ق ٢ ص ٣٧٥ .

(٧١) الخطيب الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان ، تحقيق حسن حبشي ، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية ، نسخة مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٧٣ م ج ١ ص ٢٨٧ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٦٩٦ .

(٧٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧١٦ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٣٠٥ .

(٧٣) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٧٦٦ .

(٧٤) الخاصيكية جماعة من المماليك السلطانية ممن دخلوا في خدمة السلطان صغاراً ، يدخلون عليه بدون استئذان ويلازمونه في خلواته ، ويسوقون المحمل الشريف ، ويتعينون لكوافل الكفال ، ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويركبون لركوب السلطان ليلاً ونهاراً ، وكان عدتهم أيام الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً . ابن شاهين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٥ – ١١٦ ;

Quatreme're:Histoire des Sultans Mamlouks . Paris 1969 . I,2, P.158,n.3.

(٧٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٧٠ .

(٧٦) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(٧٧) ابن حجي الحسباني ، عبر الإعصار وخبر الأمصار لابن حجي الحسباني ، مخطوط بالمكتبة الملكية في برلين ، ألمانيا برقم ٩٤٥٨ ، ق ١٠٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، المصدر السابق ، ج ٣ ص٣٨٨ .

(٧٨) المقريزي ، السلوك ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥٨٥ .

(٧٩) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ؛ المقريزي السلوك، ج ٣ ص ٧١٥.

(٨٠) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٢٢ .

(٨١) المصدر السابق ، ص ١٠١٤ .

(٨٢) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٢٤ ،

(٨٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

(٨٤) اليوسفي ، المصدر السابق ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٣١٨ – ٣٢١ .

(٨٦) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٨٨) بيبرس المنصوري ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

(٨٩) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٤٥٧ – ٤٥٨ .

(٩٠) ابن حجر ، ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، نشر دار الجيل ، بيروت د.ت ، ج ١ ص ٤٢٨ ؛ اليوسفي ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٩١) اليوسفي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٩ .

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٨ .

(٩٣) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٢٦٧ .

(٩٤) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ق ٢ ص ١٩١ .

(٩٥) المقريزي ، السلوك ، ٣ ص ٤٠٠ ، ٨٥٩ .

(٩٦) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ق ٢ ص ٣٧٥ .

(٩٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٠٠ .

(٩٨) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ق ٢ ص ٥٧٨ .

(٩٩) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧١ .

(١٠٠) المقريزي ، السلوك ، ٣ ص ١١٤٠ ، ١١٤٣؛ ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ق ص ٧٠١ ، ٧٠٣ .

(١٠١) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ص ٧٨ .

(١٠٢) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٤٠ .

(١٠٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ص ٩٤٥ .

(١٠٤) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٥ ص ٢٣١ .

(١٠٥)) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق محمد محمـد أمـين، نشر مركز تحقيق التراث ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القـاهرة ١٩٨٤ ، ج ٢ ص ٤٣٧ – ٤٤٠ .

(١٠٦) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٧٨ و ج ٤ ص ٣٥٤ .

(١٠٧) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٥٠٩ ؛ ابن تغري بردي ، المنهـل الصافي ، ج ٢ ص ٤٣٧ .

(١٠٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٦٥ .

(١٠٩) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٣ .

(١١٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤١ .

(١١١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٥١ ، ٧٥٢ .

(١١٢) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨١٣ .

(١١٣) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٩٨ .

(١١٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٠١٥ – ١٠١٦ .

(١١٥) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥٧ .

(١١٦) العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ ص ٢٢٦ .

(١١٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٨٥ .

(١١٨) المصدر السابق ، ص ٧٠٢ .

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٧٠٣ .

(١٢٠) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(١٢١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٠٤٢ .

(١٢٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٨ ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(١٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(١٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ، ٢٦٢ .

(١٢٨) المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ، ٢٦٥ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١٣٠) المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(١٣١) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ، ٣٠٣، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩.

(١٣٢) العيني ، عقد الجمان ، ج ٢ ص ٣٤٨ – ٣٤٩ ؛ ابن حجي الحسباني ، المصدر السابق ، ق ٥٢ .

(١٣٣) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٥٠٦ .

(١٣٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣٠٥ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٨ .

(١٣٦) المصدر السابق ، ص ٥٩٧ .

(١٣٧) المصدر السابق ، ص ٦٦٢ .

(١٣٨) المصدر السابق .

(١٣٩) المصدر السابق ، ص ٦٧٤ .

(١٤٠) المصدر السابق ، ص ٧٠٨ .

(١٤١) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠١ ؛ السلوك ، ج ٣ ص ٧١٢ .

(١٤٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧١٦ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٣٠٢ .

(١٤٣) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٣ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٧٢٤ .

(١٤٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٢٥ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٥ ، إلا أنه ذكر : " اليوسفي " بدلاً عن " اليونسي " .

(١٤٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٨٥ .

(١٤٦) المصدر السابق ، ص ٥٧٩ .

(١٤٧) المصدر السابق ، ص ٨٠٢ .

(١٤٨) المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(١٤٩) المصدر السابق ، ص ٤٩٩ .

(١٥٠) المصدر السابق ، ص ٥٦٢ .

(١٥١) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٢ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٧٢٣ .

(١٥٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣٤١ .

(١٥٣) المصدر السابق ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .

(١٥٤) ابن حجي الحسباني ، المصدر السابق ، ق ١٠٦ ، المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٤٤٣.

(١٥٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٠٤ – ٥٠٨ .

(١٥٦) المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

(١٥٧) المصدر السابق ، ص ٨٣٣ .

(١٥٨) سيس : بلدة في آسيا الصغرى ، وهي قاعدة بلاد الأرمن . انظر :
Encyclopedie de l'Islam,Ancienne edition(EI) : -Buchner (V.F.) :art."SIS",IV,P.453b-455b.

(١٥٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٨٩ .

(١٦٠) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٣ .

(١٦١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣٣٩ .

(١٦٢) المصدر السابق ، ص ٣٩١ – ٣٩٣ .

(١٦٣) المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

(١٦٤) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١٤ .

(١٦٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٤٨١ – ٤٨٢ .

(١٦٦) المصدر السابق ، ص ٥٦٧ .

(١٦٧) المصدر السابق ، ص ٦٥١ .

(١٦٨) المصدر السابق ، ص ٥٩٢ – ٥٩٣ .
(١٦٩) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٩ .
(١٧٠) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٥٤ .
(١٧١) المصدر السابق ، ص ١٧٤.
(١٧٢) المصدر السابق ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ .
(١٧٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٠٢ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٢٩٢ .
(١٧٤) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٩ .
(١٧٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٤٠ .
(١٧٦) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .
(١٧٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .
(١٧٨) المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .
(١٧٩) المصدر السابق ، ص ٤٥٣ .
(١٨٠) المصدر السابق ، ص ٦٦١ .
(١٨١) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٥ ص ٥٠ ، ١٠٨ ؛ ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ١ ق ٢ ص ٤١٣ – ٤١٥ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٦٥٥ – ٦٥٦ ؛ محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٥.
(١٨٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٠٦ .
(١٨٣) الترسيم هو اصدار الأمر بحجز حرية شخص ما ، ويقابله في عصرنا الإقامة الجبرية . محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ٤٤ ، وعن الحادثة المذكورة انظر : السلوك ، ج ٣ ص ٧٦٩ .
(١٨٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٨٦ – ٧٨٧ .
(١٨٥) المصدر السابق ، ص ٤٤٣ – ٤٤٦ .
(١٨٦) اليوسفي ، المصدر السابق ، ص ١٣١ – ١٣٢ .
(١٨٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(١٨٨) ؛ ابن طولون ، رسائله ، ق ٧٢ ؛ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص٢٣٣ .

(١٨٩) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٢٣٩ .

(١٩٠) المصدر السابق ، ص ٢٤١ – ٢٤٤ .

(١٩١) المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

(١٩٢) المصدر السابق ، مج ٣ ج ٢ ص ١٧٩ .

(١٩٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٨١٣ .

(١٩٤) المصدر السابق ، ص ٨١٦ .

(١٩٥) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٠ ؛ ابن طولون ، رسائله ، ق ٦٦.

(١٩٦) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٦٥٠ .

(١٩٧) اليوسفي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(١٩٨) تاريخ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ١٢٥ – ١٢٦ .

(١٩٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٨١ .

(٢٠٠) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٢٠١) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(٢٠٢) المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .

(٢٠٣) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٠٨ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٧١٩ .

(٢٠٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٨٦٩ .

(٢٠٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ٥٣ .

(٢٠٦) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(٢٠٧) محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢٠٨) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٤٨٨ ، ذكر هذا في ترجمة الأمير ألملك لما توفي سنة ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م .

(٢٠٩) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢١٠) المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

(٢١١) المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ، ذكـر هـذا فـي ترجمـة الأميـر ألملـك لمـا تـوفي سنة٧٤٧هـ/١٣٤٦ م .

(٢١٢) المصدر السابق ، ص ٤٨٣ .

(٢١٣) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٨٥ .

(٢١٤) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٧٨٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ١٨٠.

(٢١٥) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢١٦) المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢١٧) المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٢١٨) المصدر السابق ، ص ٤٥٠ .

(٢١٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٩٧ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

(٢٢١) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

(٢٢٢) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٣ ج ١ ص ٤٥١ .

(٢٢٣) المصدر السابق ، ص ٥٧٨ .

(٢٢٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣١٤ – ٣١٥ .

(٢٢٥) المصدر السابق ، ص ٧٦٢ .

(٢٢٦) المصدر السابق ، ص ٨٩٣ ؛ المنهل الصافي ، ج ٥ ص ٣٩٢ ، إلا أنه ذكر ذلك فـي " في العشرين من ربيع الآخر " .

(٢٢٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٣٣ .

(٢٢٨) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٣٥٣ .

(٢٢٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٧٦.

(٢٣٠) المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢٣١) المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

(٢٣٢) المصدر السابق ، ص ٥٤٩ .

(٢٣٣) المصدر السابق ، ص ٩٢٩ .

(٢٣٤) المصدر السابق ، ص ٩٣٠ .

(٢٣٥) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٣٥٥ .

(٢٣٦) المصدر السابق ، ص ٥٠٥ .

(٢٣٧) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤١٢ .

(٢٣٨) القلشندي ، المصدر السابق ، ج ٩ ص ٢٢٩ – ٢٣٣؛ ابن منظور ، المصدر السابق ، ص٣٠١٤ .

(٢٣٩) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ – ٢٥١ .

(٢٤٠) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٤٥.

(٢٤١) ابن حجي الحسباني ، المصدر السابق ، ق ١١٥؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٥٧٣.

(٢٤٢) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣١١ .

(٢٤٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٨٤ .

(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٤٤٠ .

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٩٧٢ .

(٢٤٦) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢٤٧) ابن طولون ، رسائله ، ق ٦٩ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢٤٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

(٢٤٩) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٩١ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٥١٢ .

(٢٥٠) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٦٩ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤٧ .

(٢٥١) المقريزي ، السلوك ، ج ١ ص ٩٠١ .

(٢٥٢) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٢٥٣) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٥٨٢ .

(٢٥٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٥١ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٣٣٦ .

(٢٥٥) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٦١ .

(٢٥٦) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٧٨١ .

(٢٥٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٨٣ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٣٥٨ .

(٢٥٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٢٧ .

(٢٥٩) هو السلطان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغولي ، أغارعلى بلاد الشام مرتين ثم تركها بعد أن أعاث فيها دماراً وخراباً انظر :

Encyclopedie de l'Islam, Nouvelle edition(EI): Barthole (W.)-[Boyle,J.A]:art ."Ghazan",II.P.1067-1068a.;Spuler (B):art."Ilkhans",III,1148b-1151b; Zambaur(E.):Manuel de genealogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam,Tomes 1-2.Hanover1927P.244-245; Lane-Poole(St.):A History of Egypt the Middle Ages.London 1936.P.296-301.

(٢٦٠) العيني عقد الجمان ، ج ٣ ص ٢٧٨ ؛ ابن طولون ، رسائله ، ق ٧١ .

(٢٦١) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤٦ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص٣٤٦ ، ابن طولون ، رسائله ، ق ٩٧.

(٢٦٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣٧٨ .

(٢٦٣) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢٦٤) المصدر السابق ، ص ٤٧٠ .

(٢٦٥) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ، ج ١ ص ٤٧٧ – ٤٧٨ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٠٣ .

(٢٦٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٧٤٩ ؛ الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ١ ص٣٤٣ .

(٢٦٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٨٨٠ .

(٢٦٨) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧١ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ١٠٢٧، إلا أن دخول البريدي جاء في " السادس " بدلاً من "التاسع " ، ولم يذكر اسم البريدي .

(٢٦٩) تاريخ ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٤٤٧ .

(٢٧٠) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٣١٠ .

(٢٧١) ذكر ابن الأثير ذلك في سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م " في هذه السنة اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي " ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٩ م ، ج ١١ ص ٣٧٥ ، وانظر أيضاً : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي ، طبعة دار الجيل ، بيروت د.ت ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٢٧٢) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ؛ ابن شاهين الظاهري ، المصدر السابق ، ص ١١٦ – ١١٧؛ نبيل محمد عبد العزيز ، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٣٢ ، سنة ١٩٧٥ م، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق ، ج ١ص ٦٤ .

(٢٧٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٨ .

(٢٧٤) صبح ، ج ١ ص ١١٨– ١١٩ ؛ ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٢٧٥) ابن شاهين الظاهري ، المصدر السابق ، ص ١١٧؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٩٢.

(٢٧٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٩٢ ؛ ابن شاهين الظاهري ،المصدر السابق ، ص ١١٧.

(٢٧٧) ابن شاهين الظاهري ، المصدر السابق ، ص ١١٧؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٩٣.

(٢٧٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٩٣ .

(٢٧٩) ابن شاهين الظاهري ، المصدر السابق ، ص ١١٧؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٩٤.

(٢٨٠) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٧ ص ٢٣٤ .

(٢٨١) المصدر السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٢٨٢) المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢٨٣) بيبرس المنصوري ، المصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج ٢ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢٨٤) العيني ، عقد الجمان ، ج ٤ ص ٣٢ .

(٢٨٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

(٢٨٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٢٣٧ .

(٢٨٧) الخطيب الصيرفي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٠١ .

(٢٨٨) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٨٨ ، ٩٣ .

(٢٨٩) العيني ، عقد الجمان ، ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢٩٠) المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٢٩١) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٢٩٢) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٥ ص ١٢٣ .

(٢٩٣) المؤلف السابق ، النجوم الزاهرة ، ج ١٣ ص ١١٢ .

(٢٩٤) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٢٧٤ .

(٢٩٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٨٧ ، ٢٣٨ ;
Encyclopedie de l'Islam, Nouvelle edition(EI):Ayalon(D.)- art "Amir Akur",I.P.455b

(٢٩٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩ ، ٢٠ و ج ٥ ص ٤٦١ ؛ ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١١٧ ؛ المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢٩٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٩ .

(٢٩٨) ابن مماتي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ ؛ انظر : القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٦٧ .

(٢٩٩) ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٣ ص ٨٥ .

(٣٠٠) بيبرس المنصوري ، المصدر السابق، ص ٧٨ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ص٣٧١؛ ابن طولون ، نقد الطالب لزغل المناصب ، تحقيق محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان ، من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة ةالتراث بدبي ، طبع دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩٢ م ، ص ٦٢ .

(٣٠١) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٦.

(٣٠٢) المصدر السابق .

(٣٠٣) ابن طولون ، نقد الطالب ، ص ٦٢ .

(٣٠٤) القلقشندي ، المصدر السابق ، ص ١١٦ – ١١٧ ;
Sauvaget (J.): La poste aux chevaux dans l'empire des Mamelouk. Paris1941, P.14-39.

(٣٠٥) محمد قنديل البقلي ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٣٠٦) ابن شاهين الظاهري ، المصدر السابق ، ص ١١٨؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الجزيرة ، تحقيق يحيى عبادة ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومية ، دمشق ١٩٧٨ م ، ج٣ ق ٢ ص ٨٨٥ ؛ أبو شامة المقدسي ، الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٨ ، ١٢٨ وج ٦ ص ١٩٢ ، ١٩٣ و ج ٧ ص ٢٣٤ – ٢٣٥ و ج ١٤ ص١٢٢، ابن واصل الحموي ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، حقق الأجزاء الثلاثة الأولى جمال الشيال ، القاهرة ١٩٥٩–١٩٦٠م ، وحقق الجزء الرابع حسنين محمد ربيع ، القاهرة ١٩٧٥م ، ج ٤ ص ١٦٥ ، حاشية ٤ ؛ محمد أحمد دهمان، المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٣٠٧) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٤٤ – ٤٤٥ و ج ١٣ ص ٧٩ ، ٨٠ – ٨١؛ محمد أحمد دهمان، المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ محمد قنديل البقلي ، المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ ، ٩١ ؛ ابن منظور ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤٥ .

(٣٠٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٨٧ – ١٨٨ .

(٣٠٩) ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق، ج ١٢ ص٣٠٢ ، حاشية رقم ٢ ؛ محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣١٠) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية ، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة١٩٩٠م، ج ٣ ص ٤٥٧ .

(٣١١) المقريزي ، المصدر السابق ، ج ٢ ص٢٢٢ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩ و ج ٥ ص٤٦٢ ؛ ابن طولون ، نقد الطالب ، ص ٥٩ ؛ ابن فضل الله ، المصدر السابق، ص ١٠٦، ١١٨.
Dozy : supplement aux Dictionaires Arabes 2vols,Leden,1881, I, p.469.

(٣١٢) ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ؛القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠١ ، ١٤٣، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٩٤، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٩ ؛ المقريزي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٠٢ وج ٢ ص ٢٠٥ ؛ عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، دراسة شاملة لنظم البلاط ورسومه جزءان ، نشر مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٨٣ ، ج ١ ص ٥٥ – ٥٦ .

Bjorkmann.Walther : Beitrage zur Geschichte der Staatskanzlei im islamischen Agypten.Hamburg 1928,pp.36-55; J.S.Nielsen;Sultan al-Zahir Baybars and the appointment of four Chief Qadis (663/1265). in: Studia Islamica 60 (1984) p. 167-176; j.H.Escovitz:The Establishment of Four Chief Judgeships in the Mamluk Empire.in:JAOS 102 (1982)pp.529-548.

(٣١٣) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٤ ، وج ٤ ص ٢١٩ ، ٢٣٨ .

(٣١٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٠ – ١٢٩.

(٣١٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٤.

(٣١٦) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣١٧) المصدر السابق ، ص ١١٨.

(٣١٨) المصدر السابق ، ج ١٤ ص ٣٧١ .

(٣١٩) محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣٢٠) ابن إياس ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٥٤ .

(٣٢١) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢١٩ .

(٣٢٢) المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٣٢٣) المصدر السابق ، ج ١٢ ص ٢١١ .

(٣٢٤) محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٣٢٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٨٩ .

(٣٢٦) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٤٨ ، ١٢٨ .

(٣٢٧) ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠١ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٤ ، وج ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٥٣ ، وج ١١ ص ٩٢ – ٩٣ ، وج ١٤ ص ٣٧١ ؛ ابن طولون ، نقد الطالب ، ص ٧٣ .

(٣٢٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٨ و ج ٥ ص ٤٦٥ .

(٣٢٩) القلقشندي ، ج ١ ص ١٣٧ و ج ٥ ص ٤٦٤ .

(٣٣٠) ابن الإخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦ م ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٣٣١) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٣١ ؛ محمد أحمد دهمان ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ ؛ محمد قنديل البقلي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧.

(٣٣٢) بيبرس المنصوري ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣٣٣) الأوجاقية : هم الذين يتولون ركوب الخيل للتسيير والرياضة . القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٣٣٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ص ٩٦٦ ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج ١٢ ص١٧٧ ؛ القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٥ ص ٤٥٤ .

(٣٣٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٣ ص ١٥٧ .

(٣٣٦) ابن فضل الله ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨؛ القلقشندي، المصدر السابق ، ج ١٣ ص ١٥٨ـ ١٥٩؛ بيبرس المنصوري ، المصدر السابق التحفة الملوكية ، ص ٢٨ ؛ محمد قنديل البقلي ، المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

(٣٣٧) ابن قاضي شهبة ، المصدر السابق ، مج ٢ ج ١ ص ٤٥١ .

(٣٣٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٩١ .

"أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى" بتكوينات جامعة قرطبة

"Methods of Transition aesthetic and cognitive" In Mosque of Cordoba patterns

د. عصام عرفه محمود

محتويات البحث

مقدمة:

من الثابت دائماً أن يكون بين كل من الشكل والأرضية علاقات وروابط جمالية، يتم من خلالها تبادل وتأكيد القيم الجمالية، وهى العلاقات والروابط التى نجدها فى أنواع التكوينات المتضمنة "للانتقال الجمالى والإدراكى"[١]، والتى تسمو إلى مستويات إبداعية راقية، يتبادل فيها كل من الشكل والأرضية – كمدرك شكلى – جذب إدراك واهتمام المشاهد، نتيجة لما يتمتع به هذا النوع من التكوينات من انتقال جمالى يسود عناصره وألوانه. وهو الانتقال الجمالى والإدراكى الذى يتبادل الشكل مع الأرضية، أو كل عنصر ما حوله من عناصر بالأعمال الفنية، أو كل تكوين مع ما حوله من تكوينات بالأعمال المعمارية، والحقيقة أن ذلك يتحقق دائماً بفضل قدرة الفنان المصمم على تحقيق استمرارية هذا التبادل لدى المشاهد، ونجاحه فى أن يجعل المشاهد "يتأمل الشكل منفرداً، والأرضية منفردة، ثم كليهما معاً متكاملين"، أى أن الإدراك يتبادل الشكل او الأرضية أو هما معاً بالتكوين ككل. ووفقاً "لنظرية الجشتالت"، التى تكونت فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، فإن "الإنسان يدرك من أول مرة الأمر كمدركات حسية كلية،.. والواقع أننا ندرك أشياء (أو أشكال) معينة تتميز وتبرز، فتجذب إليها الانتباه وهى التى تبرز دون سواها.. على أرضية أقل وضوحاً"،[٢] أو أكثر وضوحاً، أو تتطابق قوة الوضوح الشكلى فيما بينها. وتعد التكوينات ذات الانتقال الجمالى والإدراكى من أبدع وأدق أنواع التكوينات لما يحتاجه هذا النوع من إبداع فكرى، وفنى، وإلى التزام أسس هندسية وفنية تحكم أبعادها عند بناء كل جزء منها. والتى أخضعها الفنان عبر العصور وخلال الولايات الإسلامية إلى أساليب شديدة الدقة والإبداع، تمثل محوراً للبحث بهذه الدراسة. وهى الأساليب التى تعكس قدر جهد وإبداع الفنان بهذا النوع من التكوينات، والتى لا تزال فى حاجة إلى دراستها والكشف عنها من أجل إحيائها

والاستفادة منها. الأمر الذى دفع الباحث نحو بحث ودراسة أسسها وأساليبها، وذلك تطبيقاً على أحد أصول التراث المعمارى الإسلامى المتمثل فى جامع قرطبة.

حيث يعد جامع قرطبة الأمور من روائع الأعمال المعمارية الإسلامية الخالدة التى لا تزال باقية، بل هو انعكاس لسمو هندسة عمارة دولة الأمويين الغربية بأسبانيا، حيث مثلت هذه الفترة إحدى قمم النمو العمرانى والفكرى الذى يعكس تفردها وتميزها الفنى والجمالى عن غيرها من ولايات العالم الإسلامى.

وكانت علاقة الأندلس بالولايات العربية وخاصة المغرب العربى، علاقة عريقة وصلات وطيدة فهى علاقة جوار دول شمال البحر المتوسط بولايات جنوبه. حيث كان للحكم الإسلامى للأندلس [٣] والذى امتد قرابة ثمانية قرون أثره فى استقرار أسلوب وطابع فريد شمل مناحى الحياة الفنية والاجتماعية والعلمية والثقافية، فى إطار من الرخاء وثراء الإبداع، لم يلبث أن انعكس بدوره على الحياة الأوروبية، محدثاً دوراً مؤثراً فى النهضة الأوروبية قاطبة. وإن عظمة قرطبة هى انعكاس لعظمة الدولة الأموية والحضارة الإسلامية، ومهد الفن الأندلسى.

و"جامع قرطبة [٤] الأموى أسسه صقر قريش منذ اثنى عشر قرناً تقريباً، وأمضى الأمراء الأمويون فى بنائه أكثر من قرنين ولا يزال محافظاً على عظمة بنيانه وجمال زخارفه رغم مضى أكثر من سبعة قرون على سقوط قرطبة فى أيدى الأسبان.. ويبدو الجامع محصناً داخل أسوار مرتفعة تعلوها الشرفات، بينما تبرز فى وسطه جدران الكنيسة العالية، وفى ركنه الشمالى ترتفع الصومعة (المئذنة) وقد تحولت هى الأخرى إلى برج (تتدلى من أعلاه نواقيس النصارى).. ويمكن إجمالاً حصر مراحل بناء الجامع فى أربعة مراحل رئيسية: الأولى: ترجع إلى عبد الرحمن الداخل، والثانية: إلى عبد الرحمن الثانى، والثالثة: إلى الخليفة الحكم الثانى، والأخيرة: إلى الحاجب المنصور." [٥] ويتميز الجامع بالإبداع والتجديد

الواضح فى "كيفية بناء الأقواس المتراكبة، وهى طريقة لم يستعملها من قبل أحـد. وهى أقواس تنوعت ما بين المفصصة، وعلى شكل حـدوة الفـرس، والمتقاطعـة المحمولة فوق أعمدة جلبت من آثار قديمة بأسبانيا". وفى جهـة المحـراب توجـد أنواعاً من الأقواس تتم عن دراية كبيرة بعلوم الهندسة وفنون البناء اعتمـد فيهـا المهندس – لحمل السقف – على العقود المفصصة التى تحمل بدورها عقوداً أخرى نصف دائرية، كما أضاف أحياناً عقوداً وسيطية تربط بين (الطابقين) لتكون شكلاً هندسياً جميلاً تزيد من رونق فقرات القوس المتناوبة: بيـضاء حجريـة منقوشـة وحمراء قرميدية ملساء"[٦].

مشكلة البحث:

إن الدراسة الخاصة" بأساليب الانتقال الجمالى والإدراكى بتكوينات جـامع قرطبة" لم تحظ بالدراسة والتحليل، الأمر الذى يستلزم معه إلقاء الـضوء عليهـا وتناول جوانبها المختلفة بالدراسة والتفسير من خلال دراسة علمية منهجية شاملة، وتتحدد مشكلة البحث فى النقاط التالية:

١- تحليل ودراسة أهم السمات الفنية والجمالية لبعض التكوينات التى تتسم بالانتقال الجمالى والإدراكى التى وجدت فيما قبل إبداعات جامع قرطبة.

٢- دراسة وتصنيف أساليب الانتقال الجمـالى والإدراكـى التـى شـاعت بتكوينات جامع قرطبة.

فروض البحث:

يفترض الباحث شيوع تكوينات الانتقال الجمالى والإدراكى بجامع قرطبـة وهى التكوينات التى يمكن تصنيف ما تتميز به من أساليب.

هدف البحث:

يهدف البحث على محاولة الكشف عن أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى بتكوينات جامع قرطبة.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث إلى محاولة تحليل ودراسة أساليب الانتقـال الجمـالى والإدراكى ومحاولة تصنيف ما تتميز به من أساليب.

حدود البحث:

١- دراسة وتحليل أمثلة من التكوينات التى تنتمى لعصور مبكرة سـابقة على الإسلام.

٢- دراسة وتحليل تكوينات جامع قرطبة، لبيان نوتـصنيف أسـاليب الانتقـال الجمالى والإدراكى بها.

منهج البحث:

يلتزم الباحث فى هذه الدراسة المنهج الوصفى التحليلى، بهدف الكشف عن أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى بجامع قرطبة.

الدراسـة:

أولاً: - نشأة أسلوب الانتقال الجمالى والإدراكى بالتكوينات:

يتمثل محور هذا الجزء من الدراسة فى التطور التاريخى "للانتقال الجمالى والإدراكى" بين مكونات الأعمال الجدارية عبر بعض العصور التى أرسى الفنان خلالها أسس هذا الأسلوب الجمالى القائم بين أشكال التكـوين وأرضيته، وهو الأسلوب الذى تطور كثيراً حتى أصبح مصدراً مؤثراً فـى فنون الحضارة الإسلامية.

لقد كانت العلاقة الجمالية بين إدراك أشكال التكوين وبين إدراك أرضـيته بمختلف فنون الحضارات السابقة على الإسلام وبالتكوينات الجدارية – خاصـة – موضع بحث وجهد متواصل من قبل الفنانين والمصممين، ونتيجة لذلك فقد أفـرز الفكر الفنى علاقات جمالية عديدة بين مكونات التكوين، عكست ما كانـت عليـه التكوينات الفنية من مستويات إبداعية عبر العصور. وتعد التكوينات ذات العلاقـة الجمالية بين الأشكال والأرضية من أبدع وأدق أنواع التكوينات لما يحتاجـه هـذا النوع من إبداع فكرى وفنى ومن دقة هندسية وأسس رياضية تحكم أبعادها من أجل إبداع الانتقال الجمالى والإدراكى بين مكونات العمل الفنى.

الأمر الذى جعل منها عبر العصور تتمثل فى تكوينات نادرة. والحقيقة أنه من الثابت دائماً أن ينصب جهد الفنان على الاهتمام بتحقيق العلاقة الجمالية التـى تعددت وتنوعت عبر العصور من حضارة لأخرى، والتى امتدت جـذورها إلـى عصور ما قبل الإسلام، عبر بعض المحاولات النادرة، والتى تمثلـت محاولاتهـا الأولى فى مثال يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد وتعود إلى مرحلـة الوركـاء بالعصر السومرى القديم، وقد تمثل فى بقايا أعمدة مزينة بقطع خزفيـة مزججـة محفوظة فى متحف براكمون فى برلين (ش ١)، ويتمثل فى تكوينه محاولة تحقيق الانتقال الجمالى بين كل من أشكال التكوين وأرضيته، وذلك بتقارب هيئة الشكل مع هيئة الأرضية مع تباينهما اللونى بالأشكال الهندسية المتعرجة، والرباعية المتداخلة أو المثلثة الشكل، والممتدة على المحورين الأفقى والرأسى لبقايا الأعمدة. كما تمثل ذلك الأسلوب فى زخارف محفورة آنية ترجع إلى "روما القديمـة" (ش ٢)، تـضم زخارفها شكلاً على هيئة خط منكسر ممتد أعلى وأسفل بدن الآنية، وقـد قـسمت المساحة الزخرفية إلى شكل وأرضية متشابهين فى الهيئة ومختلفين فـى اللـون. محققاً الفنان قاعدة هامة من قواعد بناء الانتقال الإدراكى والجمـال بـين أشـكال

بالجامع الطولونى (٢٦٣ – ٢٦٥هـ/ ٨٧٦ – ٨٧٩م)، بأحد بواطن العقود (ش ٧) بشكل متعمد من الفنان، فقد تمثلت أشكال التكوين فى شكل هندسى نجمى سداسى متكرر وممتد بامتداد باطن العقد، وبامتداد العناصر النباتية الشاغلة للفراغات، بينما تمثلت الأرضية فى تلك الفواصل الغائرة فيما بين حدود الأشكال الهندسية والنباتية. فتارة يدرك المشاهد أشكال التكوين البارزة، وأخرى يدرك أرضيته الغائرة. وكان الفنان قد ابدع تكوين قوامه الاختلاف بين الشكل والأرضية فى الهيئة والبروز، مع التكامل فيما بينهما فى المضمون.

وتمثل هذه الأمثلة – سالفة البحث – المحاولات الأولى التى وجدت – وإن ندرت – من أجل إبداع نوعاً من التكوينات قائمة على الانتقال الجمالى والإدراكى فيما بين مكوناته، من أشكال وأرضية.

ثانياً:التأثيرات الفنية التى مهدت لإبداع أسلوب الانتقال الجمالى والإدراكى بجامع قرطبة:

يمثل الجزء السابق من الدراسة والخاص "بنشأة أسلوب الانتقال الجمالى والإدراكى بالتكوينات الفنية"، تمهيداً هاماً للكشف عن جذور هذا الأسلوب؛ وهى الجذور التى تمثل مصدراً هاماً من مصادر التأثير على الفنانين بالشرق والغرب وعبر العصور الإسلامية. والتى ربما أثرت بدورها على الفنانين والصناع، المبدعين لتكوينات جامع قرطبة والتى وفدت مع غيرها ن التأثيرات التى أثرت فى عمارة الجامع. حيث بدت بعض التأثيرات الفنية بأنحاء مختلفة منه بالعناصر المعمارية وبالتكوينات الزخرفية، وهى التأثيرات التى وفدت من الشام والتى تعود إلى الأسرة الأموية، أو من الغرب الأوروبى المحيط بموقع الجامع ويورى "ابن عذارى" أن الخليفة الحكم الثانى طلب من إمبراطور القسطنطينية أن يبعث له من يتولى صنع الفسيفساء فوق جدار المحراب والقباب كما فعل من قبله جده "الوليد"

عندما بنى جامع دمشق .. (وقد تمثلت فيها) زخارف بيزنطية واضحة الأصل..(وكذلك أمثلة أخرى.. ثم تطويرها وتكييفها.. وما العنصر البيزنطى إلى جزء من مركب فنى متعدد الأصول فيه الشامى، والأسبانى، والعباسى، والأفريقى"[٨]، وتتمثل التأثيرات الفنية فيما يلى:

أ- التأثيرات العربية:

يبدو أن التأثيرات الأموية سادت فى أوائل الدولة الأموية الغربية امتداداً لما كان سائداً لدى الخلفاء الأمويين بدمشق، ونتيجة لمحاولات الأمراء تقليد الفنون الدمشقية" بمساعدة الجاليات السورية المتدفقة على بلاد الأندلس، (والمتمثلة فى) العقود الحدوية.. التى انفرد بها جامع قرطبة. ومنذ إمارة عبد الرحمن الثانى احتلت التقاليد البغدادية المقام الأول.. فانتشرت فى جل البلدان بما فيها الأندلس، واختلطت عناصرها بالعناصر الشامية والأسبانية، وهو ما تبينه.. الزخارف المرسومة ذات الطابع العباسى (بالأسقف الخشبية برواق القبلة)، وكذلك بالأقواس المفصصة التى سبق لبغداد وسامراء أن استعملتها فى عمارتها"[٩]. كما يمكن القول بأن مصر كانت بمثابة مهبط ومرسى بين الشرق والغرب، حيث كان يمر بها القادمون من بلاد المغرب والأندلس لأداء فرائضهم الدينية بمكة والقدس، وقد أشار "ابن جبير إلى المغاربة الحجاج الذين نزلوا مصر وعاشوا فى جامع أحمد بن طولون[١٠]، الأمر الذى قد اسهم فى غثراء التأثر والتأثير المتادل بين فنون مصر وفنون المغرب العربى، كما كانت مصر ملاذا للفارين والنازحين من تتار الشرق، ومسيحى أوروبا فى بلاد الشام والأندلس، فضلاً عما كان بين حكام الأندلس وشمال أفريقيا وبين سلاطين المماليك بالقاهرة من علاقات اتخذت شكل تبادل الهدايا والرسائل والسفراء"[١١]، والحقيقة أن صلات مصر بالأندلس قد بدأت مبكرة قبل عهد

المماليك، حيث "كانت منذ أواخر القرن (٣هـ/ ٩م) حين أقام فريق من ثوار قرطبة. بمدينة الإسكندرية حيث نفاهم الأمير الحكم بن هشام من الأندلس"[١٢].

ولما كان لمصر والشام عبر العصور حكماً مشتركاً فقد كان لذلك أثره على تبادل وانتقال الخبرات والصناع، الأمر الذى أدى إلى تقارب الأساليب بل ووحدتها فى بعض الأحيان، مما يدعو إلى القول بأن التأثيرات المصرية على المغرب والأندلس إما أنها قد وفدت مباشرة من مصر، وإما أنها قد تسربت عبر التأثيرات الشامية على الأندلس.

أما "العقد المفصص" الذى شاع بجامع قرطبة والمؤلف من أنصاف دوائر فى مجموعات مترابطة فيما بينها فإنه "يتجلى تطوره بالمشرق فى عقد إيوان المدائن العظيم، الذى شيد قبل الإسلام وهو بفصوص قليلة البروز.. ونجد بعد ذلك نفس التكوين فى عقد المحراب بقصر الأخيصر الذى يرجع إلى ما قبل العصر الأموى. وعلى نمطه أيضاً فى صورة مصغرة عقود أخرى محفورة فى حشوات زخرفية فى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ترجع إلى (سنة ٨٢٧م)، وفى جامع ابن طولون حوالى (سنة ٨٧٩م). وقد انتقل هذا النوع فى نفس الصورة وفى نفس الوقت إلى حشوات منبر جامع القيراون، وكذلك دخل تكوين الفصوص بالعقد، فى المسجد الجامع بقرطبة فوق المحراب" [١٣] وكذلك وجد "العقد المركب فوق العقد المدبب" بجامع قرطبة، والذى "كان غريباً على العالم الغربى، وكان قاصراً على المشرق الإسلامى، ويعد تبسيطاً للعقد البيضى الساسانى"[١٤].

كما يعتقد مارسية أن نظام الواجهات (الخاصة بالجامع) من المؤثرات الشرقية (بلاد فارس، وما بين النهرين)، التى انتقلت إلى المغرب الإسلامى عن طريق أفريقيا. لما بهذا الأثر من تأثيرات مطابقة لمثيلاتها

بجامع عقبة بن نافع بالقيروان، الأمر الذى "يؤكد دور الوسيط الذى لعبته أفريقية.. بين المشرق الإسلامى والمغرب"(١٥).

"وكان العقد الثلاثى الفتحات المشيد بجامع قرطبة معروفاً قبل الإسلام وخاصة فى العمارة الهندية.. أما فى العمارة الإسلامية العربية فقد كان مصدره فكرة هندسية بحتة، قائمة على القسمة الحسابية، كما يتضح من رسم باق على جدار فى أطلال مدينة الزهراء، وعلى هذه الصورة الهندسية ابتكر هذا العقد فى العمارة الإسلامية، وانتشر فى بلاد المغرب والأندلس.

(أما) العقد المدبب. فقد نشأ فى العراق، وأقدم مثل معروف منه يوجد فى قصر الأخيضر (حوالى عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م)، ثم عم استعماله بعد ذلك. ونلقاه فى الجوسق الخاقانى بسامراء من عهد المعتصم فى (عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م) ثم فى المسجد الجامع بالقيروان. (كما) استخدمت العقود الصماء فى زخرفة الأبواب والواجهات والمحاريب، فى العمارة الإسلامية وظهرت فى أشكال متشابكة فى المسجد الجامع بقرطبة فى (عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م). (وكذلك) استخدمت المواد المختلفة الألوان فى زخرفة المبانى الإسلامية منذ أوائل (القرن الثانى الهجرى) فى عمارة قصر الحير الشرقى، (وبعد ذلك) استخدمت فى بناء عقود بيت الصلاة فى مسجد قرطبة الجامع فى عام (١٧٠هـ/ ٧٨٦م) .. (أما) الزخارف المنحوتة الغائرة فقد امتاز الفن الإسلامى بهذا الأسلوب من النحت، وبلغ النحاتون المسلمون فى إجادته حداً بعيداً من الرقة والإتقان.. ونلقى أمثلة رائعة منه فى قصور الأمويين ببادية الشام، من مستهل (القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى)، ثم فى محراب مسجد القيروان". (١٦)

ب- التأثيرات الأوروبية:

"تأثر فن الأندلس الناشئ" بالفن البيزنطى "العريق، بفضل العلاقات السياسية الحسنة التى كانت بين قرطبة والقسطنطينية. (وهو التأثر الواضح المتمثل فى) فسيفساء المحراب، وأسلوب النقش على الحجارة "بجدران الجامع [١٧]. كما تأثر "بالفن القوطى"، فقد "أثر فنان المسجد استخدام عقدة حدوة الفرس. مراعياً التقاليد القوطية التى يبدو أنها قد ازدهرت بفضل الإحساس الجمالى، .. ولكن لا يخفى كما أسلفنا القول أنه اسبانى الأصل، ويرجع إلى عصر الرومان.. (وأنه) قد صار النموذج الأصيل لضروب العمارة الأندلسية [١٨]. وكانت نسبة ارتفاع فتحته إلى عرضها هى (٣: ٤). كما حاول مهندس الجامع حل مشكلة إعلاء السقف، من أجل زيادة الضوء والتهوية، ومضاعفة الإبداع الجمالى، وذلك باتباع طريقة وضع عقدين متراكبين الواحد فوق الآخر، على أربعة أعمدة، عمودين سفليين وعمودين علويين، "ولعل هذا (الحل المعمارى) مقتبس عن حنايا مدينة مريدة الرومانية المجاورة لقرطبة[١٩]

فقد كان لهذه التأثيرات العربية والأوروبية أثرها فى إثراء وإيضاح شخصية العمارة الأندلسية فى عهد الأمويين وذلك من خلال المزج الواضح بين هذه التأثيرات الخارجية وبين التقاليد المحلية. مما أدى إلى "ابتكار أساليب فنية جديدة.. كان لها الحظ الوافر فى بزوغ شمس الفن المغربى الأندلسى[٢٠].

ثالثاً: أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى بتكوينات جامع قرطبة:

من الجزء سالف الدراسة، ومن تحليل الأسس البنائية والجمالية لهذه التكوينات، يمكن استخلاص الأساليب الهندسية الخاصة بها وهى المتمثلة فيما يلى:

١- تكوينات تباينت فيها هيئة وبروز كل من الشكل والأرضية مع التزام التباين اللونى بينهما.

٢- تكوينات تطابقت فيها هيئة كل من الشكل والأرضية مع التزام التباين اللونى بينهما.

٣- تكوينات تقاربت فيها هيئة كل من الشكل والأرضية مع التزام التباين اللونى بينهما.

٤- تكوينات تباينت فيها هيئة كل من الشكل والأرضية فى البروز والكثافة واللون والشكل.

"وهى تكوينات ارتكز فيها الفنان على التباين والتميز والوضوح الشكلى أو اللونى بين كل من الشكل والأرضية"، لجذب إدراك المشاهد، تارة نحو الأرضية بصورة منفصلة، وأخرى نحو الشكل بصورة منفصلة، أو بصورة تتكامل فيها كل منهما مع الأخرى فى إدراك المشاهد. أى على هيئة ثلاث صور إدراكية وهى الأسس التى يمكن للباحث اتخاذها كمعايير لتصنيف وتحليل تكوينات "جامع قرطبة"، وهى التكوينات التى ضمت عناصر هندسية، أو نباتية، أو كتابية، أو أكثر من نوع. وتتمثل تكوينات جامع قرطبة فيما يلى من إبداعات:

١- بالواجهة[٢١] الغربية للجامع تكوين ممتد على هيئة ثلاثة أشرطة مكونة شكلاً رباعية يحيط بعقد حدوة الفرس المتوج للباب الغربى، قوام التكوين أشكال رباعية متداخلة ومتبادلة ومتباينة اللون مع ما بداخلها من أشكال، ومتطابقة معها فى الشكل (ش٨)، وهى تشبه تلك الأشكال التى تزخرف بدن بقايا أحد الأعمدة التى تعود للعراق القديم (ش١). الأمر الذى يرجح وفود ذلك التأثير من الشرق الإسلامى لاتفاقه معه فى الأساس الهندسى للتصميم وفى الخامة المنفذة بها وهى الفسيفساء. وهو تكوين قد تطابقت فيه أشكال التكوين من حيث الكثافة والهيئة وتباينت من حيث اللون. وقد أبدعها الفنان على هذه الصورة الجمالية من أجل إحداث التبادل الإدراكى بين هذه المكونات الشكلية واللونية.

٢- بالواجهة نفسها تكوين متكرر يشغل فراغات العقود المتقاطعة المتوجه لعتب باب الواجهة، كما يشغل فراغات العقود المفصصة المتوجة لنوافذ تكتنف العقد المتوج للباب الغربى. قوام هذا التكوين المتكرر أشكال هندسية متطابقة ومتداخلة بحيث لا تترك فراغاً أو أرضية بينها، وكل شكل محاط بإطار متباين مع الشكل فى اللون، ومتوافق معه فى السمك، الأمر الذى يفرض على المشاهد تتبع الانتقال اللونى فيما بين كل من الشكل الأساسى والشكل المحيط به، رغم اتفاقهما فى الخامة ومستوى السطح (ش٨).

٣- بالرواق الرئيسى المؤدى إلى محراب الحكم الثانى، توجد غابة من العقود المتشابكة، والمتقاطعة المرتكزة على أعمدة متراكبة، تحمل بعضها البعض، تبدو وكأنها عملاً فنياً سريالياً، يختلط فيه الواقع بالخيال، ويجمع بين جرءة شديدة من الفنان، وبين دقة متناهية فى تنفيذ هذا الكم المعمارى من العقود بكوشاتها وتقسيماتها الزخرفية، بأشكالها التى جمعت بين المتقاطعة وبين المفصصة، وما ترتكز عليه من كم هائل من الأعمدة المتراكبة والمتدرجة فى الصغر. ذلك فضلاً عما طغى على هذه العقود والأعمدة من تعدد وانتقال لونى، يجبر المشاهد على تتبع هذا الانتقال اللونى والشكلى على المحورين الأفقى للأروقة، والرأسى للأعمدة والعقود، فيتبادل لديه الإدراك الجمالى فيما بين تنوع كل من: أشكال العقود، وألوانها، وأعمدتها المرتكزة عليها، على المحور الرأسى للموقع المعمارى، وبين تقاطعاتها وشدة كثافتها كغابة من الأعمدة على المحور الأفقى للموقع. (ش٩)

٤-بواجهة محراب الحكم الثانى[٢٠] (ش ١٠) تكوين كتابى من الخط الكوفى المذهب الممتد على مهاد أزرق اللون، يحيط بكوشتى عقد المحراب، تمثل فى هذا التكوين التميز اللونى لكل من الشكل والأرضية. وعلى الرغم من تميزهما

عن بعضهما البعض إلا أنهما قد تكاملا فيما بينهما وقد راعى الفنان شدة الإشعاع الضوئى المنبعث من اللونى الذهبى، فآثر تقليل كثافته بالقياس لكثافة اللون الأزرق، وهو الأسلوب ذاته الذى تكرر بالقبة التى تتقدم المحراب، متمثل فى إطار كتابى ممتد على شكل هندسى مثمن الشكل، محيطاً بتجويف القبلة (ش ١١) وهو ما قد تكرر كذلك بواجهة محراب آخر ينسب للحكم الثانى (ش ١٢).

٥- تمثل الواجهة الكلية لمحراب الحكم الثانى تكويناً رائعاً يضم أنواعاً مختلفة من المواقع الزخرفية المتكاملة فيما بينها، والمتباينة فى مواقعها وخاماتها ومستوياتها السطحية وأنواع عناصرها الزخرفية، وكثافتها (ش١٠)، وهى متغيرات جمالية وإيقاعية قد أثرت التكوين الكلى للواجهة، حيث ينتقل إدراك المشاهد من أسفل الواجهة إلى أعلاها، متدرجاً من التكوينات النباتية شديدة الكثافة والرخامية، الممتدة أسفل عقد المحراب، إلى عقد المحراب المقسم إلى جامات هندسية يشغلها من الداخل عناصر نباتية شديدة التجريد، ومتعددة الألوان، من جامة إلى أخرى، ثم كوشتى العقد المشغولة بزخارف نباتية ملتفة حلزونياً، والمحفورة فى الرخام، والتى يحيط بها طراز كتابى من الخط الكوفى المذهب الممتد على مهاد أزرق، والمصنوع من الفسيفساء. ويتوج التكوين ككل صف من سبعة عقود كل منها على شكل حدوة الفرس ثلاثية الفصوص، مرتكزة على ثمانية أعمدة، ويشغلها من الداخل تكوينات نباتية متعددة العناصر، ومتنوعة الألوان. ويتمثل فى التكوين الكلى التدرج فى شدة كثافة العناصر، من أسفل إلى أعلى، حيث تقل الكثافة كلما انتقل بصر وإدراك المشاهد من أسفل إلى أعلى. فضلاً عن تنوع مستويات السطوح ما بين بارز بحواف العقود،

وغائر بما يشغلها من تكوينات نباتية ثم كتابية، ثم نباتية على التوالى، مثلت بدورها انتقالاً إيقاعياً وإدراكياً من مستوى سطح إلى آخر.

٦- يمثل المسقط الأفقى لقبة[٢١] المحراب الرئيسية مثالاً يفوق القدرات، ويتجاوز الخيال، لما يضمه هذا المسقط من إبداعات وحلول تشكيلية تعمد الفنان خلالها تحقيق الانتقال الجمالى والإدراكى، ولا يمكن أن يخطئ المتخصص وغير المتخصص – حين يرى هذه الإبداعات – أن وراءها خبرة صفوة من فنانى الجناح الغربى من العالم الإسلامى. فقد تمثل الانتقال الإيقاعى بهذه القبة على المحور المستدير للتكوين الكلى لها، مبدعاً الفنان انتقالاً جمالياً وإدراكياً من الإطار المثمن الخارجى المحيط بتجويف القبة، والمشغول بطراز كتابى مذهب على مهاد أزرق، إلى إطار داخلى مفصص يتوافق مع تلك العقود المفصصة الحاملة للقبة، وهو الإطار الذى يتمركز بداخله تكويناً إشعاعياً، تتبادل فيه التكوينات الهندسية مواقعها مع التكوينات النباتية، والملتقية فى مركز القبة نصف الكروية فى شكل كروى يتوسطه آخر نجمى. فقد تمثل فى هذه القبة الانتقال الجمالى والإدراكى فيما بين العناصر الزخرفية، وكذلك فيما بين مكوناتها اللونية التى يسودها اللون الأزرق المتبادل المواقع مع نفسها، فتارة يمثل لون أرضية الطراز الكتابى، وأخرى يمثل لون الأشكال النباتية، ثم يعود مرة أخرى ليغطى أرضيات الأشكال الهندسية، محدثاً بذلك تبادلاً إدراكياً مع نفسه، تارة كشكل، وأخرى كأرضية (ش١١).

٧- يكتنف طاقية محراب الجامع تكوينان، يتمثل فى كل منهما التدرج الإيقاعى، والانتقال الإدراكى من أسفل التكوين إلى أعلاه، وذلك على أسلوبين من المحاور، السفلى منهما يتمثل فيه تعدد التكوينات على المحور المستدير، مع التزام الفنان التبادل اللونى والإيقاعى الذى يؤدى بدوره إلى تحقيق الانتقال

الإدراكى، بحيث تعمد الفنان جعل عناصر التكوين بلون أحمر، وأرضيته بلون أخضر، ثم تكرار اللونين بصورة تبادلية على امتداد التكوينات المتكررة، فتارة يمثل الأحمر لون الشكل وأخرى يمثل لون الأرضية، وكذلك يتمثل بالنسبة للون الأخضر، وقد اختار الفنان هذين اللونين لتحقيق التبادل والانتقال الإدراكى على الرغم من عدم درايته بأنهما لونين متكاملين فى دائرة الألوان. وعلى المحــور الرأسى لهذا التكوين (ش ١٢)، أبدع الفنان توزيع التكوينات وفق انتقال نوعى، تنوعت فيه العناصر الزخرفية من أسفل إلى أعلى، حيث بدأ الفنان بالتكوينــات النباتية التى يفصل بينها شريطاً كتابياً، ثم كرر نفس الإيقاع بالجزء العلوى من الواجهة، التى يشغلها تكوينات هندسية متبادلة مع أخرى كتابية، تارة تكون فيها الكتابات المذهبة على أرضية زرقاء بوسط وأعلى الواجهة، وأخرى تكون فيها الكتابات المذهبة ممتدة على مهاد من اللون الأحمر. محدثاً بذلك تبادلاً جماليــاً وإدراكياً على محاور متنوعة بالواجهة الواحدة.

٨- أبدع الفنان تحقيق الانتقال الجمالى والإدراكى فيما بين تكوينات متنوعة تعلــو صدر المحراب على هيئة أشرطة أفقية، ممتدة على المحور الرأسى للتكــوين تتبادل فيها التكوينات النباتية مع أخرى كتابية كوفية، أو هندسية، وهى تكوينات بارزة الحفر (ش ١٣) محققاً فيها الفنان تبادلاً إيقاعياً بين التكوينــات النباتيــة ونظيراتها الهندسية والكتابية، وقد ساوى الفنان بين مستويات البروز الخاصــة بهذه التكوينات النباتية والكتابية والهندسية، على الرغم من تنوعها، وذلك مــن أجل تحقيق التكامل والترابط الإيقاعى فيما بينها كتكوينات مختلفة.

جدول يوضح أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى:

ش	أسلوب الانتقال الجمالى والإدراكى	نوع التكوين	نوع الزخارف	الخامة	موقعه من جامع قرطبة	العصر
١	تطابق أشكال التكوين مع تباينها لونياً	بقايا أعمدة	هندسية	فسيفساء مزججة		السومرى القديم
٢	تطابق أشكال التكوين مع تباينها لونياً	آنية فخارية	هندسية	خزفية		الرومانى القديم
٣	اختلاف هيئة كل من الشكل والأرضية مع تباينها لونياً.	فسيفساء جدارية	هندسية	فسيفساء رخامية		البيزنطى
٤	تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية مع تباينهما لونياً.	نسيج	نباتية	نسيج		القبطى
٥	تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية مع تباينهما لونياً.	نسيج	نباتية	نسيج		القبطى
٦	تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية مع التفريق بينهما بخط غائر.	جدارى	نباتية	جص		الطولونى
٧	تباين الأشكال البارزة مع الأرضية الغائرة فى الشكل والبروز والكثافة.	جدارى	نباتية/هندسية	جص		الطولونى
٨	تطابق أشكال التكوين فى الكثافة والهيئة مع تباينها لونياً.	جدارى	هندسية	فسيفساء	بالواجهة الغربية	الأموى الغربى
٨	تطابق أشكال التكوين فى الكثافة والهيئة مع تباينها لونياً.	جدارى	هندسية	رخامية	بالواجهة الغربية	الأموى الغربى

٩	تنوع العناصر المعمارية فى: الشكل واللون والكثافة على المحورين الأفقى والرأسى.	عناصر معمارية	معمارية	رخامية/ حجرية	برواق المحراب	الأموى الغربى
١٠	تناسب كثافة اللون مع قوة إشعاعه، تناسباً عكسياً.	جدارى	كتابية	فسيفساء	بمحراب الحكم الثانى	الأموى الغربى
١١	تناسب كثافة اللون مع قوة إشعاعه، تناسباً عكسياً.	بالقبة	كتابية	فسيفساء	بقبة المحراب	الأموى الغربى
١٢	تناسب كثافة اللون مع قوة إشعاعه، تناسباً عكسياً.	بالمحراب	كتابية	فسيفساء	بواجهة المحراب	الأموى الغربى
١٠	تنوع العناصر والخامات ومستويات السطوح والكثافة(على المحور الأفقى)	جدارى	نباتية وكتابية	فسيفساء	بالواجهة الكلية للمحراب	الأموى الغربى
١١	اللون الأزرق يحقق التبادل الإدراكى مع نفسه تارة كشكل وأخرى كأرضية. (على المحور المستدير).	بالقبة	هندسية ونباتية وكتابية	فسيفساء	بالمسقط الكلى للقبة	الأموى الغربى
١٢	تحقيق الإيقاع اللونى والإدراكى على محاور متعددة بالواجهة الواحدة (على المحورين المستدير والرأسى).	جدارى	هندسية ونباتية وكتابية	فسيفساء	بالواجهة الكلية للمحراب	الأموى الغربى
١٣	تبادل إيقاعى بين عناصر نباتية، وأخرى هندسية وكتابية. (على المحاور الرأسى).	جدارى	هندسية ونباتية وكتابية	حجرية	تفصل بين حنية المحراب وطاقيته	الأموى الغربى

نتائج الدراسة:

من الدراسة السابقة، ومن الجدول الخاص بأساليب الانتقال الجمالى والإدراكى، يمكن التوصل لما يلى:

١- العلاقة الجمالية بن عناصر التكوين، من حيث الانتقال الجمالى والإدراكى كانت موضع اهتمام الفنان، وترجع إلى عصور قديمة، ونتيجة لهذا الاهتمام فقد أفرز الفكر الفنى علاقات جمالية عديدة بين مكونات الأعمال الفنية، وهى العلاقات الجمالية التى ازدادت عمقاً وتنويعاً عبر العصور المختلفة، بتعدد وتنوع أساليبها القائمة على "ثلاث صور إدراكية"، متمثلة فى جذب إدراك المشاهد نحو الأرضية بصورة منفصلة، أو نحو الشكل بصور منفصلة، أو بصورة يتكامل فيها كل من الشكل والأرضية فى إدراك المشاهد.

٢- التكوينات ذات الانتقال الجمالى والإدراكى تعد من أدق أنواع التكوينات لما تحتاجه من فكر تصميمى عميق، وإبداع فنى راقى، وأسس هندسية ورياضية تحكم أبعادها، مهما اختلفت العناصر البنائية للتكوين، من هندسية، أو نباتية، أو كتابية. وهى التكوينات التى ثبت تنوع أساليبها، فى الأساليب الفنية المتمثلة فيما يلى:

أ- أسلوب تطابق أشكال التكوين مع تباينها لونيا (ش ١- ٨).

ب- أسلوب اختلاف هيئة كل من الشكل والأرضية مع تباينهما لونياً (ش٣).

جـ- أسلوب تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية مع تباينهما (ش ٤ - ٥).

د- أسلوب تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية مع التفريق بينهما بخط غائر(ش٦).

هـ- أسلوب تباين الأشكال البارزة على الأرضية الغائرة من حيث الشكل ومستوى البروز والكثافة (ش ٧).

و- أسلوب تنوع عناصر التكوين فى الشكل واللون والكثافة على المحورين الأفقى والرأسى (ش٩).

ز- أسلوب التزام التناسب العكسى بين كثافة اللون وقوة إشعاعه (ش١٢،١١،١٠).

ح- أسلوب التبادل اللونى بين أشكال التكوين وأرضيته (ش١١).

ط- أسلوب تنوع العناصر والخامات ومستويات السطوح والكثافة على المحور الأفقى (ش١٠).

٣- إن الانتقال الجمالى والإدراكى فيما بين أشكال التكوين وأرضيته – كمدركات شكلية – يمثل هدفاً فى مثل هذا النوع من التكوينات، حيث ينتقل الإدراك فيما بين الأشكال تارة وبين الأرضيات تارة أخرى، وقد يدرك المشاهد الأرضيات كأشكال، أو الأشكال كأرضيات، ثم يرتد الإدراك مرة أخرى إلى ما كان عليه. والحقيقة أن ذلك يتحقق دائماً بفضل وعى الفنان المصمم بأهمية استمرار ذلك التبادل الإدراكى، على امتداد التكوين وعلى محاوره المختلفة.

٤- من الدراسة الرأسية للعمود الخاص "بالخامات" المنفذة بها هذه التكوينات – موضع البحث- بالجدول السابق، يلاحظ أن الفنان قد استخدم خامات متعددة فى تطبيق أساليب الانتقال الجمالى والإدراكى، وهى المتمثلة فيما يلى:

أ- استخدم الفنان هذا الأسلوب الفنى بأعمال فنية "زخرفية ونسجية وجصية"، وهى خامات، وافق الفنان بينها وبين اختيار أسلوب مبسط للانتقال الجمالى والإدراكى هو الأسلوب المتمثل فى "تطابق أشكال التكوين مع تباينها لونياً"، أو تطابق هيئة كل من الشكل والأرضية، مع تباينهما لونياً"، أو "مع التفريق بينهما بخط غائر"، وهى أساليب فنية نفذها الفنان على هذه الخامات المستخدمة. والتى استطاع أن يبدعها الفنان من خلال استخدام أساليب تحكم من خلالها فى

"العلاقة بين الأشكال والأرضية وهى أساليب التحكم فى درجة الكثافة، أو البروز، أو العلاقة الشكلية بين كل من الشكل أو الأرضية.

ب- استخدم الفنان الأسلوب الفنى بأعمال فنية منفذة بخامة "الفسيفساء"، وهى الخامة التى استخدمت مبكراً منذ "العصر السومرى القديم"، وبالطريقة التى شاعت بجامع قرطبة بالواجهة الغربية، وبمحراب الحكم الثانى، بحنيته وواجهته، وبقبة المحراب، وقد طبق الفنان خلالها أسلوب الانتقال الجمالى والإدراكى، مرتكزاً على الأساليب التالية:

١- تطابق أشكال التكوين فى "الهيئة وشدة الكثافة" مع تباينها لونياً،(ش٨).

٢- توازن كثافة اللون بين كل من الشكل والأرضية، وفقاً "للعلاقة العكسية" بين قوة إشعاع اللون وبين قدر كثافته، حيث تقل كثافته، ويقل انتشاره كلما كان لون الشكل شديد الإشعاع، بالقياس لكثافة وقوة إشعاع لون الأرضية (ش١٠- ١٢).

٣- تحقيق التبادل الإدراكى عن طريق إبداع "التبادل اللونى"، حيث كرر الفنان اللون الواحد بالتكوينات المتجاورة، تارة مبدعاً به أشكال التكوين،وأخرى مبدعاً به الأرضية وذلك بالتبادل على امتداد التكوينات المتجاورة (ش١١).

ج- تنوعت "المحاور الهندسية" التى أبدع الفنان توزيع عناصره عليها، وذلك كما يلى:

١- وزع الفنان العناصر المعمارية والزخرفية على "محور هندسى واحد"، (ش١٠) وقد اتخذ من هذا المحور وسيلة للتنويع والإبداع لتحقيق الانتقال الجمالى والإدراكى، حيث توزعت العناصر على "المحور الأفقى"، مع تعمد الفنان التفريق بينها فى هيئتها كعناصر، وفى خاماتها وفى مستوياتها السطحية، وفى قدر كثافتها. وهو الأسلوب ذاته الذى أبدعه الفنان فى موقع آخر على "المحور المستدير" (ش ١١).

٢- وزع الفنان العناصر المعمارية على "محورين هندسيين" (ش٩)، وهما المحور الأفقى والمحور الرأسى، وقد اتخذ من المحورين وسيلة لإبداع الانتقال الجمالى والإدراكى، حيث توزعت العناصر وقد تنوعت فى أشكالها وألوانهـا ودرجـة كثافتها، على كل من المحورين الأفقى والرأسى. وفى موقع آخر من الأثر أبدع الفنان الانتقال الجمالى والإدراكى على المحورين المستدير والرأسى، بواجهـة واحدة (ش١٢)، لتحقيق تأكيد الانتقال الجمالى والإدراكى.

د- يلاحظ أن علاقة الأرضية بالشكل قد اختلفت من أسلوب لآخـر بأسـاليب الانتقال الجمالى والإدراكى بتكوينات جامع قرطبة، وقد اثر فى اختلاف هـذه الأساليب "اختلاف العناصر الزخرفية" الداخلة فى بنائها، وذلك وفقاً لما يلـى من عناصر، وفقاً لما هو وارد بالعمود الخاص "بنـوع الزخـارف" بالجـدول السابق وذلك كما يلى:

١- تكوينات تأسست على "العناصر الهندسية" فقط (ش٨)، وهى التكوينات التـى حقق فيها الفنان أسلوب "التطابق بين أشكال التكوين المختلفة" من حيث الكثافة، والهيئة، مع التفريق بينها لونياً. وقد يسر على الفنان تحقيق هذا الأسـلوب أن استخدام الأشكال الهندسية، كعناصر يمكن أن تحقق التطابق بين الأشكال فـى هذه التكوينات، بتداخل وبانتقال إيقاعى وإدراكى شديد الدقة.

٢- تكوينات تأسست على "العناصـر النباتيـة" فقـط (ش ١٠،١١)، وهـى التكوينات التى حقق فيها الفنان اسلوب "الانتقال الجمـالى والإيقـاعى" بـين التكوينات المتجاورة حيث كرر الفنان اللون الواحد تارة بالشكل النباتى وأخرى بالأرضية، على امتداد التكوينات "التسعة عشر" المتجاورة على المحور المستدير.

٣- تكوينات تأسست على "العناصر الكتابيـة" فقـط (ش ١٠، ١١، ١٢)، وهـى التكوينات التى حقق فيها الفنان أسلوب، "الانتقال الجمالى والإدراكى" من خلال إبداع "العلاقة العكسية بين شدة كثافة اللون وقوة إشعاعه"، أى قلة النـصوص الكتابية الذهبية شديدة الإشعاع، بالقياس لأرضياتها الزرقـاء قليلـة الإشـعاع، وواسعة المساحة.

٤- تكوينات تأسست على "العناصر الهندسية والنباتية والكتابيـة" مجتمعـة، وهى التكوينات التى حقق فيهـا الفنـان أسـلوب "الانتقـال الجمـالى والإدراكى" (ش١٠-١٣)، من خلال إبداع فكرة تعدد "محاور الانتقال مـا بين: "أفقية"، أو "مستديرة" مع "رأسية"، أو "رأسية فقط". مبدعاً هـذا الانتقـال الإدراكى عبر الانتقال الشكلى، والانتقال اللونى، وتنوع الخامات المستخدمة فى التنفيذ، فضلاً عن التزام تعدد مستويات السطوح، حيث كانت للأرضـية أهميتها الواضحة كمناطق سالبة، محصورة فيما بين الأشـكال الـشاغلة للتكوين كمناطق موجبة.

٥- التزام الفنان "الانتقال اللونى"، كوسيلة فنية لإبداع الانتقال الجمالى والإدراكـى بتكوينات جامع قرطبة، وهو الانتقال اللونى الذى أبدعـه الفنـان بالتكوينـات الهندسية، والنباتية والكتابية الكوفية، والمنفذ بخامـات الفسيفـساء الرخاميـة والصدفية، الأمر الذى أتاح للفنان استغلال ما لدى الفسيفساء من طاقات جمالية لونية متنوعة، أفادته فى تحقيق الانتقال اللونى، ومن ثم تأكيد العلاقة الجماليـة للانتقال الإدراكى. فلم يكرر الفنان الألوان تكراراً عشوائياً، وإنما كان التكرار منتظماً وهندسياً، حيث كان الانتقال من مساحة لأخرى على أسـاس إيقـاعى هندسى ثابت. الأمر الذى أثر تأثيراً مباشراً علـى إبـداع الانتقـال الجمـالى والإدراكى بين أشكال التكوينات وبين أرضياتها. وهـو مـا يحقـق للمـشاهد

الإحساس بإمتاع جمالي غامر. وقد نجح الفنان في تحقيق ذلـك مـن خـلال استخدام عدد قليل من الألوان تمثـل فـي: "الـذهبي، والأزرق، والأخـضر، والأحمر". وهي مجموعة لونية شديدة التوافق مع لون الأحجار المـشيد بهـا الأثر. فقد كان "للانتقال اللوني" أثره الواضح فـي إبـداع الانتقـال الجمـالي والإدراكي بتكوينات هذا الأثر. (ش ١٢) ولم يكن للفنان أن يصل إلـى هـذا المستوى من الإبداع الفني والجمالي بجداريات هذا الأثـر، إلا بتعمقـه فنيـاً وهندسياً عند وضع أسس هذه الأساليب، سالفة البحث. حيث أن هذه التكوينات بها من الدقة الهندسية، بقدر ما بها من القيم الجمالية، على اخـتلاف وتنـوع عناصرها الزخرفية، وخاماتها المنفذة بها، وموقعها من الأثر، وقـدر كثافتهـا بالقياس لما حولها من تكوينات فضلاً عن تفاوت المستويات السطحية بها.

الحواشي:

(١) الإدراك "هو عملية عقلية نتعرف بواسطتها على العالم الخارجي المحيط بنـا، وذلـك عـن طريق ما تلتقطه حواسنا من مثيرات مختلفة". (علي عسكر، الإدراك وعلاقته بتكوين وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة، ص١٢).

(٢) عبد الله عبد الحي، المدخل إلى علم النفس، ص ١٨٧، ١٨٨.

(٣) دانت الأندلس لعبد الرحمن الداخل الملقب بصقر قريش في سنة (١٣٩هـ/ ٧٥٦م) وقد لقب بالداخل لدخوله إياها وجعل منها عاصمة ملكه وكان مولعاً بالأدب والـشعر، مـع صـلابة وخشونة شخصيته كمحارب وبطل. و"ونجح في بعث كيان دولة إسلامية على أنقاض الدولة القوطية.. وقد تدعمت سلطة الأمويين بأسبانيا وذاع صيتهم.. (وقد بنـى) أول مـسجد وأول عمارة عربية بالأندلس (سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٥م)". (عبد العزيز الدولاني، مسجد قرطبة وقصر الحمراء، ص ١٤، ١٥). وفي عهد عبد الرحمن الثاني اعتنى بمظاهر الرقي والحـضارة، التي بلغت ذروتها واتضحت شخصيتها في عهد عبد الرحمن الثالـث، حيـث عـم الخيـر وازدهرت الفنون ونافست قرطبة كل من بغداد والقيروان. وصارت مركز إشعاع حضاري

فى الأندلس وفى المغرب الإسلامى. وتوال الخلافات حتى عم الفساد والفوضى وانتهت الدولة الأموية بعد خلع الخليفة هشام الثالث فى سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م).

(٤) بدأ تشييد عبد الرحمن الداخل فى عام (١٧٠هـ/ ٧٨٥م)، وكان فى أول أمره عبارة عن قسمين الأول منهما: رواق القبلة ويشغله عشرة صفوف من العقود مرتكزة على أعمدة رخامية عمودية على جدار القبلة، يقطعها مجاز مرتفع، والسقف على شكل جمالون، والقسم الثانى: صحن مكشوف، وقد بلغت مساحة الجامع بعد الزيادات التى أضافها عبد الرحمن الثانى عام (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) والحكم الثانى عام (٣٤٨هـ/ ٩٦٦م)، ثم المنصور حاجب هشام الثانى نحو (٢١٨٧٥م٢). وكانت مئذنته على هيئة برج ضخم ذى شرفتين وهى لا تزال قائمة. وبالمسجد الآن ألف وأربع مائة عمود، تشكل تسعة عشر رواقاً طولياً تتقاطع مع ثلاثة وثلاثين رواقاً عرضياً.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٤، ٢٥.

(٦) "يروى ابن عذارى أن الخليفة الحكم الثانى طلب من إمبراطور القسطنطينية أن يبعث له من يتولى صنع الفسيفساء فوق جدار المحراب والقباب كما فعل من قبله جده الوليد عندما بنى جامع دمشق، وتحتوى الفسيفساء على كتابات كوفية تحيط بالمحراب والبابين المجاورين، رسمت فى أشرطة تحف بها الزخارف النباتية المحورة.. ويبدو أن التأثيرات الشامية طغت فى أوائل الدولة الأموية عندما حاول الأمراء تقليد عادات دمشق وفنونها بمساعدة الجاليات السورية المتدفقة على بلاد الأندلس، ولكن بفضل اليد العاملة المحلية أقحمت أشكال وأساليب محلية ساعدت على الخلق والابتكار، كما لاحظناه (فى) العقود الحدوية السائدة فى كل العمار القوطية والعقود المتراكبة التى انفرد بها المسجد الجامع، ومنذ إمارة عبد الرحمن الثانى احتلت التقاليد البغدادية المقام الأول فى الحضارة الإسلامية فانتشرت فى كل البلدان بما فيها الأندلس، واختلطت عناصرها بالعناصر الشامية – الأسبانية، وهو ما تبينه السقوف الخشبية التى تغطى بلاطات الجامع والمكسوة بالزخارف المرسومة ذات الطابع العباسى، وكذلك الأقواس المفصصة التى سبق لبغداد وسامراء أن استعملتها فى عمارتها" (المرجع نفسه، ص ٢٩ – ٣١).

(٧) فقد وفدت من سامراء وقد "نقله إلى مصر أحمد بن طولون (بالقرن ٣هـ/ ٩م).. حيث استعمل فى إطارات الجص على الجدران والعقود والنوافذ فى جامعه.. كما وجدت فى كثير

من ألواح الزينة المحفورة المحفوظة من عهد الطولونيين فى مصر عـن بيـوت أفـراد".
(كونل: الفن الإسلامى، ص٤٠).

(٨) المرجع نفسه، ص ٣٠، ٣١.

(٩) المرجع نفسه.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٤٠١.

(١١) Farid Shafi'i: West Islamic influences, p. 45.

(١٢) السيد عبد العزيز سالم، بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، ص ٤٤.

(١٣) مانويل، ص ١١٦، ١١٧.

(١٤) المرجع نفسه، ١١٩.

(١٥) السيد سالم، المرجع نفسه، ص ٤٤.

(١٦) أحمد فكرى، العمارة والتحف الفنية، ص ٤١٣ – ٤٢٩.

(١٧) السيد سالم، المرجع نفسه.

(١٨) مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامى فى أسبانيا، ص ٤٢.

(١٩) الدولاتى، مسجد قرطبة، ص ١٤

(٢٠) السيد سالم، المرجع نفسه.

(٢١) "تثبت رواية ابن عذارى القائلة باستخدام خبير بيزنطى فى صناعة فسيفساء المحراب، أن أصل هذه الصناعة من بلاد الروم، وقد سبق للأمويين فى الشام أن زينوا مساجدهم كقبة الصخرة بالقدس، وجامع دمشق بالفسيفساء مستخدمين صناعاً جلبوهم من القسطنطينية، ولكن (جورج مارسية) يرى أن ذلك لا يعنى مطابقة عناصر الزخرفة الموجودة فى جامع قرطبة للأصل البيزنطى، بل يلاحظ فيها أشكالاً .. غير معهودة فى القسطنطينية وفى القدس أو حتى فى دمشق" (المرجع نفسه، ص٨٤)، الأمر الذى يعكس قدر ما فى هذه الأعمال من تجديد وإبداع بالقياس لما سبقتها من أعمال بولايات إسلامية أخرى.

المراجع

أولاً: المراجع العربية :

- إبراهيم جمعة: دراسة فى تطور الكتابيات الكوفية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٩.

- أحمد فكرى، العمارة والتحف الفنية، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأورقبيـو، اليونـسكو، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشرن ١٩٧٠.

- أرنست كونل: الفن الإسلامى، ترجمة أحمد موسى، بيروت، دار صادر، ١٩٦٦.

- سعاد ماهر: الفن القبطى، القاهرة، ١٩٧٧.

- السيد عبد العزيز سالم: بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية، مجلة المجلة، القاهرة، ديسمبر، ١٩٥٧.

- شمس الدين فارس: تاريخ الفن القديم، دار المعرفة، العراق، ١٩٨٠.

- عبد الله عبد الحى: المدخل إلى علم النفس، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٧٦.

- عبد العزيز الدولاتى: مسجد قرطبة وقصر الحمراء، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٧٧.

- على عسكر: الإدراك وعلاقته بتكوين وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة، جمعيـة حمايـة البيئة، الكويت، ١٩٨٨.

- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامى فى أسبانيا، ترجمة لطفى عبد البديع، والـسيد سـالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٩٥.

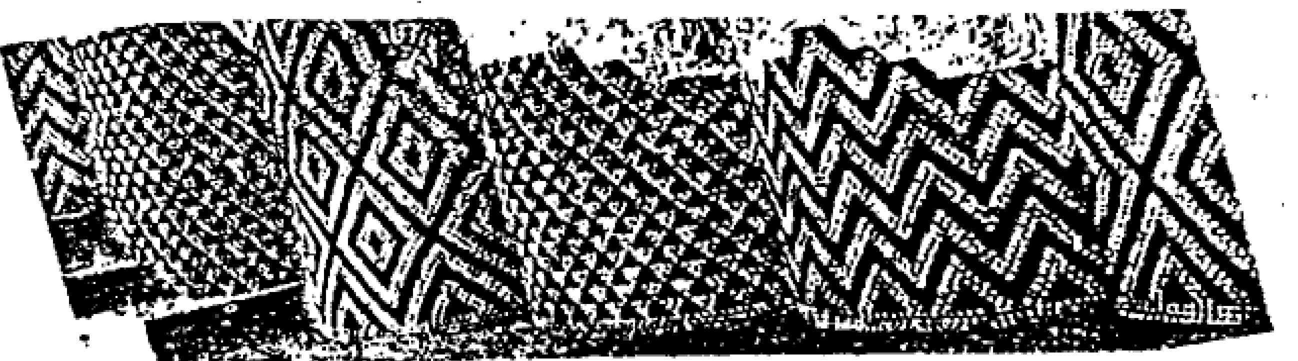
- وزارة الأوقاف: مساجد مصرى، المساحة المصرية، ١٩٤٨.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Creswell, K.A.C: Early Muslim Architecture, 2 volumes, Oxford, 1932 – 1940.

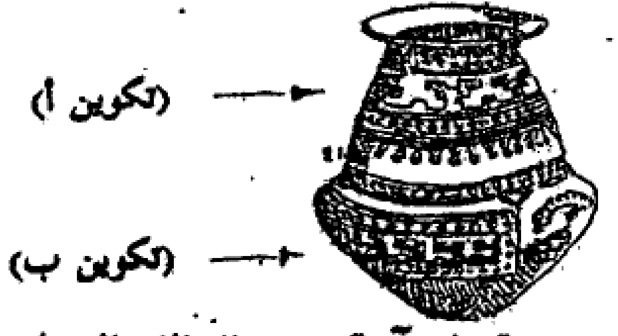
- Shafi'I F.: West Islamic Influences on Architecture in Egypt before the Turkish period, Faculty of Arts, Vol. XVI, part 2, Cairo, December 1954.

- Speltz, Aledander: The styles of ornament, Dover Publications, Inc., New York, 1910.

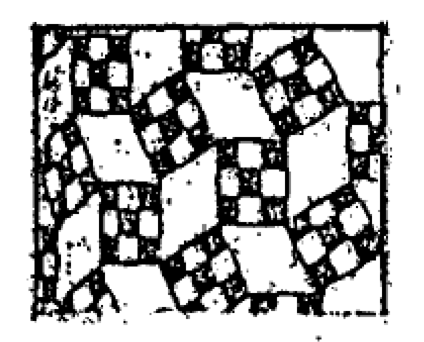


ش ١- زخارف هندسية من قطع فخارية مزججة، العراق، مرحلة الوركاء

(فارس، شمس الدين، تاريخ الفن القديم، دار المعرفة، العراق، ١٩٨٠م)، ص٩٤.



ش ٢- زخارف هندسية على آنية ترجع إلى الفن الروماني القديم.



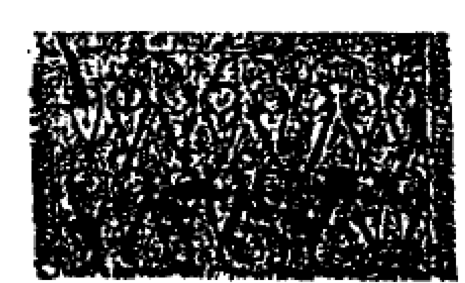
ش ٣- تكوين هندسي يرجع إلى الفن البيزنطي.
(The Styles: 130)



ش ٤- قطعة من نسيج القباطي تمثل فترة الانتقال من القرن ٤ م.
(ماهر، سعاد - الفن القبطي، القاهرة، ١٩٧٧ : لوحة ٨٩).

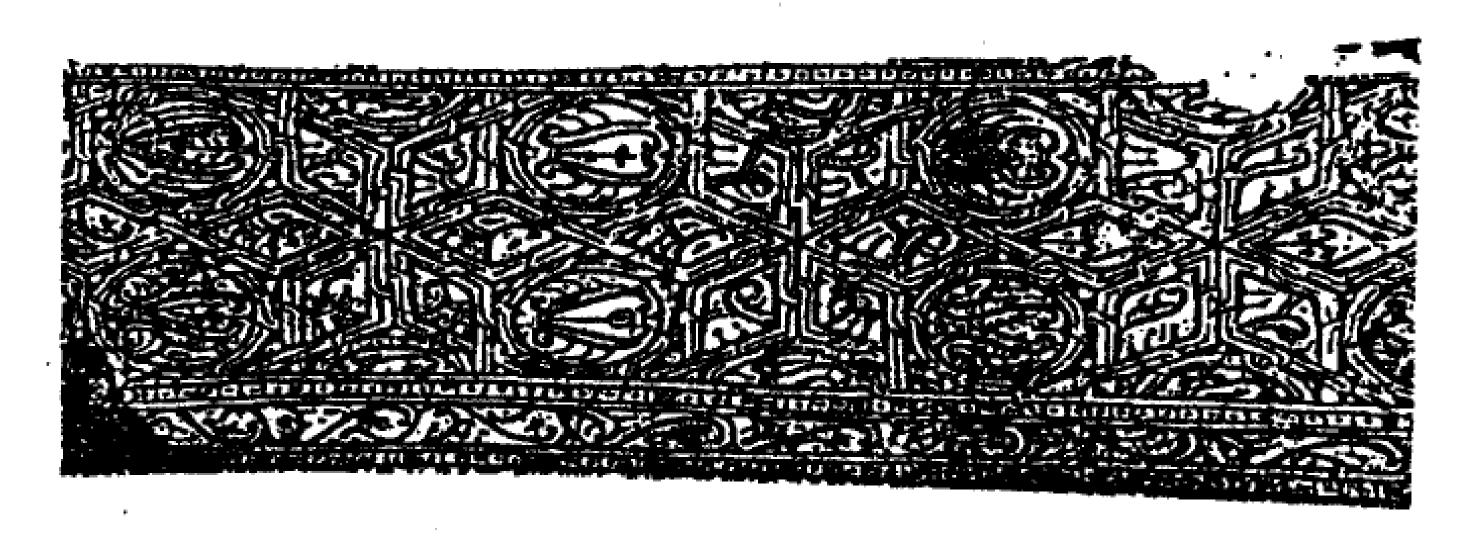


ش ٥ - قطعة من نسيج القباطي تمثل فترة الانتقال من القرن ٤ م - ٥م.

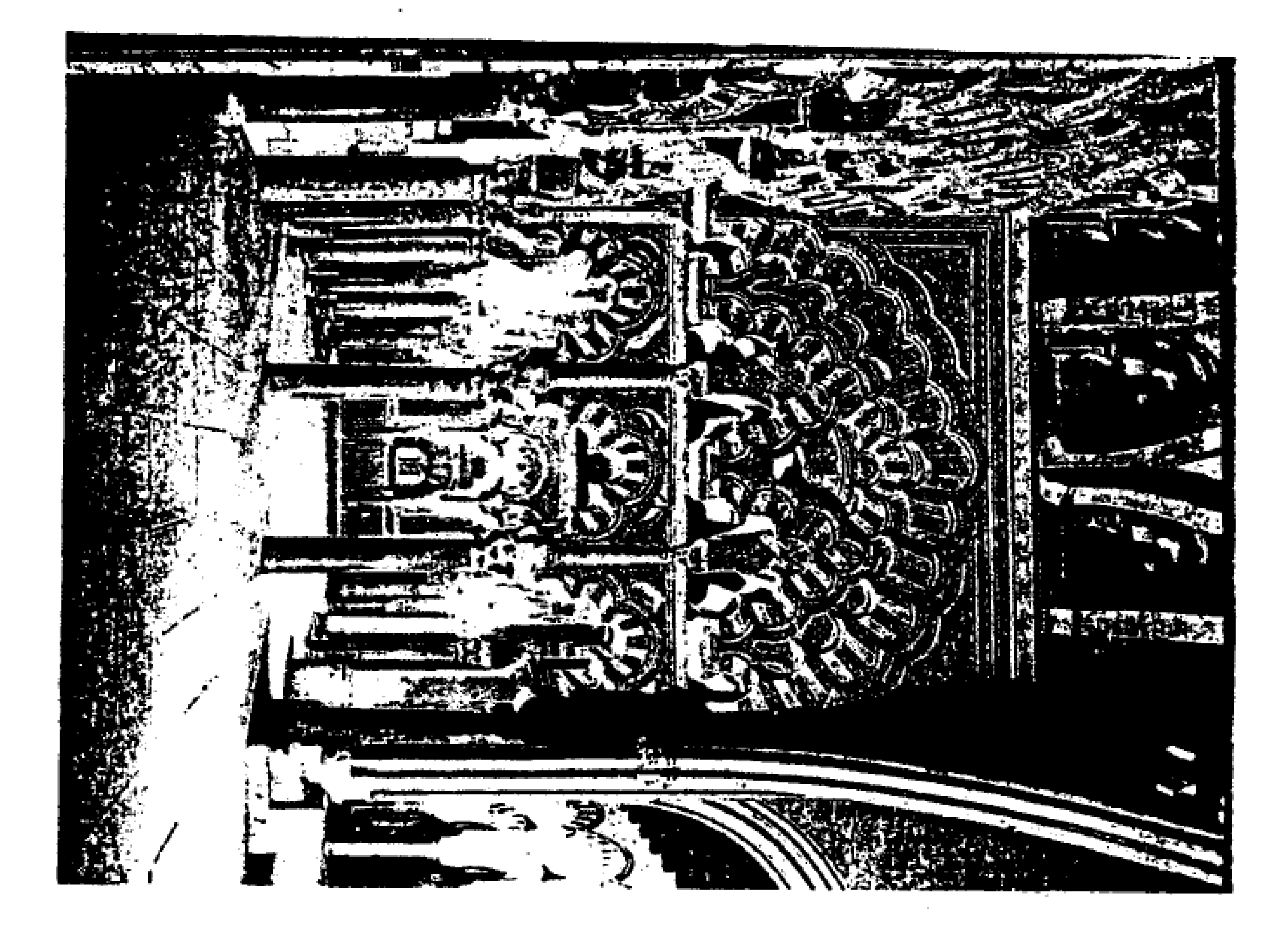


ش ٦- بيت طولوني، تكوين زخرفي على أحد الجدران

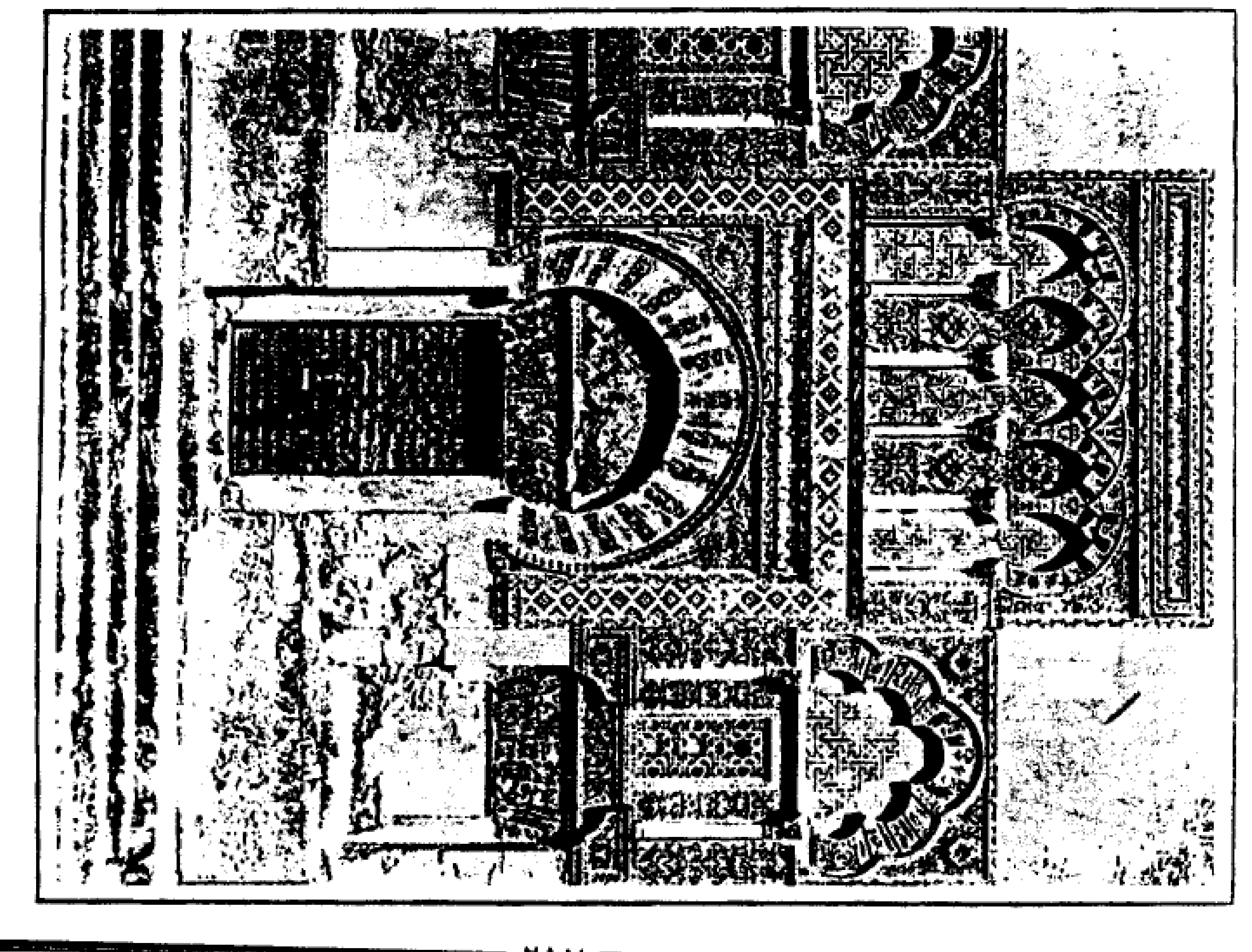
(شافعي، فريد - العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠: ش ٢٥٩).



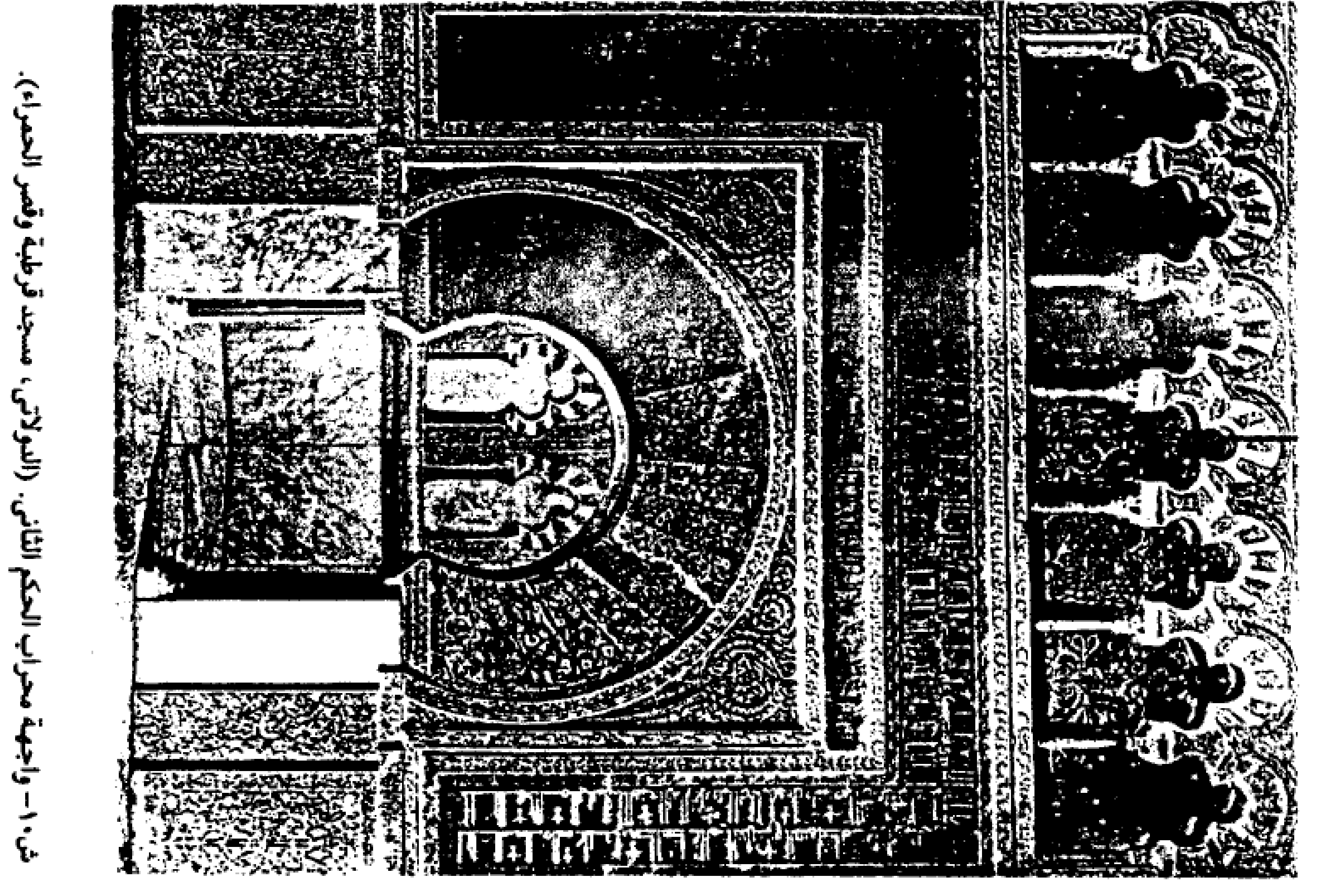
ش ٧ - جامع أحمد بن طولون، تكوين هندسي نباتي بباطن أحد عقوده.



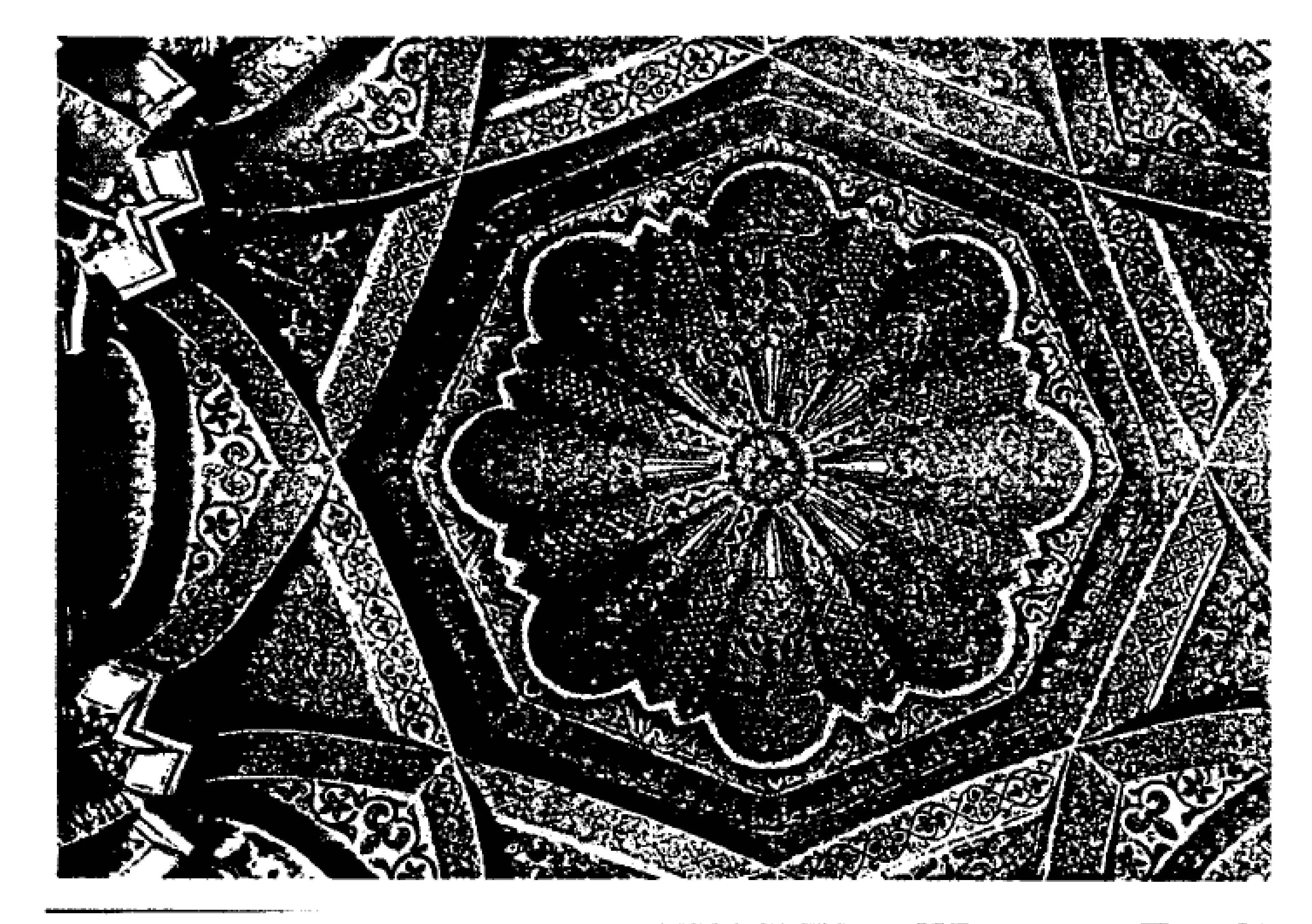
شكل ٩- الرواق الرئيس المتقدم المحراب. (الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء).



شكل ٨- الواجهة الغربية للمسجد. (الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء).

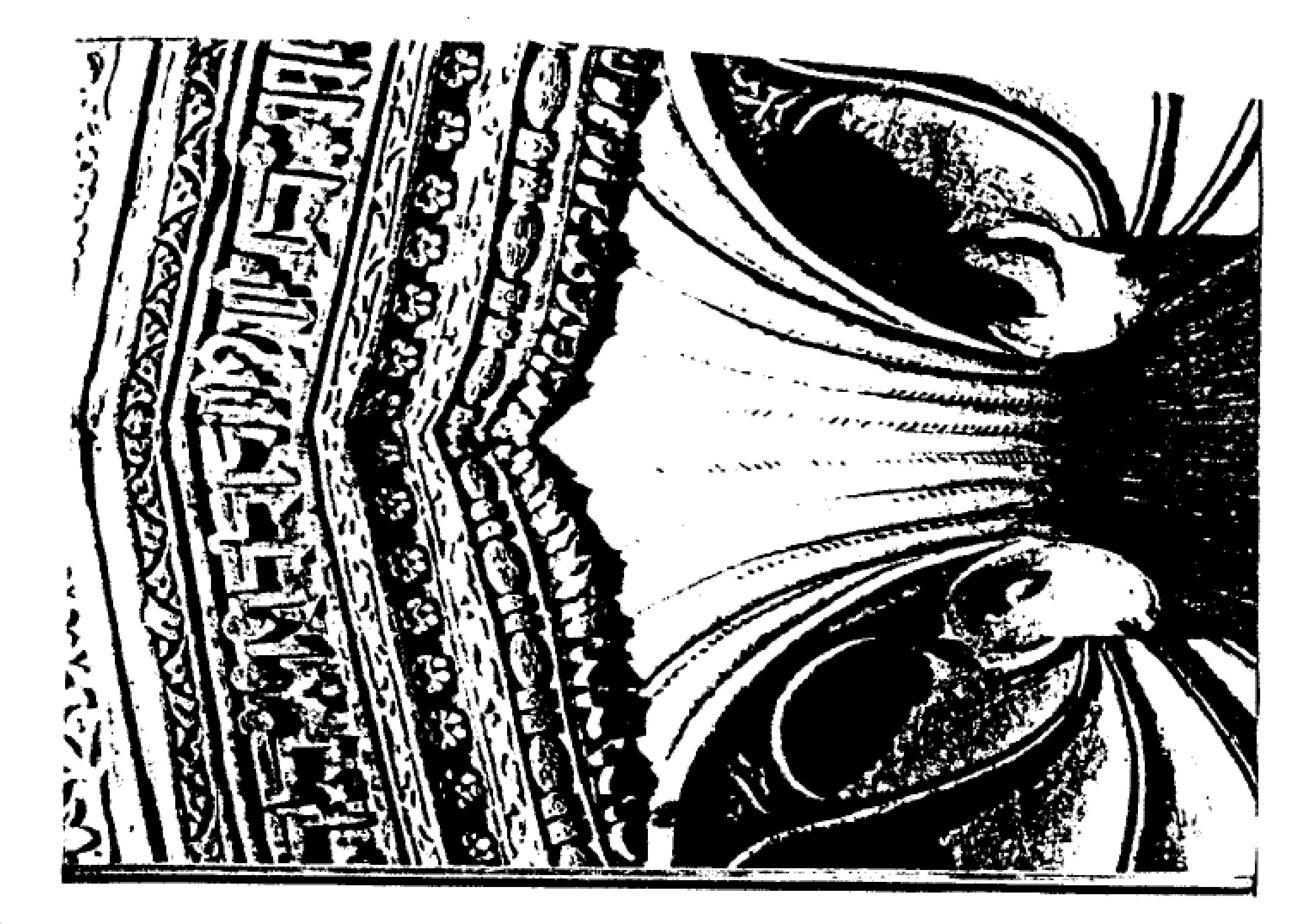


ش١٠- واجهة محراب الحكم الثاني. (الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء).

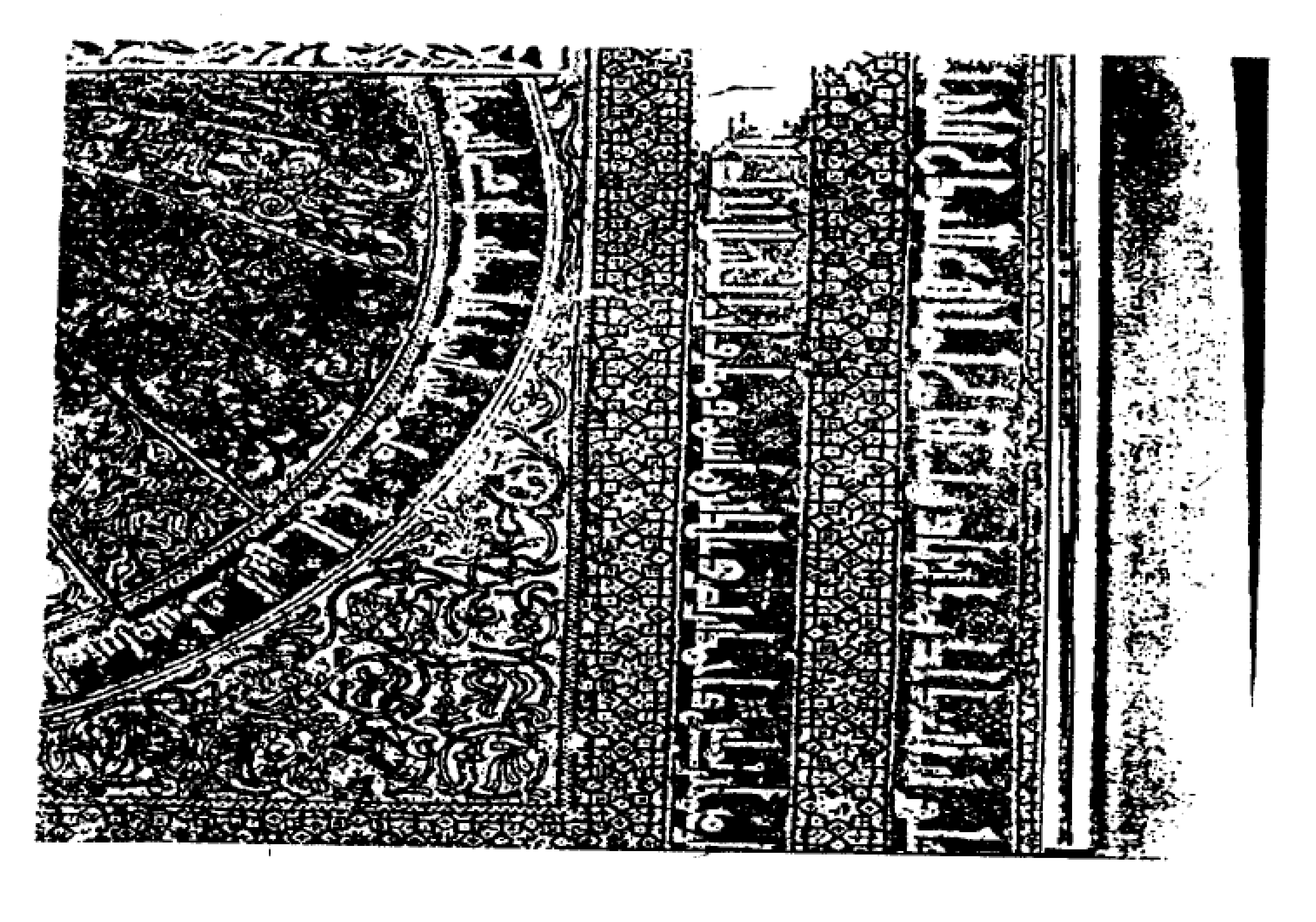




ش١١- قبة المحراب الرئيسية. (الدولاتي، مسجد قرطبة، وقصر الحمراء).



ش١٣- تكوين معمارى يعلو المحراب. (الدولاتي. مسجد قرطبة وقصر الحمراء).



ش١٢- فسيفساء واجهة محراب الحكم الثاني. (الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء).



البوسنيون فى مصر فى العصر العثمانى

(٩٢٣ – ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ – ١٧٩٨م)

دكتـور/ أحمـد عبد العزيز على عيسى

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب بدمنهور - جامعة الإسكندرية

أغار العثمانيون علــى البوســنة لفتحهــا عــامى (٧٧٤هـــ/ ١٣٧٢م)؛ و(٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) وقد نتج عن ذلك حصول العثمانيين على العديد من الأسرى والغنائم؛ بعدها تحالف البوسنة والصرب ضد العثمانيين وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم فى بلوشنيك عام (٧٩٠هـ/ ١٣٨٦م)، كما اشترك البوسنيون مع الصرب فى موقعة قوصوه الأولى ضد العثمانيين، والتى انتهت بهزيمة الصرب رغم استشهاد السلطان مراد الأول عام (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م.) [١]. وفى عهد السلطان محمد الأول (٨١٦ – ٨٢٤هـ/ ١٤٠٣ – ١٤٢١م) أغارت بعض القــوات العثمانيــة علــى البوسنة، وسقطت بعض المناطق منها؛ القصبة الصغيرة المسماة (سراى بوســنة) Sarajevo ، وقد شرع العثمانيون فى جعلها بلدة كبيرة لتكون مركزًا للبوســنة[٢]. وعندما تولى السلطان محمد الثانى (الفاتح) (٨٥٥ – ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ – ١٤٨١م) قاد حملة عام (٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م) تمكن بعدها من فتح البوسنة، وصار البوشــناق مــسلمين، وقــد حاولــت المجــر أخــذ البوســنة ثــلاث مــرات فــى (٨٧٠هـ، ٨٧٦هـ، ٨٨٤هـــ/ ١٤٦٥م، ١٤٧١م، ١٤٧٩م) وقــد بــاءت تلــك المحاولات بالفشل[٣] ، بعدها أصبحت البوسنة ولاية عثمانية.

وفى عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) أصبحت مصر ولاية عثمانية، وعليه قــدم البوسنيون إليها، وسوف يتم الحديث عنهم فى مصر مــن خــلال تــوليهم بعــض

المناصب الإدارية والعسكرية، علاوة على ممارستهم الأنشطة الاقتصادية؛ مثل التجارة، والالتزام، ومزاولة بعض الحرف. أما عن حياتهم الاجتماعية فقد ظهرت فى بعض أوجه العلاقات الاجتماعية لهم، والأوقاف.

أولاً – تولى البوسنيون بعض المناصب الإدارية والعسكرية.

كان للبوسنيين نصيب فى تولى بعض المناصب الإدارية والعسكرية؛ فمن المناصب الإدارية قائمقام[٤] ، وأمير الحج[٥] ، والدفتردار[٦] والروزنامجى[٧] وأحيانًا أمير الخزنة[٨] ، ومن الملاحظ من خلال مصادر تلك الفترة انضمام بعض البوسنيين لطائفة القاسمية، والتى دخلت فى صراع مع طائفة الفقارية على النفوذ السياسى والإدارى فى مصر فى العصر العثمانى.

وكان أول من تولى منصب **قائمقام** من البوسنيين أحمد بك البوشناق عام (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م) لحين قدوم والى مصر الجديد مصطفى باشا (١٠٧٠ – ١٠٧١م/ ١٦٥٩ – ١٦٦٠م)[٩]. ومن الشخصيات البوسنية التى تولت هذا المنصب إبراهيم بك أبو شنب البوشناق ابن أخت أحمد بك البوشناق، فقد تولاه أربع مرات؛ الأولى بعد عزل حسن باشا والذى استمرت ولايته سبعين يومًا، وقد استمر كقائمقام حتى قدوم حسن باشا السلحدار[١٠] (١٠٩٩ – ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨ – ١٦٨٩م)[١١] والثانية عام (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م) قبل مجئ إسماعيل باشا (١١٠٧ – ١١٠٩هـ/ ١٦٩٥ – ١٦٩٧هـ)[١٢] والثالثة عام (١١٢٦هـ/ ١٧١٤م) لحين قدوم عابدى باشا (١١٢٦هـ/ ١١٢٩هـ/ ١٧١٤ – ١٧١٧م)[١٣] ، والأخيرة بعد عزل عابدى باشا لحين تولى على باشا الأزمرلى (١١٢٩ – ١١٣٢هـ/١٧١٧ –١٧٢٠م)[١٤]، ثم تولاه محمد بك ابن إبراهيم بك أبو شنب عام (١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) حتى قدوم على باشا (١١٣٨هـ/ ١٧٢٥ – ١٧٢٦م)[١٥].

أما منصب **أمير الحج** فيعد من أهم المناصب فى مصر فى العصر العثمانى، وقد حظى به كل من أحمد بك البوشناق، وإبراهيم بك أبو شنب، بالنسبة

للأول عقب وفاة الأمير رضوان بك الفقارى عام (١٠٦٦هـ/ ١٦٦٥) عينه الباشا أميرًا للحج، وقد أثار ذلك حفيظة الفقارية عليه؛ فقاموا بعزله، وعينوا قائمقام، وتم نفى أحمد بك البوشناق إلى الإسكندرية، بعدها قامت الفقارية بتعيين حسن بك الفقارى أميرًا للحج[١٦]. أما إبراهيم بك أبوشنب فقد تولى هذا المنصب عام (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م)، واستمر فيه حتى عام (١١٠١هـ/ ١٦٨٩م) حين تولاه إبراهيم بك ابن زين الفقار[١٧] ، ثم تولاه مرة أخرى عام (١١٢٢ - ١٧١٠م) ثم عزل وتولى مكانه إيواظ أو عوض بك القاسمى[١٨] *.

أما بالنسبة لمنصب **الدفتردار** فقد تولاه أحمد بك البوشناق عام (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م)[١٩] وكذلك الأمير عبدالله بك البوشناق عام (١١٠٣هـ/ ١٦٩١م) ثم عزل بعد خمسة أشهر وعشرين يومًا لإرساله على رأس حملة عسكرية للمشاركة فى حرب الدولة العثمانية[٢٠] ضد الألمان وقد تعرض فيها الجانبين لخسائر كبيرة، وأسفرت على استشهاد الصدر الأعظم فاضل مصطفى باشا[٢١].

كما شغل إبراهيم بك أبو شنب هذا المنصب من (١١١٩ - ١١٢١هـ/ ١٧٠٧ - ١٧٠٩م) ثم عزل وتولى إمارة الحج، ثم أعيد مرة أخرى عام (١١٢٧هـ/ ١٧١٥م) واستمر به حتى مات عام (١١٣٠هـ/ ١٧١٧م) [٢٢] ، كما تولاه أيضًا ابنه محمد بك البوشناق[٢٣].

أما منصب **الروزنامجى** فالذى تولاه منهم أحمد أفندى البوشناق عام (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م)[٢٤] أما عن أمير **الخزنة** فقد حظى به محمد بك بن إبراهيم بك أبوشنب[٢٥].

ومن المؤكد أن تلك المناصب أعطت البوسنيين نفوذًا قويًا فى مصر فى العصر العثمانى، هذا النفوذ الذى أدى بهم إلى لعب دور سياسى فى تلك الفترة،

ولكن بعد وفاة إبراهيم بك أبوشنب وابنه محمد بك انتهى ما كان للبوسنيين من نفوذ إدارى وسياسى.

وبالإضافة إلى توليهم بعض المناصب الإدارية، فقد انضموا إلى الأوجاقات(٢٦) العسكرية، ومنها الإنكشارية(٢٧) والعزب(٢٨) والجاويشان(٢٩) الجنولليان(٣٠) وتولوا مناصب مهمة داخل تلك الأوجاقات منها؛ أغا(٣١) ، وسردار(٣٢)، وجوربجى(٣٣)، وأوده باشى(٣٤)، وقد أعطاهم ذلك نفوذًا قويًا، والذى دعم بدوره نفوذهم الإدارى.

وقبل الحديث عن تولى البعض منهم مناصب داخل تلك الأوجاقات؛ تنبغى الإشارة إلى أن بعضهم انضموا إليها كالآخرين، على أساس وصولهم إلى تلك المناصب فيما بعد، وغالبيتهم من أوجاق مستحفظان مثل على بن البدرى محمد(٣٥)، وأحمد بن مصطفى(٣٦) ، ومحمد البوشناق(٣٧)، ومصطفى بن موسى(٣٨)، وعمر بن شعبان(٣٩)، وحسن بن عبدالله(٤٠)، وحسن بن خدا وردى(٤١)، وعمر بن محمد(٤٢)، والناصرى محمد(٤٣)، وعثمان بن محمد(٤٤)، وعبدالله بن يوسف(٤٥)، وطويل بن عبدالله(٤٦)، كما انضم بعض البوسنيين لأوجاق عزبان مثل محمد بن خليل(٤٧)، وحسين بن أحمد(٤٨). كما التحق البعض منهم بأوجاق جاويشان مثل أحمد بن مصطفى(٤٩)، وأحمد بن على(٥٠)، ورسلان بن عبد الله(٥١)، وحسن بن مصطفى(٥٢)، وعبدالرحمن بن إسماعيل(٥٣)، ومحمد البوسنى(٥٤)، أما من انضم من البوسنيين لأوجاق جنولليان فنذكر منهم على بن حسن(٥٥)، ومحمد طورنه بن حسن(٥٦).

أما عن المناصب التى تولاها البوسنيون داخل تلك الأوجاقات فيأتى فى مقدمتها **الأغا**، وقد تولاه يوسف البوشناق كأغا لأوجاق جاويشان(٥٧). أما **منصب السردار** فقد تولاه فى أوجاق مستحفظان مصطفى بن محمد(٥٨)، وحسن بن محمد(٥٩) ، وحسن البوشناق(٦٠) وتولاه فى أوجاق عزبان إبراهيم بن عمر(٦١).

وبالنسبة لمنصب **جوربجى** فقد شغله عدد لا بأس به منهم مثل أيوب بن أحمد[٦٢]، وأحمد بن مصطفى[٦٣]، وأحمد بن جعفر[٦٤]، وأحمد البوشناق[٦٥]، ومصطفى بن محمد[٦٦]، وأحمد بن محمد[٦٧]، ومحمد بن أحمد[٦٨] ، وعبدالله البوسنى[٦٩] ، وسنان بن على[٧٠] ، ومحمد بن صالح[٧١] وكان كل منهم جوربجيًا لطائفة مستحفظان. ومن البوسنيين من شغل هذا المنصب كجوربجى لطائفة عزبان مثل محمد البوشناق[٧٢] ، أما من تولاه منهم فى أوجاق جنولليان فنذكر منهم أحمد البوشناق[٧٣]، وإبراهيم البوشناق[٧٤].

أما عن منصب **باش أوده باشى** فقد تولاه منهم داخل أوجاق مستحفظان إبراهيم بن ذو الفقار[٧٥] ، وصالح بن عثمان[٧٦] وحسن بن صالح[٧٧] وتولى محمد بن يوسف هذا المنصب فى أوجاق عزبان[٧٨].

ويظهر من خلال النماذج المعروضة انضمام معظم البوسنيين لأوجاق مستحفظان – كما أسلفنا – نظرًا للامتيازات التى تمتعوا بها مثل السيطرة على الالتزامات، ودار الضرب، وعنابر المؤن، وغير ذلك، وكان أوجاق عزبان يلى أوجاق مستحفظان فى الأهمية، وإن كانت النماذج المعروضة والتى تثبت انضمام البوسنيين لهذا الأوجاق بسيطة إلا أنها تؤكد حرصهم على الانضمام إليه، للتمتع بامتيازات لا تقل فى أهميتها بالنسبة، لأوجاق مستحفظان. أما عن أوجاق جاويشان فقد حرصوا على الانضمام إليه نظرًا للمهام التى كانت توكل إليهم، ومنها إبلاغ الأوامر والمهمات، وجباية الأموال فى الأقاليم. كما استفادوا من الامتيازات الممنوحة لهم فى الريف عن طريق انضمامهم لأوجاق جنولليان، ومن المؤكد أن انضمامهم لتلك الأوجاقات، وتولى المناصب فيها قد أعطاهم وضعًا لا يستهان به، خاصة أن أفراد الأوجاقات – بصفة عامة – لعبوا دورًا سياسيًا واقتصاديًا بارزًا فى مصر فى العصر العثمانى.

ثانيًا: النشاط الاقتصادى للبوسنيين.

تمثل نشـــاطهم الاقتصـــادى فى التجـــارة، والالتـــزام، ومزاولتهـــم لبعض الحـــرف.

١- التجارة:

مثلت التجارة مصدرًا مهمًا من مصادر الـربح للبوسـنيين، ونلاحـظ أن إقامتهم الدائمة بمصر، وما تمتع به أغلبهم من التـزام وأمانـة فـى المعـاملات التجارية، شجعهم ذلك على أن يجدوا تعاونًا تجاريًا مع المحيط الذى كانوا يعيشون فيه. وقد تاجر البوسنيون فى سلع عديدة منها الحبوب، والبن، والبهار، والكتـان، والنوشادر، كما قاموا بشراء واستئجار الأراضى لبناء الوكالات[٧٩] ، والحوانيت[٨٠] والحواصل (المخازن) لتنمية تجارتهم، وهو ما ستوضحه النماذج التالية.

بالنسبة لتجارة **الحبوب** ركز البوسنيون على نوعين همـا **الأرز والقمـح**، نظرًا لأهميتهما الغذائية والتجارية؛ ففى عام (٩٩٥هـ/ ١٥٨٦) اشترى على بـن شريف البوسنى تاجر القمح المقيم بخان البوسنيين بالقاهرة من محمد بـن حـسن الشهير بابن عدس مركب شختور[٨١]خصصها لنقل القمح المشترى من الصعيد[٨٢] على أن يقوم فيما بعد بتخزينه فى حواصله بالقاهرة، ثم يقوم بعدها ببيعه للتجـار حتى يتمكن من تحقيق أفضل ربح ممكن. كما خصص ناصف بن عبدالله البوسنى مركبه الغراب[٨٣] لنقل الأرز والقمح من رشيد إلى الإسكندرية لبيع ذلـك لتجـار الحبوب هناك[٨٤] على اعتبار أن الإسكندرية من الثغور ذات النـشاط الاقتـصادى البارز.

وكان أحمد بن على البوسنىَ من أكبر تجار الأرز برشيد، وقد رحل إلـى البوسنة تاركًا مركب شايقة[٨٥] شركة بينه وبين محمد بن إبـراهيم، وعليـه قـام بإرسال كتاب نقلى (حجة) من محكمة البوسنة على يد وكيله مصطفى بـن علـى البوسنى، كى يتولى مباشرة أموره التجارية فى مصر، وبحقه فى المركب. ولكـن

محمد بن إبراهيم أنكر حق الموكل فى المركب، فما كان من الوكيل إلا أن أحضر عددًا من الشهود أقروا صحة ما جاء فى الكتاب النقلى بعد مطابقة هذا الكتاب بالعقد المبرم بين الطرفين مسبقًا أمام قاضى رشيد، وعليه تم إثبات حق أحمد بن على البوسنى فى الشايقة التى كانت تتولى نقل الحبوب من مصر إلى الخارج[٨٦]، أما مصطفى البوسنى فكان من أعيان التجار بوكالة محمد باشا[٨٧]، وكان يقوم بشراء الأرز والقمح من مختلف جهات مصر، ويرسله إلى رشيد تمهيدًا لشحنه على المراكب لبيعه فى استانبول[٨٨] لتحقيق أفضل الأرباح.

وقد عمد بعض البوسنيين بمشاركة أعيان التجار الموجودين بمصر لإنشاء شركات لتجارة الأرز بالخارج، علاوة على الشركات الموجودة فى مصر، وذلك بعد اتساع نطاق تجارتهم فيه داخل مصر، بالإضافة لارتفاع نسبه أرباحه فى الخارج، لحاجة هذه المناطق للأرز لعدم توافره هناك. نذكر من ذلك أن عمر البوسنى كان شريكًا للأمير إبراهيم أغا، وكان الأول فى استانبول يقوم ببيع الأرز عن طريق الشركة التى تم تأسيسها هناك، وقد وكل أخاه حسن البوسنى بموجب حجة من محكمة البوسنة لاستخلاص ربح تجارة الأرز من الأمير إبراهيم، وقام الأخير بإعطائه مبلغ اثنى عشر ألف نصفًا فضة[٨٩] ما خصه من ربح هذه السنة من الشركة الموجودة فى مصر بعد خصم المصاريف[٩٠]، وكانت توجد شركة بين مصطفى بن محرم البوسنى جوربجى طائفة مستحفظان، وحسين المسطرلى بسوق المصريين بمدينة سلانيك. وقد نص التعاقد بينهما على أن يكون رأس مال الشركة مناصفة بينهما؛ على أن يتقاسما الربح بالتساوى بعد خصم المصاريف؛ ومنها إيجار مكان تلك الشركة، وأجره نقل الأرز من مصر إلى سلانيك، وأجرة عتالة[٩١]، كما كانت هناك شركة بين محمد بن مصطفى البوسنى سردار طائفة مستحفظان ومحمد بن الحصار بمدينة أزمير، وكان الأخير مقيمًا بتلك المدينة

لمباشرة أمور الشركة وسير العملية التجارية فيها، وقد وكل محمد بن مصطفى البوسنى، محمد بن محمود البوسنى ليستخلص له أرباح هذه الشركة[٩٢]، وربما يرجع تعيين الموكل للوكيل لمراقبة شريكه.

كما كان بعض البوسنيون يخصصون جزءًا من رؤوس أموالهم لتجارة الأرز والقمح، فعلى سبيل المثال خصص عبدى كوسه البوسنى مبلغ ٢٧١٤٣ نصفًا فضة لهذا الغرض من جملة رأس ماله البالغ ٤١٦٥١ نصفًا فضة[٩٣]. أما محمد البوسنى فكان من تجار الأرز بالقاهرة، ومن جملة أمواله خصص لتلك التجارة ١٩٩٥ نصف فضة[٩٤] وكان محمود البوسنى من تجار الأرز بوكالة الحاج حسن الطويل بالقاهرة، وبلغت قيمة تجارته فى هذه السلعة ٦١٦٠ نصفًا فضة[٩٥] ومن أعيان التجار الموجودين برشيد سنان بن على البوسنى جوربجى طائفة مستحفظان، وكان له عدة حواصل بوكالة محمد باشا، وكان بعض من هذه الحواصل قد خصص لتخزين الأرز، والذى قدرت قيمته ٥٤١٥١ نصفًا فضة[٩٦] ويدل هذا على مدى ثراء ذلك الرجل واتساع نطاق تجارته، خاصة وأنه قد خصص هذا المبلغ لتجارة الأرز فما بالنا وأنه كان يتاجر فى العديد من السلع منها البن، والبهار، والنوشادر، والأقمشة، والحراير[٩٧]. أما إبراهيم البوشناق فقد بلغ الجزء المخصص من رأس ماله لتجارة الأرز والقمح ٤٣٠٠ نصف فضة[٩٨].

وأحيانًا قد يلجأ بعض البوسنيين للاقتراض لتدعيم تجارة الأرز والقمح، وينشأ عن ذلك دعاوى قضائية بين الطرفين نذكر من ذلك أن مصطفى بن عبدالله البوسنى اقترض من مصطفى بن إبراهيم البرهانى سبعة وعشرين قرشًا[٩٩] للاتجار بها فى الأرز، ولكن المقترض أنكر المبلغ الذى اقترضه، وعليه أقام مصطفى البرهانى دعوى أمام محكمة دمياط بحقه فى ذلك المبلغ، ولكنه لم يستطع إثبات دعواه لعدم وجود بيّنه تدل على ذلك[١٠٠] سواء شهودًا أو حجة تنص على

ذلك. كما ادعى مصطفى بن موسى الينكجرى على حسن بن على البوسنى أنه منذ عشر سنوات أقرضه مبلغ تسعة آلاف نصف فضة على سبيل المضاربة ليتاجر به فى الأرز والقمح، على أن يكون الربح بينهما مناصفة بعد خصم رأس المال، ولكن المدعى عليه أنكر ذلك، فما كان من المدعى إلا أن أحضر بعض الشهود أقروا بصحة ما ادعاه، وبناء عليه ألزم المدعى عليه بدفع المبلغ للمدعى[١٠١].

وأحياناً أخرى قد تقام دعوى حول كمية الأرز المباعة ففى عام (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) ادعى أحمد البوشناق جوربجى طائفة مستحفظان على كل من أحمد العدل بن عمر، وقاسم الجزيرى أنهما منذ أربع سنوات اشتريا منه وهو بديروط[١٠٢] ستين إردبًا[١٠٣] أرز شعير بمبلغ ثمانية عشر ألف نصفاً فضة مناصفة بينهما، وضمن كل منهما الآخر ذمة ومالاً فيما خصه من الثمن المذكور للأرز وتم تسجيل ذلك بمحكمة ديروط، وبعد فترة دفع أحمد العدل للمدعى تسعة آلاف نصف فضة، وأخذ يطالبهما بباقى المبلغ، ولما سئل المدعيان عليهما عن ذلك ذكرا بأنهما اشتريا من المدعى ستة وثمانين إردبًا من الأرز الشعير عن ثمن كل إردب تسعة قروش يعدل كل قرش ثلاثين نصفاً فضة، وعلى ذلك قدر ثمن الأرز بثلاثة وعشرين ألف نصف ومائتين وعشرين نصفاً، دفعا من ذلك للمدعى خمسة آلاف ومائتين وعشرين نصفاً، وتبقى عليهما ثمانية عشر ألف نصفاً فضة، وذلك بموجب تعاقد مكتوب بيد أحمد العدل فى (١٧ شوال ١١١٢هـ/ ٢٧ مارس ١٧٠١م)، بعدها دفع الأخير للمدعى تسعة آلاف نصف فضة، والتى اعترف بها المدعى، وبعد فترة بسيطة قام قاسم بدفع ما تبقى من المبلغ، ولكن المدعى أنكر ذلك وأظهر الحجة المسطرة من محكمة ديروط، ولكن تلك الحجة كانت تدل على الضمان فقط، وطلب المدعى إثبات ما ادعاه المدعيان، فما كان منهما إلا أن أحضرا أربعة من

الشهود أقروا بما ذكراه، وعليه صدر القرار بألا يطالب المدعى؛ المدعى عليهما بشئ من ذلك(١٠٤).

وتعطى الأمثلة السابقة مؤشرًا واضحًا على أهمية هاتين السلعتين نظرًا لأهميتهما كغذاء لمعظم فئات المجتمع المصرى، علاوة على الأهمية التجارية.

ومن ضمن السلع التى كان عليها طلب متزايد، وحقق البوسنيون من ورائها أرباحًا لا بأس بها **البن**، شأنهم فى ذلك شأن التجار من معظم الفئات الموجودة داخل المجتمع المصرى، وهو ما ستوضحه الأمثلة التالية. كان عمر بن محمد البوسنى من تجار البن بالقاهرة، وكان يقوم ببيعه لصغار التجار عن طريق الحاصل الذى كان يملكه بإحدى الوكالات ببولاق، وقد قدر ثمن البن المباع بـ ٩٦٨٩٥ نصفًا فضة(١٠٥) أما حمزة بن عبدالله البوشناق فكان يملك حاصلاً برشيد خصصه لتجارة البن وقد بلغ ثمن الكمية التى باعها لبعض التجار ٣٥٠١٠ نصف فضة(١٠٦) وكان من ضمن تجار البن الموجودين بوكالة محمد باشا برشيد الحاج إبراهيم البوسنى، فقد كان يملك كمية من البن الصلبى بقيمة قدرها ٣٨٧ ريالاً(١٠٧) وكذلك كمية من البن القلب قيمتها ٤٤ ريالاً، وكان يشاركه فى تلك التجارة أخيه عبد الله جوربجى طائفة مستحفظان(١٠٨).

أما عن شركات تجارة البن التى كانت بين البوسنيين وغيرهم، فنلاحظ أنها قد تكون داخل وخارج مصر فى نفس الوقت، فعلى سبيل المثال كانت هناك شركة بين كل من أحمد بن مصطفى البوسنى، وحسين الأزمرلى فى مصر وأزمير، وقد أرسل الأول للثانى كمية من البن قدرها اثنتا عشرة فردة بن(١٠٩) لبيعها فى أزمير، وكان حسين الأزمرلى له وكيل فى مصر وهو محمد بن إبراهيم، وبعد فترة توفى حسين الأزمرلى وطالب أحمد بن مصطفى البوسنى بنصيبه فى كمية البن وقدرها ست فردات بوزن قدره تسعة وعشرون قنطارًا(١١٠) وأربعة وثمانون رطلاً(١١١)بثمن

قيمته ٧٥٥ ريالاً حجرًا أبو طاقة، يعدل كل ريال ثلاثة وثلاثين نصفًا فضة، ولما سئل الوكيل عن ذلك أجاب بأنه تسلم كمية البن كلها وأرسلها لورثة المتوفى، وبناء عليه صار ضامنًا للست فردات نصيب أحمد بن مصطفى البوسنى، وتم إلزامه بدفع ثمنها[١١٢]وقد أسس كل من سليمان بن مصطفى بن عبد الرحمن، وجعفر بن عبد الجليل بن موسى البوسنيين شركة لتجارة البن فى مصر واستانبول وقد حدث خلاف بينهما حول نسبة الربح، وعليه طالب سليمان بن مصطفى بحقه لدى جعفر بن عبد الجليل فبلغ ٣٧١ قرشًا، قبض الأول ٢٧٥ قرشًا وصار المتبقى ٩٦ قرشًا، ولكن بعد ذلك توفى جعفر بن عبد الجليل وعليه طالب شريكه بحقه من تركة المتوفى، وتم استخلاص ذلك المبلغ من محمد بن إبراهيم البوسنى وهو الوصى الشرعى على تركة جعفر بن عبد الجليل، بعدها تم فض الشركة بعد أن أخذ سليمان بن مصطفى نصيبه[١١٣]. كما تعاقد كل من مرتضى جلبى بن أحمد وشريكه مصطفى بن عبدالله البوسنى على إرسال سبعة وأربعون قنطارًا من البن إلى سالونيك لبيعها عن طريق الشركة التى كانت موجودة هناك[١١٤].

يضاف إلى هذا أن التركات الخاصة بالتجار البوسنيين كانت تشير فى ثناياها إلى كميات من البن، من ذلك أن محمد طورنه بن حسن البوسنى – وهو من أعيان التجار بوكالة محمد باشا – كان لديه كمية من البن قدرها أربعة وثمانون فردة، قدر ثمنها بـ ٩٩٠٣ قرش[١١٥] فى حين كانت كمية البن التى تم رصدها بعد حصر تركة إبراهيم البوسنى ثمانية قناطير وثمانون رطلاً[١١٦].

ويظهر من العرض الخاص بتجارة البن أن البوسنيين قد أولوا اهتمامًا بتلك التجارة – كالأرز والقمح – لما تحققه من أرباح مما شجعهم ذلك على نقل نشاطهم خارج مصر علاوة على الداخل.

كما كان **البهار** (الفلفل – القرفة – الزنجبيل) من السلع المهمة التى تـاجر فيها البوسنيون، وهناك بعض الأمثلة على ذلك منها أن إبـراهيم بـن ذو الفقـار البوسنى أوده باشى طائفة مستحفظان كان لديه حانوت بخط قنـاطر السـباع[١١٧] خصصه لتجارة بعض السلع على رأسها البهار، وقد بلغ ثمن البهار بذلك الحانوت ثمانية آلاف نصف فضة[١١٨] وكان لدى حسن بن خـداوردى البوسـنى حانوتـان ببولاق، وقد ضم هذان الحانوتان العديد من السلع أهمها البهار، ثم قام بعدها بإسقاط أحدهما لعامر بن شريف[١١٩] ومن الجدير بالذكر أن حسن البوسنى أسـقط ذلـك الحانوت – ربما – لشراء حانوت أو حوانيت أخرى، أو لاستثمار ثمنه فى تنميـة تجارته. وفى عام (١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م) اشترى على بن محمد البوسنى من تجار البهار برشيد من عبدالله حصة قدرها اثنا عشر قيراطًا تحوى مـساكن وحواصـل بثمن قدره ثمانية عشر ريالاً حجرًا بطاقة[١٢٠]، وعليه فإن المشترى سوف يخصص تلك الحواصل لتخزين البهار الذى كان يتاجر فيه ثم يبيعه بالتجزئة فى حالة ارتفاع سعره.

وتنبغى الإشارة إلى أن بعض البوسنيين كانوا يخصصون جزءًا من رؤوس أموالهم لاستثمارها فى تجارة البهار، على سبيل المثال بلغت الأموال التى خصصها محمد بن منصور البوسنى لذلك ١١٧٢١ نصف فضة من جملة رأس ماله البـالغ ٤٥٠٢٥ نصفًا فضة[١٢١]. أما قيمة المبلغ الذى خصصه مصطفى البوسنى لتجـارة البهار فقد بلغت ٢٢١٢٢ نصفًا فضة، مـن رأس مالـه البـالغ ٧٣١٥٦ نـصفًا فضة[١٢٢]. ويظهر من المثالين السابقين مدى اهتمامهما بالتجارة فى تلك السلعة فقد خصصا ما يقرب من ٢٦ إلى ٣٠٪ من رؤوس أموالهما للتجارة فيها، مـع العلـم أنهما كانا يتاجران فى سلع أخرى ولكن بنسب بسيطة مثل الأرز، والقمح، والـبن، والشعير.

ويلاحظ أن بعض البوسنيين كان يجمع ما بين تجارة البهار، وشياخة طائفة الدلالين[١٢٣] لها وذلك لباعهم الطويل فى تلك التجارة، مثل عبدالكريم البوشناق، والذى كان يملك عدة حوانيت ببولاق، تضم سلع عديدة أهمها البهار[١٢٤].

كما كان للبوسنيين دور فى تجارة **الكتان**، ولكن تجارتهم فيه كانت داخلية، بمعنى أنهم لم يحاولوا تصديرها للخارج كالأرز والقمح والبن، والسبب فى ذلك يرجع إلى أن أرباحه لم تكن مرتفعة. وكان من تجار الكتان الموجودين برشيد على جلبى البوسنى، وقد بلغ ثمن الكتان الموجود لديه بأحد الحوانيت بوكالة الأمير يوسف ٨٧٦٥٢ نصفًا فضة[١٢٥]. وفى نفس الوكالة كان لدى محيى بن عبدالله البوسنى كمية من الكتان تقدر بـ ٨٨ قنطارًا، بلغ ثمنها ١٥٨٤٠ نصفًا فضة باعها لصغار التجار[١٢٦]. وفى وكالة على باشا برشيد باع أحمد بن على البوسنى ستة قناطير كتان بثمن قدره ٧٦٨ نصفًا فضة، وذلك من جملة الكتان الذى كان يملكه بأحد الحوانيت بتلك الوكالة[١٢٧].

كما نلاحظ أن بعض البوسنيين ممن ليس لهم حوانيت أو حواصل كانوا يقومون بشراء الكتان ويبيعونه لكبار التجار نظير الحصول على ربح ولو بسيطًا. نذكر من ذلك أن عثمان أيوب بن حسين البوسنى الينكجرى باع لكنان بن عبدالله أربعة قناطر كتان بثمن قدره تسعة قروش لكل قنطار[١٢٨] كما باع موسى بن خليل البوسنى لنيالى أزر ثلاثة عشر قنطارًا، وثلاثة عشر رطلاً من الكتان بثمن قدره ثمانية وستون قرشًا، عن حساب كل قنطار **خمسة** قروش وخمسة أنصاف[١٢٩]، ويعدل كل قرش مما سبق ثلاثين نصفًا فضة كما أشارت الوثيقتين. كما كان مصطفى بن عبدالله البوشناق لديه اثنا عشر قنطارًا ونصف باعها لأحد تجار الكتان برشيد بثمن قدره ٣٧٥٠ نصفًا فضة[١٣٠].

ويلاحظ اختلاف سعر القنطار من وقت لآخر، ويرجع ذلك إلى قلة أو زيادة إنتاجه، أو حسب الطلب عليه.

أما عن **النوشـــادر** فتنبغي الإشارة إلى أهميته الطبية، فهو يـــذيب الـــبلغم، ويجفف القروح، ويمنع نزيف الدم، والقئ، ويداوى بعض الأمراض فى البطـــون، كما يعمل على تقوية الطحال، علاوة على استخدامه فى عـــلاج الـــصلع، ولـــدغ الثعابين(١٣١) ومن هنا أقبل البوسنيون على الاتجار فيه؛ من هؤلاء على البوســـنى، والذى كان يعد من كبار تجار النوشادر برشيد، فكان يقوم بشراؤه ووضـــعه فـــى حوانيته، على أن يقوم بعد ذلك ببيعه لتجار النوشادر، فقد اشترى من البدرى محمد جلبى بن أحمد كمية كبيرة قدَّر ثمنها بمائة وثمانين ديناراً(١٣٢) ، وقبض البائع مـــن المشترى المبلغ جملة واحدة بحضرة عدد من الشهود(١٣٣). بالإضافة إلى ذلك لجـــأ بعض البوسنيين لمشاركة آخرين فى تجارة النوشادر، فقد كان إبراهيم بن عبـــدالله البوشناق من طائفة مستحفظان شريكًا لعلى بن عبدالله فى حانوت للنوشادر، وكان الثانى شريكًا للأول بحق الثلث فى رأس المال، وبالنصف فى الفائدة، على اعتبـــار أنه صاحب الحانوت، واستمرا يتاجران فى النوشادر مدة معينة، وبعد أن تحاســـبا ضاع لهما جانبٌ من الربح ورأس المال عند شخص يدعى فابرى، وعليه طالـــب إبراهيم بن عبدالله شريكه بنصيبه فى ذلك، على اعتبار أنه المتصرف فى تجـــارة النوشادر، ولما سئل عن ذلك اعترف بالشركة فى رأس المال والفائدة، وأنه تحاسب مع إبراهيم عبدالله بحضرة عدد من الشهود، وتم الاتفاق على أن كلاً منهمـــا قـــد وصله حقه ما عدا المبلغ المتبقى لدى فابرى، وعندما يتم تحصيله فسيكون لإبراهيم بن عبدالله الثلثين، وله الثلث، وتم كتابة تمَّسك (تعاقد)، بموجب ذلك(١٣٤). كما كان طويل بن عبدالله البوشناق من طائفة مستحفظان شريكًا لعلى بن على فـــى تجـــارة للنوشادر بأحد الحوانيت بثغر رشيد، وكان نصيب طويل بن عبدالله من تلك التجارة ٢٣٧٤ نصفًا فضة(١٣٥).

وقد لوحظ من تركات بعض البوسنيين وجـود كميـات مـن النوشـادر بحوانيتهم، وبعد حصر التركة يتم تثمين النوشادر، فنذكر على سبيل المثال محمود بن عبدالله البوسنى لديه كمية نوشادر قدر ثمنها ١٠٠٥٠ نصفًا فضة(١٣٦). أما قيمة النوشادر الذى كان يملكه مصطفى بن على البوسـنى فقـد بلـغ ٣٤٦٦٣ نـصفًا فضة(١٣٧).

وبعد الحديث عن أهم السلع التى تاجر فيها البوسنيون تنبغى الإشارة إلـى أن بعضهم قام بشراء أماكن تحوى وكالات، وحوانيت، وحواصل، عـلاوة علـى القيام بشراء حصص بهدف بناء مساكن ومحال تجارية، ومن لم يقدر منهم علـى الشراء قام باستئجار مكان بهدف استخدامه كمسكن ومتجر. وهو مـا ستوضـحه الأمثلة التالية.

اشترى الشهابى أحمد بن مصطفى البوسنى التاجر فى الحبوب حصة قدرها ستة قراريط كان يوجد بها مبانٍ معدة لتخزين الحبوب بثمن قدره خمسة وسـتون قرشًا(١٣٨) فى حين اشترى أحمد بن مصطفى البوسنى من طائفة مستحفظان أحـد التجار بوكالة محمد باشا من الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الشرقاوى ثلاثة قـراريط غربى ثغر رشيد بثمن قدره ثمانية قروش، وقد خصص تلك المساحة لبناء حوانيت وحواصل بالدور السفلى، ومسكن بالدور العلوى(١٣٩). كما اشترى أحمد البوسـنى جوربجى طائفة مستحفظان من أحمد بن جعفر بن على حصة خربة قـدرها سـتة عشر قيراطًا من عزبة خلف الله بثغر رشيد، وقد خصص جزءًا من تلك المـساحة ليبنى عليها بعض المتاجر(١٤٠). وفى عام (١١٦٦هـ/ ١٧٠٤م) اشترى مـصطفى بن محرم البوسـنى مـن أعيـان التجـار بوكالـة محمـد باشـا مـن الأميـر حسين بن رمضان جوربجى طائفة مستحفظان مكانًا يحوى صهريجًا تحت الأرض معدًا لتخزين الماء العذب، ووكالة بها ثلاثة حواصل، وبلغ ثمن ذلك سـتين ألـف نصف فضة(١٤١).

وفي عام (١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م) توفي أحمد البوسني تاركًا ميراث عبارة عن وكالة وعدة حوانيت وحواصل، وكان المستحق لميراثه زوجتاه عائشة وبلقيس وابن أخيه أحمد بن محمد البوسني التاجر في الحبوب، وبعد أن حصل الأخير على نصيبه في ميراث عمه، قام بشراء نصيب زوجتي عمه[١٤٢] كي يتمكن من توسيع نطاق تجارته بصورة أوسع. وأحيانًا قد يقوم البعض ببيع حصة تشتمل على حوانيت وحواصل ومسكن، وبثمن ذلك وبالفائض الذي لديه يقوم بشراء حصة أخرى تحوي وكالة، وحوانيت وأماكن معدة لتخزين السلع. وهو ما فعله عبدالقادر البوسني عندما باع اثني عشر قيراطًا قبلي ثغر رشيد بثمن قدره ثمانون قرشًا، واشترى حصة أخرى بالقرب من نفس المكان، ولكنها أفضل من حيث احتوائها على وكالة وحوانيت ومخازن[١٤٣].

وقد يلجأ بعض البوسنيين إلى الاستئجار لمدد مختلفة، فقد استأجر أحمد بن مصطفى البوسني التاجر من طائفة مستحفظان من سلامة بن محي الدين حصة قدرها ثلاثة قراريط ونصف من الناحية البحرية لثغر رشيد، وكانت تلك الحصة تشتمل على حواصل معدة لتخزين الحبوب، علاوة على مساكن علوية وسفلية، لمدة تسعين سنة بأجرة قدرها عن تلك المدة ١٤٠ قرشًا، يعادل كل قرش ثلاثين نصفًا فضة، وقد قبض المؤجر المبلغ جمله واحدة[١٤٤]. كما استأجر أحمد بن مصطفى البوسني الينكجري، وهو من أعيان التجار بوكالة محمد باشا، من شاهين بن عبدالله معتوق يوسف سنان، وهو الناظر على وقف[١٤٥] معتقه حصة قدرها ستة عشر قيراطًا بما تحويه من ثلاثة حوانيت، وحاصل، ودهليز به خزنة كبيرة، يعلو ذلك دور علوي به ثلاث غرف، وكانت المدة التي تم الاتفاق عليها ثلاثون عقدًا كل عقد ثلاث سنوات بأجرة قدرها عن كل عقد ستون ألف نصف فضة[١٤٦]. كما استأجر نفس الشخص من آمنة بنت محمد الفرموني ثلاثة عشر قيراطًا تحوي حوانيت

وحواصل من الأسفل، وسكن فى الدور العلوى لمدة اثنتين وعشرين سنة واثنى عشر يومًا، وبلغت قيمة الإيجار ألف وخمسمائة نصف فضة[١٤٧]. ويظهر من المثالين السابقين مدى اتساع حجم تجارة المستأجر وحرصه على توسيعها، كما كان يحرص على استئجار المكان الذى كان يضم بجانب الحوانيت والحواصل سكنًا، وذلك لسكنه هو، علاوة على إقامة التجار فيه بصفة مؤقتة لإتمام عقد الصفقات التجارية.

واستمرارًا لما قام به البوسنيين من استئجار للحصص، استأجر سنان بن على البوسنى من تجار الحبوب والخضار برشيد من محمد جلبى عبدالله خمسة عشر قيراطًا تشتمل على شونة معدة لبيع القلقاس، وحوانيت وحواصل، لمدة إحدى وثمانين سنة (بما يعادل سبعة وعشرين عقدًا)، وعليه بلغت قيمة الإيجار (٢٩١٦٠٠٠) نصف فضة[١٤٨]. وبالقرب من وكالة إبراهيم أغا استأجر سنان البوسنى تاجر الحبوب من عمر بن على قطعة أرض مساحتها ثمانية قراريط ونصف خالية من البناء من الناحية البحرية لثغر رشيد لمدة تسعين سنة بأجرة قدرها عن كل عقد (ثلاث سنوات) خمسة آلاف نصف فضة، ومن هنا فإجمالى قيمة الإيجار (١٥٠٠٠٠) نصف فضة[١٤٩]. ومن الواضح أن المستأجر سيخصص جزءًا من تلك المساحة لبناء حوانيت، وحواصل، وخصوصًا وأنها كانت تقع بالقرب من وكالة إبراهيم أغا.

ومن أعيان التجار برشيد إبراهيم بن أحمد البوسنى والذى استأجر من شقيقه جعفر، وهو الآخر من أعيان التجار، مكانًا مساحته إحدى وعشرون قيراطًا، وكان يشتمل على ثلاث قاعات، منها قاعة معدة لعقد الصفقات التجارية، علاوة على منافع أخرى منها حواصل معدة لتخزين الحبوب، واتفق الطرفان أن تكون مدة الإيجار إحدى وثمانين سنة وستة أشهر، بإيجار قدره أربعمائة دينار، وقد قبض

المؤجر المبلغ جملة واحدة[١٥٠]. وأخيرًا استأجر إبراهيم بن أحمد البوسنى من صالح العدل بن حسن حصة قدرها ستة قراريط، وكان من ضمن ما تشتمل عليه تلك الحصة حواصل يعلوها مساكن، وكانت المدة التى تم الاتفاق عليها تسعين سنة، بأجرة قدرها مائة وتسعين ريالاً حجرًا بطاقة[١٥١].

ويظهر من خلال الحديث عن التجارة أن البوسنيين لعبوا دورًا مهمًا فيها، سواءً على المستوى الداخلى أو الخارجى، كما احتلوا مكانة لا بأس بها بين الأوساط التجارية، فكثيرًا ما كانت تذكر الوثائق بعض التجار البوسنيين بلقب "من أعيان التجار".

٢- الالتزام:

كانت الالتزام من الأنشطة الاقتصادية التى مارسها البوسنيون، وإن كان ذلك بنسبة بسيطة؛ لأن نشاطهم الاقتصادى تركز بالدرجة الأولى على التجارة، ومن خلال الوثائق التى تم الاطلاع عليها تبين أن دورهم فى مجال الالتزام تركز فى التزام بعض الأراضى الزراعية، ومقاطعة الأطرون، وهو المقصود به ملح الأطرون الذى يصنع منه البارود.

أما بالنسبة للأراضى الزراعية فقد ساقت سجلات إسقاطات القرى – التى تم الإطلاع عليها – بعض الأمثلة على ذلك؛ منها أن رسلان أغا بن عبدالله البوشناق أسقط ليوسف البوشناق أغا حاويشان حصة قدرها أربعة قراريط بمحلة اللبن[١٥٢] بالمنوفية نظير حلوان[١٥٣] قدره ستة أكياس بكل كيس خمسة وعشرون ألف نصفًا فضة[١٥٤]. كما أسقط الثانى للأول حصة قدرها ستة قراريط بناحية دبركى[١٥٥] بالمنوفية نظير حلوان قيمته خمسة أكياس[١٥٦]. ويظهر من الوثيقة الأخيرة أنه قد حدث استبدال بين الطرفين، كما يلاحظ ارتفاع حلوان الحصة الصغيرة عن الكبيرة على أساس أنها كانت أكثر منها خصوبة.

وفى الدقهلية أسقط حسن بن مصطفى البوسنى لعبد الله أفندى باش خليفة الغربية(١٥٧) حصة قدرها قيراطان بناحية دبيدة(١٥٨) نظير حلوان قدره خمسون ألف نصف فضة(١٥٩) وفى الشرقية أسقط واصيلى دياكو الرودسى لإبراهيم بن على البوسنى ستة قراريط بناحية كرديدة(١٦٠). وبلغ حلوان تلك الحصة ستة أكياس(١٦١).

وكان الأمير صالح بن إبراهيم البوسنى ملتزمًا بحصة قدرها قيراطان بناحية مطر طارس(١٦٢) بالفيوم(١٦٣). كما التزم محمد بن مصطفى البوشناق بحصة قدرها إحدى وعشرون قيراطًا بناحية بريم(١٦٤) بالبحيرة، أسقطها إليه إبراهيم أغا جنولليان نظير حلوان ستمائة ريال حجر بطاقة، ومائة وسبعون نصفًا فضة(١٦٥).

أما بالنسبة لمقاطعة الأطرون فقد التزم بها عام (١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م) الأمير محمد بن يوسف البوسنى باش أودة باشى طائفة مستحفظان، وفى تلك السنة استلم كميات كبيرة من الأطرون من عدد من الأشخاص، فقد تسلم من كل من محمد بن على الصوانى، وأخيه أحمد، وشلبى بن حجاج الإبيارى ١٣٨٠ وزنة(١٦٦) بثمن قدره ٥٩٧٥ نصفًا فضة(١٦٧) ، كما تسلم من خطاب بن عمر ١٩٥٠ وزنة بثمن ١٧٢٨٠ نصفًا فضة(١٦٨) ، ومن شهاب الدين بن أحمد الدمياطى تسلم ألف وزنة بمبلغ ٣٠,٠٠٠ نصف فضة(١٦٩).

وفى السادس من ذى الحجة من نفس العام قبض محفوظ بن محفوظ الفوى ٤٣٧٠٠ نصف فضة من محمد بن يوسف البوسنى عن ثمن ١١٥٠ وزنة أطرون(١٧٠) ، كما قبض سليمان بن عبده المنوفى من نفس الشخص ٣٠٦٠٠ نصف فضة مقابل ٧٣٠ وزنة أطرون(١٧١) وفى الثانى عشر من نفس الشهر قبض خطاب بن عمر الهيثمى من محمد بن يوسف البوسنى ١٧٢٠٠٠ نصف فضة مقابل ٢٩٥٠ وزنة أطرون(١٧٢).

٣- مزاولة البوسنيين لبعض الحرف.

وصل عدد طوائف الحرف فى مصر فى العصر العثمانى إلى ما يقرب من إحدى وسبعين طائفة، وكانت الحرف كلها خاضعة لإدارة شيخ أو كبير وكانت

وظيفته انتخابية اسمًا، ولكنها وراثية فى الواقع فى نطاق أسـرة معينـة، وكانـت طوائف الحرف عنصرًا أساسيًا فى الحياة المدنية، مكنت السلطات مـن الإشـراف على الصناع والتجار والحرفيين فى المدينة والقرية، فكان الحكام يرجعـون إلـى المشايخ لتحصيل الضرائب المقررة على طوائفهم، وكان شيخ كـل طائفـة يـدير شئونها الداخلية، ويقوم بالتحكيم بين أعضائها، ويحسم المنازعات بيـنهم، ويقـيم النظام ويعاقب المسيئين(١٧٣).

وتعد الحرف حلقة مهمة من الحلقات الاقتصادية للبوسنيين فى مصر فـى العصر العثمانى، ومن الوثائق التى تم الإطلاع عليها تبين أنهم مارسـوا حـرف الجزارة(١٧٤) ، والخياطة، والنجارة.

بالنسبة لحرفة **الجزارة** أقبل عليها البوسنيون؛ نظرًا لأن اللحوم كانت مـن المواد الغذائية المهمة، وإن كان ثمنها يرتفع أحيانًا – وقد تنوعت أنـواع اللحـوم، فمنها لحوم البقر، والجاموس، والجمال، والماعز، والأغنام، علاوة على بيع كرش (سقط) هذه الأنواع(١٧٥). وقد اشتهر الجزارون بأنهم قوم متينو البنية، حادو الطباع تربطهم تقاليد طائفية قوية(١٧٦). ومن الواضح أن طبيعة تلك الحرفة قد أثرت فيهم.

وقد ساقت سجلات المحاكم الشرعية أمثلة توضح دور البوسنيين فى تلـك الحرفة، منها أن أحمد بن مصطفى البوسنى القصاب (الجزار) استأجر من محمـد بن محمد القصاب قطعة أرض مساحتها تسعة أذرع(١٧٧) بهدف بناء محـل لبيـع اللحوم، وكانت مدة الإيجار تسعين سنة، بأجرة قدرها ٨١٠ قرش(١٧٨). واشـترى على بن محمد بن أحمد البوسنى القصاب برشيد من سليمان بن رخا مكانـًا قبلـى الثغر به حجرتان بثمن قدره عشرون قرشًا ونصف، وقام المشترى بتحويل هـاتين الحجرتين إلى محل مجهز لبيع اللحوم(١٧٩).

ومن الجزارين المشهورين برشيد جعفر بن محمد البوسنى الذى اسـتأجر من عبدالله بن محمد العنتبلى اثنى عشر قيراطًا لمدة ثمانية عشر عامًا وسبعة أشهر

وأربعة وعشرين يومًا وبلغت قيمة الإيجار ١٣٠ دينارًا، كما استأجر من أحمد أغا بن حسين بن أحمد البوسنى أربعة قراريط، وأربعة أخماس قيراط لمدة تسعين سنة، وكان ثمن الإيجار لتلك الحصة ٦٠ دينارًا، وكانت هاتان الحصتان تقعان بالناحية البحرية لثغر رشيد بخط يوسف جوربجى الحمامى، وقد أشار المستأجر بأنه سيقوم بتخصيص هاتين الحصتين لإنشاء محال لمزاولة مهنة الجزارة، وكذلك لإنشاء حظائر لتربية الماشية لذبحها فيما بعد[١٨٠].

وفى عام (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) اشترى محمد بن صالح البوسنى القصاب من أحمد ومصطفى ابنا مصطفى أبوحطب، ومحمد بن محمد بن إبراهيم أبوحطب حظيرة ماشية خربة برشيد بثمن قدره عشرة ريالات ونصف[١٨١]. ومن المؤكد أن المشترى سيقوم بإعادة بناء تلك الحظيرة ليربى فيها ماشيته، على أن يقوم بذبحها فيما بعد.

كما يلاحظ وجود شركاء فى تلك الحرفة؛ فقد كان إبراهيم بن عبدالله البوشناق من طائفة مستحفظان شريكًا لمصطفى جوربجى طائفة عزبان فى محل للجزارة، وقد حدث خلاف بينهما حول الربح، وعليه تم فض الشركة[١٨٢].

أما عن حرفة **الخياطين** فكان منهم المنجدون، والرفاءون، والغزالون، وخياطو القمصان، وأغطية الرأس للرجال والنساء، وكانوا يزاولون عملهم فى حوانيت خاصة بهم[١٨٣] ، من هؤلاء أن صالح البوسنى الذى كان يمتلك حانوتًا معدًا ومجهزًا للحياكة ببولاق، علاوة على أنه كان يتاجر فى القماش والحرير بهدف التجارة وتدعيم حرفته[١٨٤] ، وفى عام (١١١٦هـ/ ١٧٠٥م) اشترى مصطفى بن موسى البوسنى الخياط من كل من بلقيس بنت عبدالله، وعائشة بنت عبدالله مكانًا بثغر رشيد يشتمل على قاعة معدة للحياكة، علاوة على دار سفلية يعلوها دور علوى بثمن قدره ٣٧٠٥ قرش[١٨٥] ، كما اشترى سنان البوسنى الخياط من حسن بن عبدالله حصة قدرها اثنان وعشرون قيراطًا من الناحية القبلية لثغر

رشيد، وكان بتلك الحصة محل للحياكة، علاوة على قاعتين سفليتين يعلوهمـــا دور علوى به ثلاث غرف بثمن قدره ١١١٠٠ نصف فضة، وقد قبض البـــائع المبلـــغ جملة واحدة[١٨٦]. وكان جمعة البوسنى يمتلك محلاً للخياطة بخـــط الموســـكى[١٨٧] بالقاهرة، وبجوار هذا المحل سكنه الخاص به[١٨٨].

ونلاحظ أن البوسنيين كانوا يحرصون على أن تكون محال الحياكة داخـــل مساكنهم، أو بالقرب منها، حتى يسهل عليهم ذلك مزاولة الحرفة بدلاً من أن يكون المحل فى مكان والسكن فى مكان آخر.

أما حرفة **النجارين** فنلاحظ أن القائمين عليها، لم يكن لهم ورش يعملـــون بها، وإنما كانوا يعملون فى المنازل، وقد تخصصوا فى صناعة الأثـــاث، أو مـــا يدخل فى بناء البيوت، مثل نجارة البيوت، والنوافـــذ الداخليـــة ذات المـــشربيات، والمشربيات، والأقفال الخشبية[١٨٩].

وهناك بعض الوثائق التى تشير إلى دور البوسنيين فى تلك الحرفة منها أن عثمان بن محمد البوسنى النجار فى الأثاث شارك إيواظ بن محمد الـــضارى فـــى شراء صفقة أخشاب مناصفة بثمن قدره ٨٠,٠٠٠ نصف فضة[١٩٠]. ومن المؤكد أن عثمان بن محمد سيخصص نصيبه فى تلك الصفقة لاستخدامها فى صناعة الأثاث. ومن نجارى الأثاث أيضًا إبراهيم بن عبدالله البوشناق الذى قام بشراء كميـــة مـــن الخشب الرومى قدر ثمنها بـــ ٩٠١٦ نصفًا فضة، لاستخدامها فـــى حرفتـــه[١٩١]. وكان من بخارى البيوت برشيد عبدالله بن على البوسنى[١٩٢] ، وبالإسكندرية محمد بن صالح البوسنى[١٩٣].

هذه هى أهم الحرف التى زاولها البوسنيون، وهى حرف ذات أهمية كبيرة والتى لا غنى لأى مجتمع من المجتمعات.

ثالثًا: من مظاهر الحياة الاجتماعية للبوسنيين.

١- بعضًا من أوجه العلاقات الاجتماعية للبوسنيين.

تمثل ذلك فى علاقاتهم بغيرهم، وببعضهم البعض، مما يدل على تأثرهم وتأثيرهم فى المجتمع المحيط بهم؛ ومن هؤلاء محمد طورنه بن حسن البوسنى، والذى كان من أعيان التجار بوكالة محمد باشا، وقد بلغت تركته بعد حصرها ٣٥٨١٩ قرشًا(١٩٤) وقبل وفاته اختار محمد بن إبراهيم وصيًا على تركته، وكان المستحق لميراثه زوجته كريمة بنت عبدالله، وفى أولاد عم أبيه اسحاق، ومرتضى المقيمين بمصر، وأخوتهم المقيمين فى البوسنة، ولما لم ينجب هذا الرجل فقد خصص جزءًا من تركته لمن حوله والمقربين إليه، فقد أوصى أن يخصص (٢٥٠٠) قرش من تركته لكل من إسماعيل، وخليل، وحسن الجورجيين، على أن يخصص للأول والثانى ألف قرش مناصفة بينهما، ويخصص للأخير الباقى، وكذلك يدفع لعائشة وكلستان الروسيتين، واللتان كانتا فى خدمته خمسمائة قرش مناصفة بينهما، كما خصص للوصى ألف قرش، كما يمنح كل من إسماعيل البوسنى خمسمائة قرش، وحسن البوسنى عشرة آلاف نصف فضة – يعادل كل قرش ثلاثين نصف فضة – وخصص لأحمد النمساوى الجنس، وهو المسئول عن تدبير أموره خمسة عشر ألف نصفًا فضة، كما أوصى أن يكون نصف ما هو موجود بسكنه لمعتوقه حسن بن عبدالله، والنصف الآخر لزوجته، والباقى من التركة يقسم حسب الشرع على زوجته وأقربائه(١٩٥). كما كانت بين مصطفى البوسنى وحسين بن إبراهيم الإسلامبولى علاقة طيبة، لذا اختاره وصيًا على تركته كى يقوم بضبطها، ويخصص منها جزءًا لتجهيزه وتكفينه، وسداد ما عليه من ديون بعد وفاته، ويحتفظ بالباقى لورثته المقيمين بمصر(١٩٦).

كما كان بعض البوسنيين يحرصون على أن تكون هناك روابط بينهم وبين طبقة الأشراف(١٩٧) لاكتساب وضع اجتماعى متميز، من هؤلاء إبراهيم البوسنى الذى كان متزوجًا من الشريفة آمنة ابنة الشريف حسين، وأنجبت منه خديجة، وبعد وفاته تم تكليف سلامه بن عبدالواحد لضبط تركته، على أن يقوم بتوزيع ما تبقى منها على زوجة المتوفى وابنته، وعلى شقيقته فاطمة المقيمة بالبوسنة(١٩٨).

وعلى عكس ما سبق حدث خلاف بين حسن على جلبى بن إبراهيم البوسنى وبين معتق والده سليمان أفندى، الذى كان وصيًا على حسن جلبى وأخيه عثمان الأبله، وقد طالبه حسن جلبى بما يخصه من مخلفات والده، وكذلك ما يخص أخيه عثمان، وقد اعترف سليمان أفندى بوصايته على حسن وأخيه بموجب حجة شرعية، وأنه لن يدفع له من مال أخيه شيئًا حتى لا يبدده - كما تصور الوصى - وقد طال بينهما الخلاف حول ذلك، وقد عرض حسن جلبى الأمر على علماء الإسلام، على اعتبار أنه الأحق على أخيه بالوصاية من سليمان أفندى، لأنه كان يعتقد أن الأخير يستولى على جزء من ميراث أخيه الأبله، وعليه أقر العلماء بحق حسن جلبى بوصايته على أخيه(١٩٩).

كما كانت هناك علاقات بين البوسنيين وبعضهم، وظهر ذلك واضحًا من خلال توكيل بعض البوسنيين لذويهم باستخلاص حقوقهم، فعلى سبيل المثال اعترف عبدالله بن يوسف البوسنى من طائفة مستحفظان الوصى على تركة إبراهيم بن يوسف البوسنى أنه تسلم من على جلبى بن محمد من طائفة مستحفظان مبلغ مائة وأربعة وخمسين دينارًا، وكان ذلك المبلغ بذمة الأخير لإبراهيم بن يوسف البوسنى أعطاه له وهو على قيد الحياة، وقد تعهد الوصى بإيصال ذلك لورثة المتوفى(٢٠٠)، كما اطمأن صالح بن مصطفى البوسنى - المقيم بالبوسنة - لجعفر بن أحمد البوسنى وكلفه باستخلاص ما يؤول إليه شرعًا من إرث ابن عمه على بن حسن

البوسنى المتوفى برشيد، وكلفه ببيع كل ما يخصه، وإرساله للبوسنة، لأن المتوفى لم تكن له ذرية ترثه[٢٠١]. وكان حسن بن محمد البوسنى قد توفى، وله وصى على تركته هو محمد بن صالح البوسنى، وكان المستحق لميراث المتوفى شقيقة إبراهيم، وعليه قام الأخير بتوكيل الوصى لحصر التركة، وخصم الديون، والمصاريف من تجهيز وتكفين المتوفى، وما يتبقى بعد ذلك يوصله له[٢٠٢].

وأحياناً قد يحدث ادعاء لاستخلاص مبلغ ما، فقد ادعى يوسف بن عبدالله البوسنى على محمد بن صالح البوسنى الوكيل الشرعى عن زوجته عائشة بنت عبدالله البيضاء معتوقة إسماعيل البوسنى، ويرجع ذلك الخلاف إلى أن يوسف بن عبدالله قد أنفق على زوجة المدعى عليه فى مدة سنتين سابقة على تاريخه، سبعة عشر ألف نصف فضة، نظير ملبس، ومأكل، ومشرب، وغيره من المصاريف، وبناء عليه فهو يطالب بذلك المبلغ، ولما سئل المدعى عليه عن ذلك أجاب بأن زوجته كانت تخدم المدعى فى المدة المذكورة، خلاف أنها خدمت ابنته فاطمة سبع سنوات، وابنه محمد سنة واحدة، وعليه فهذا المبلغ نظير ذلك، وقد طال النزاع بين الطرفين، بعدها دخل بينهما جماعة للصلح، وأقنعوا المدعى بالتنازل عن دعواه، بعد أن أقنعوه بأن المبلغ يعادل فى قيمته خدمتها للمدعى وابنيه، وقد تم الاتفاق على ذلك[٢٠٣].

ويظهر من ذلك أن البوسنيين كانت تربطهم ببعضهم البعض، وبمن حولهم علاقات طيبة لحد كبير، بدليل أن الدعاوى القضائية كانت بسيطة، وكانت تحل فى نهاية الأمر باتفاق الطرفين.

٢- الأوقاف:

يعد الوقف ظاهرة اجتماعية اقتصادية لعبت دورًا بارزًا فى حركة المجتمعات الإسلامية، ومنها مصر التى انتشر بها نظام الوقف انتشارًا واسعًا، وقد

تعددت الموقوفات من بيوت وحوانيت، ووكالات، وأدوات إنتاج (معامل وأفـــران) وحدائق وبساتين، وأطيان زراعية[٢٠٤]. وينقسم الوقف إلى قسمين: الأول الوقـــف الخيرى وهو ما يصرف فيه الريع من أولى الأمر إلى جهـــة خيريـــة كـــالفقراء، والمساجد، والأخير هو الوقف الأهلى وهو ما جعل استحقاق الريع للواقف نفسه، أو لغيره من الأشخاص المعنيين بالذات أو الوصف، سواءً أكانوا أقارب الواقـــف، أو غيرهم، ثم من بعد ذلك يكون لجهة خيرية[٢٠٥]. وقد شملت الأوقاف معظم القاطنين بمصر ومنهم البوسنيون.

وقد شارك البوسنيون فى الأوقاف، إما عن طريق تعيينـــهم نظـــارًا علـــى الوقف، أو تخصيص ما يملكونه أو جزء منه كوقـــف علـــى أنفـــسهم، وذويهـــم، وعتقائهم، وعلى كافة أعمال الخير من مساجد، ومقامات أولياء، وفقراء ومـــساكين .. وغير ذلك.

أما بالنسبة للنظارة على الوقف فهناك بعض الأمثلة التى توضح دورهم فى ذلك منها أن إبراهيم بن عبدالله البوسنى التاجر، كان ناظرًا علـــى حاصـــل بخـــط الخميس بدمياط، وهو تابع للأوقاف السلطانية بمصر، وقام بتأجير ذلك الوقف لنفسه لمدة سنة، على أن يدفع لجهة الوقف مائة وعشرين نصفًا فضة[٢٠٦]. وكان مصطفى بن عبدالله السلانيكى – من أعيان التجار برشيد – قد أوقف وكالة وعدة حوانيـــت، وعين محمود البوسنى ناظرًا على ذلك الوقف، وقام الأمير بتأجيره لبعض التجار، وخصص الريع الناتج من ذلك الوقف على الفقراء والمساكين بنـــاء علـــى أمـــر الواقف[٢٠٧] كما كان أحمد بن مصطفى البوسنى ناظرًا على الأوقاف المخصـــصة لجامعى الرباط والصلاحى برشيد، وقام بالتنازل عن نظارة ذلك الوقـــف للأميـــر مصطفى أغا كتخدا الجاويشية نظير ستة آلاف نصف فضة، وتعهد الأخير بالاهتمام بهذين الجامعين بالإنفاق عليهما من عمارة وترميم وأجرة عاملين، وذلك من ريـــع الأوقاف المخصصة عليهما[٢٠٨]؛ والتى قد تكون أراضى أو وكـــالات وحوانيـــت،

وربما يرجع تنازل أحمد بن مصطفى البوسنى عن نظارة الوقف لأنها مهمة شـاقة عليه، إذا علمنا أن الإنفاق على المساجد وخدمتها يحتاج لجهد كبير، وخاصة أنـه تنازل عن نظارة الوقف برغبته.

وقد يحدث أحياناً خلاف بسبب الجزء المخصص على الوقف، ويلجأ ناظر الوقف وخصومه للقضاء، ومن أمثلة ذلك الشيخ محمد البوسنى الناظر على وقـف زاوية[٢٠٩] أولاد البحيرى قبلى ثغر رشيد، وقد ذكر فى شكواه أن محمد وأحمد ابنى حسن بن عنتر، وسليمان ومحمد بهاء الدين ابنى يوسف السالمى اعتدوا على قطعة الأرض المخصصة لذلك الوقف، ولكن المدعى عليهم أحضروا حجتـين أثبتتـا أن قطعة الأرض هذه جارية فى ملكهم، وعليه أصدر القاضى حكمـا بمنـع محمـد البوسنى من معارضة المدعى عليهم علـى اعتبـار أنهـم أصـحاب حـق[٢١٠]. ونستخلص من ذلك أن قطعة الأرض التى كانت وقفاً على تلك الزواية كانت بدون سند شرعى.

ومن الملفت للنظر دخول بعض النساء مجال النظارة على الأوقاف؛ فقـد كانت أم هانئ ابنة عثمان بن إبراهيم البوسنى ناظرة شرعية على وقـف والـدها ببولاق وهو عبارة عن حواصل وقاعات سفلية وعلوية على أن يؤجر ذلك الوقف، وينفق ريعه على طلبة العلم والفقراء والمساكين[٢١١].

أما عن وقفيات البوسنيين؛ فكانت على أنفسهم وذويهم وكافة أعمال الخيـر – كما أسلفنا– من ذلك أن أيوب بن أحمد بن إبراهيم البوسنى جـوربجى طائفـة مستحفظان، قد أوقف إيجار مكان غربى ثغر رشيد، والذى كان يشتمل على ثلاث قاعات، وثلاث غرف، بالإضافة لدهليز، ومطبخ، وحمام، ومرحاض، وقد أوقفـه على نفسه ما دام على قيد الحياة، ثم من بعده على ولديه عبـدالرحمن وخديجـة، وعلى ذريتهما إلى حين انقراضهم، وأمر الواقف أن يصرف جزء من ريـع ذلـك الوقف على زاوية بركات بحرى ثغر رشيد، فإن تعذر ذلك كان ذلك الجزء وقفـا

على الفقراء والمساكين الموجودين بالثغر. وقد عين الواقف نفسه ناظرًا على الوقف، ثم تكون النظارة بعد ذلك لولديه من بعده ثم على أولادهم إلى حين انقراض تلك الذرية[٢١٢]. كما أوقف حسن بن سليمان البوسنى ربع إيجار قاعة حياكة، وغرفتين على نفسه مدى الحياة، ثم من بعد ذلك على والدته عائشة بنت حسن البوسنى، ثم على أولاده ذكورًا وإناثًا إلى حين انقراضهم، فإذا انقرضوا كان ذلك وقفًا على أخته لأمه خديجة ابنة على اللقانى، ثم على أولادها ذكورًا وإناثًا، وإذا انقرضوا جميعًا يخصص ربع الوقف لصالح الحرمين الشريفين، والفقراء والمساكين الموجودين بثغر رشيد، وقد جعل الواقف نفسه ناظرًا على الوقف هو ومن ذكر من أقاربه على الترتيب السابق[٢١٣] ، ولصالح الحرمين الشريفين أوقف محمد البوسنى إيجار مكانين بخط الربابات بثغر رشيد يشتملان على قاعات، وغرف، بكافة المنافع[٢١٤].

ومن الوقفيات الكبيرة للبوسنيين وقفية سنان بن على البوسنى جوربجى مستحفظان؛ والتى اشتملت على وقفيات عديدة منها أنه أوقف مكانًا بحرى ثغر رشيد يشتمل على أربعة حواصل، وأربعة منازل بالمنافع، كما أوقف مكانًا من إنشائه يشتمل على صهريج معد لتخزين الماء العذب، وثمانية حواصل، يعلو كل حاصل طابق، معد لسكن التجار، وأوقف كذلك مساحة من الأرض مزروعة بأشجار النخيل، وقد أوقف ذلك على نفسه ما دام على قيد الحياة، فإن توفى كان ذلك وقفًا على ما سيرزقه الله تعالى به من الأولاد ذكورًا وإناثًا إلى حين انقراضهم، وإذا حدث ذلك، أو مات الواقف ولم يعقب يكون نصف ذلك الوقف وقفًا شرعيًا على إبراهيم بن بيرم البوسنى، ثم على ذريته من بعده ذكورًا وإناثًا إلى حين فنائهم. أما النصف الثانى فيكون وقفًا على من يوجد من عتقاء الواقف ذكورًا وإناثًا، وذريتهم إلى حين انقراضهم. وإذا انقرضت ذرية إبراهيم بن بيرم يكون النصف الموقوف عليهم؛ وقفًا على عتقاء الواقف وذريتهم مضافًا إلى ذلك النصف المستحق

لهم. وبالعكس إذا فُنى العتقاء وذريتهم كان النصف المخصص لهم وقفًا على إبراهيم بن بيرم وذريته – ربما للعلاقة القوية بين الواقف وإبراهيم بيرم – وإذا انقرضت ذرية إبراهيم بن بيرم، والعتقاء خُصص هذا الوقف على الحرم النبوى الشريف، وإن تعذر الصرف لتلك الجهة، كان ذلك وقفًا على الفقراء والمساكين أينما وجدوا. واشترط الواقف أن يكون هو الناظر على الوقف طوال حياته، ثم بعد ذلك الأرشد فالأرشد من أبنائه إلى حين فنائهم، ثم يكون النظر فيما بعد لإبراهيم بن بيرم، ثم الأرشد فالأرشد من أبنائه. وإذا صار الوقف لصالح للحرم النبوى يكون الناظر عليه ناظر وقف الحرمين الشريفين، أما إذا صار الوقف لجهة الفقراء والمساكين تكون النظارة على الوقف للحاكم الشرعى الحنفى بثغر رشيد. كما وضع شرطًا آخر ينص على يكون من حقه وحده التغيير والتبديل لنظارة الوقف(٢١٥).

وأوصى الواقف أن يصرف من ريع الوقف كل سنة عشرون قرشًا للإنفاق على الصهريج المذكور سلفًا، ويصرف كذلك لثلاثة صهاريج أحدهما بمقام الولى العارف بالله محمد أبو النظر، والثانى بمدفن المرحوم محمد أبى السعادات، والأخير بوقف إبراهيم أغا خمسة عشر قرشًا كل سنة، ويخصص كذلك اثنا عشر قرشًا لشراء نجور لملء الصهاريج، ويصرف لمن يقوم بملء الصهاريج وتنظيفها اثنا عشر قرشًا. كما خصص الواقف من ريع الوقف كل سنة أربعة وعشرون قرشًا لأربعة أفراد من حفظة القرآن الكريم يقرأون بعد عصر كل يوم بمنزل الواقف ما تيسر لهم من القرآن الكريم، ويهدون ثوابه للواقف، وأيضًا يصرف فى شهر رمضان من كل عام خمسة عشر قرشًا للقراء الموجودين بمسجد وضريح على المحلى، وضريح محمد أبوالنظر(٢١٦).

واستكمالاً لتلك الوقفية فقد أوقف سنان البوسنى مكانًا قبلى ثغر رشيد يحوى وكالة وأربعة حوانيت، وسبعة حواصل، وقهوة، ومكان معد لدق البن. وفى الناحية البحرية من ثغر رشيد أوقف عدة حواصل، يخط مسجد وضريح على المحلى

أوقف ثلاثة حصص الأولى ستة قراريط وتشتمل على وكالة، وحوانيت، وحواصل، ومنزلين، والثانية ثلاثة قراريط تشتمل على حواصل، ومنزلين، والأخيرة اثنا عشر قيراطًا بها سيرجه، ومكان معد لتبييض الأرز، بالإضافة إلى ربعين أحدهما شرقى، والآخر غربى، فالشرقى به ثمانية منازل، والغربى به ستة عشر منزلاً، وفوق كل منزل مما سبق طابق علوى، وقد أوقف كل ذلك على النص والترتيب المشروحين سلفًا على أن يخصص من ريع ذلك الوقف كل سنة عشرة دنانير للمؤذنين بـــالحرم النبوى، وخمسة عشر دينارًا للشيخ الزمزمى شيخ الحرم المكى، ويصرف أيضًا كل سنة عشرة قروش لعمارة وترميم مدفن أبى السعادات، علاوة على عشرة قـــروش فى شهر رمضان لشراء خبز لفقراء الثغر، وكذلك يتم تخصيص مائة وثمانين نصفًا فضة لمسجد الجندى برشيد، وألف ومائتى نصف فضة لجهـــة وقـــف الحـــرمين الشريفين، بالإضافة إلى أربعين نصفًا فضة لصالح وقف الوزير محمد باشا (قـــول قران) [٢١٧] ، وتثبت تلك الوقفية مدى ثراء هذا الرجل، والمكانة الاجتماعية التـــى تمتع بها، وتدل أيضًا على أنه رجل خيِّر.

واستمرارًا لوقفيات البوسنيين كان حسن بن محمـــد البوســـنى لـــه وقفيـــة بالإسكندرية عبارة عن مكان يحوى منـــزلاً كبيـــرًا، ووكالـــة، وعـــدة حوانيـــت، وحواصل. وقام بتخصيص جزء من هذا الوقف لكافة أعمال الخير، والجزء المتبقى خصصه لأخيه إبراهيم كوقف عليه[٢١٨]. ولصالح مقام سيدى جـــابر الأنـــصارى بالإسكندرية أوقف صالح البوسنى مبلغًا سنويًا على هذا المقام – والذى لـــم تحـــدد الوثيقة قيمته – لمن يقوم بتلاوة القرآن فيه[٢١٩].

وتنبغى الإشارة أن نظام الوقف قد أعطى البوسنيين سواء أكانوا نظارًا، أو واقفين وضعًا اجتماعيًا متميزًا.

وخلاصة القول ساهم البوسنيون بدور واضح فى شئون مصر فى العصر العثمانى؛ فمن الناحية الإدارية والعسكرية وصلوا لأرقى المناصب، مما يعطى ذلك مؤشرًا على قوة نفوذهم، والذى يرجع بدوره لوضعهم الاقتصادى الذى اكتسبوه عن طريق التجارة، وأحيانًا الالتزام، مع ملاحظة أن معظم نشاطهم الاقتصادى تركــز فى رشيد، والإسكندرية، ودمياط، والقاهرة، مع تركزه بصورة واضحة فى رشــيد التى فاقت أهميتها الاقتصادية مثيلاتها.

وتكشف العلاقات الاجتماعية للبوسنيين، وبعض الأوقاف الخاصة بهم عن مدى تأثرهم بالمجتمع المحيط بهم، فلم يعيشوا فى عزلة عنــه بــل عملــوا علــى الاختلاط بهم.

كما ظهر من الحديث عن نشاطهم الاقتصادى وحياتهم الاجتماعية أنه لــم تكن لهم مشاكل كثيرة، وإن وجدت كانت تحل بصورة ودية مما يدل علــى مــدى تأثير النــزعة الإسلامية فيهم، والعلاقات الطيبة التى كانت تربطهم بغيرهم.

الملاحق

ملحق رقم (١)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد).

- سجل رقم (١٠٩)، ص٣٧١، مادة ٥٥٧، بتاريخ ٢٥ جماد أول ١١١٦هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٧٠٤هـ.

- موضوع الوثيقة: دعوى بسبب تجارة أرز من بوسنى على اثنين من التجار المصريين.

لدى سيدنا ومولانا محمد أفندى دامت فضائله.

ادعى حاوى المحامد أحمد جوربجى طائفة مستحفظان المعروف ببشناق على مولانا الشيخ أحمد العدل بناحية فوه ابن المرحوم عمر والمكرم قاسم الجزيرى الحاضرين معه بالمجلس أن المدعى عليهما المذكورين من نحو أربع سنوات تقدمت على تاريخه أدناه اشتريا منه وهو بديروط ستين إردبًا من الأرز الشعير بوزن ديروط المعتاد بمبلغ قدره من الفضة العددية ثمانية عشر ألف نصف فضة ثمنًا باقيًا بذمتهما سوية إلى أجل معين، وضمن كل منهما الآخر ذمة ومالاً قيمة ما خصه من الثمن المذكور وهو تسعة آلاف نصف فضة وتسلم المشتريان المذكوران الستين إردبًا المذكورة سوية بينهما، كما ذلك ما هو معين بحجة مكتبتة بمجلس الشرع بديروط، ثم مضى الأجل المشار إليه أعلاه، ثم دفع الشيخ أحمد المدعى عليه المذكور للمدعى المذكور وهو تسعة آلاف نصف فضة على يد افتخار التجار المكرمين الحاج محمد الفوى وهو القدر الذى خص الشيخ أحمد المذكور من مبلغ الثمن المذكور، ويطالبهما بالتسعة آلاف الباقية من الثمن المذكور. وبسؤالهما عن ذلك أجابا بأنهما لم يشتريا منه الستين إردبًا المذكورة، ولم يكتب الحجة التى ذكرها

وإنما اشتريا منه ستة وثمانين إردبًا من الأرز الشعير بوزن ديـــروط كـــل إردب بتسعة قروش جملة ثمن ذلك ثلاثة وعشرون ألف نصف فضة ومائتان وعـــشرون نصفًا فضة. ودفعا له من ذلك حين ذاك خمسة آلاف نصف فضة ومائتين وعشرين نصفًا فضة. وصار الباقى بذمتهما ثمانية عشر ألف نصف فضة حسبما ذلك ما هو معين بتمسك شرعى مكتتب بخط الشيخ أحمد المذكور ومؤرخ بسابع عشر شـــوال سنة اثنى عشرة ومائة وألف، ثم دفع الشيخ أحمد المذكور للمدعى المذكور تـــسعة آلاف نصف فضة التى اعترف بها، وبالإنكار للـــضمان المـــذكور، وبـــأن قاســـم المذكور من نحو ستة تقدمت على تاريخه قبض المدعى باقى المبلغ وهـــو تـــسعة آلاف نصف فضة. فلم يصدقهما المدعى المذكور على ذلك، وطلب منهما إثبات ما ادعياه من البراءة المذكورة فخرجا وعادا وأحضرا أربعة من الشهود، وأقـــام كـــل منهم شهادته بوجه المدعى المرقوم أعلاه بأنه من نحو سنة تقدمت علـــى تاريخـــه أدناه قبض وتسلم من قاسم الجزيرى المدعى عليه المرقوم ما خصه من باقى ثمن الأرز المذكور. وأقروا بأنه لا يستحق قبل المدعى عليهما حقًا مطلقًا. فعنـــد ذلـــك عرف مولانا أفندى المتداعى لديه أن أحمد جوربجى المدعى المذكور قبض ثمـــن الأرز كاملاً. وعليه فلا مطالبة له على أحمد من المدعى عليهما المذكورين بشىء من ثمن الأرز المذكور، ومنع المدعى من معارضة المدعى عليهما فى ذلك مـــن شىء، جرى ذلك وحرر فى خامس عشرى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائـــة وألف.

شهود الحال

الملحق رقم (٢)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد)
- سجل رقم (١٠٠)، ص٣٧٨، مادة ٤٣٦ بتاريخ ١٩ صفر ١١٠٥هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٦٩٣م.
- موضوع الوثيقة شركة لتجارة البن بين أحمد بن مصطفى البوسنى وحسين الأزمرلى.

لدى مولانا أفندى دامت فضائله.

ادعى فخر الأمثال المكرمين الحاج أحمد بن المرحوم مصطفى البوسنى على فخر السادة الأشراف محمد بن الشريف إبراهيم الساقزى الحاضر معه بالمجلس أنه كان بين المدعى وبين الحاج حسين الأزمرلى القاطن إذ ذاك بمدينة أزمير شركة فى بضائع وأسباب. وأنه أقام المدعى عليه وكيلاً عنه بتسلم ما يرسله الحاج أحمد المذكور ويرسله لمدينة أزمير للحاج حسين شريك المدعى المذكور. وأن المدعى المذكور أرسل للسيد محمد المذكور من تعلق الشركة المذكورة اثنتا عشرة فردة من البن القلب، ثم مات الحاج حسين المذكور فأرسل الوكيل المذكور لورثة الشريك المتوفى المذكور ست فردات من الاثنتا عشرة فردة من البن المذكور. ثم بلغ الحاج أحمد المذكور موت شريكه المذكور فأرسل الوكيل المذكور ألا يرسل الست فردات البن الباقية ولا شيئًا منها لورثة الشريك المذكور بل يبقيها عنده إلى أن يحضر أحمد المدعى المذكور بنفسه أو يرسل وكيلاً بحجة لقبضها منه، ثم وكل المدعى المذكور وكيلاً وكتب له حجة شرعية بالثغر. وأذنه أن يقبض الست فردات المذكورة من الشريف محمد فتوجه الوكيل الثانى إلى الوكيل الأول وطلب من الست فردات المذكورات فذكر له أنه أرسلها لورثة الحاج حسين الشريك المذكور بعد شهادة المدعى المذكور عن ذلك. والوزن عن الستة فردات المذكورة ستة وعشرون قنطارًا وأربعة وثمانون رطلاً الثمن عنها سبعمائة ريال وخمسة وخمسون ريالاً، يعدل كل ريال من ذلك ثلاثة وثلاثين نصف فضة ويطالبه بذلك.

وبسؤاله عن ذلك؛ أجاب بالاعتراف بتسلم جميع البن المذكور، وأنه أرسل الست فردات المذكورة أولاً لورثة الحاج حسين الشريك المذكور، ولما بلغه نهى الحاج أحمد المدعى المذكور له عن إرسال الست فردات الباقية لورثة الحاج حسين المذكور امتنع عن إرسالها، ثم عزم على التوجه إلى الحاج الشريف، ولم يأمن أن يبقيها ببلدها المذكورة، فأرسلها إلى ورثة الحاج حسين المتوفى المذكور وطال النزاع بينهما بسبب ذلك، والتمس كل من المتداعيين المذكورين من مولانا الحاكم الشرعى إجراء الحكم الشرعى على ذلك؛ فعرف الشريف محمد المدعى عليه أنه بمخالفته لأمر موكله صار ضامناً للست فردات بن المذكورة. وألزمه بذلك تعريفاً وإلزامًا شرعيين بطريقة الصحيح الشرعى بعد أن ثبت لديه مضمون ما شرح أعلاه بشهادة شهوده وصدوره لديه فى تاسع عشر شهر صفر الخير سنة خمس ومائة وألف.

شهود الحال.

ملحق رقم (٣)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد)
- سجل رقم (١٤٩)، ص١٩٨، ١٩٩، مادة ٢٤٤، بتاريخ ٢٥ ربيع آخر ١١٥٦هـ/ ١٩ يونيو ١٧٤٣م.
- موضوع الوثيقة: خلاف بين إبراهيم بن عبدالله البوشناق وعلى بن عبدالله حول جانب من رأس المال والربح فى تجارة النوشادر.

بين يدى مولانا أفندى دامت فضائله.

ادعى المكرم إبراهيم طائفة مستحفظان بن عبدالله الشهير بالبوشناق والتاجر فى النوشادر على المكرم على بن عبدالله أن المدعى عليه المذكور كان شريكًا للمدعى فى متجر للنوشادر بحق الثلث فى رأس المال، وبحق النصف فى الفائدة واستمر يتاجران فى النوشادر مدة أيام. وأنهما ضاع لهما جانب من الربح ورأس المال جهة رجل من النصارى يقال له فابرى ويطالبه بالحساب عن الشركة

المذكورة ويدفع ما عساه أن يظهر له قبله من الزيادة. ويسأل سؤاله عن ذلك فسئل المكرم على المدعى عليه المذكور عن ذلك. أجاب بالاعتراف بكونه كان شريكًا له طبق دعواه فى رأس المال والفائدة وأنه فى اليوم التاسع من شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين ومائة وألف صدر بينهما حساب بين جمع كثير من المسلمين ووصل لكل منهما حقه ماعدا ما هو باق لهما جهة فابرى النصرانى، وأنه متى تحصل منه شيء فلهما على سبيل الاشتراك فى المال الثلثان للمدعى والثلث للمدعى عليه، وأبرز المدعى عليه من يده تمسكًا فى خصوص ورود الحساب بينهما فى ذلك وقرأ بالمجلس فدل مضمونه على صدور الحساب بينهما، وصدور الإبراء بينهما أن كل منهما صار من يوم تاريخه لاحق له قبل الآخر بسبب الشركة المذكورة ما عدا ما هو لهما قبل فابرى النصرانى المذكور، فلم يصدقه المدعى المذكور على ذلك وطلب منه بينه تشهد له بذلك فخرج وعاد وأحضر كل من الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ حجازى الشهير بالعبسى، وفخر أمثاله الحاج عبدالله جاويش طائفة مستحفظان ابن المرحوم على، ويسألهما الشهادة عم يعلمانه من ذلك فأدى كل منهما شهادته على انفراد بوجه المكرم إبراهيم المدعى المذكور بأنهما حضرا صدور الحساب بينهما، وأن كل منهما أبرأ ذمه الآخر وعهدته وأمانته من كل شئ وفى كل شيء بصريح إقرارهما بذلك وكتب بينهما تمسك، وتسلم كل منهما نسخته يعلمان ذلك ويتحققانه الشهادة الشرعية ثم صدق المدعى المذكور على شهادتهما، وأبرز من يده التمسك وقرأ فوجد طبق نسخته التى بيد المدعى عليه المذكور؛ فعند ذلك عرَّف مولانا أفندى الموصى إليه المكرم إبراهيم المدعى المذكور أنه حيث صدرت بينهما البراءة بعد الحساب فإنه ممنوع من مطالبته بالحساب، ولا دعوى له عليه بذلك تعريفًا ومنعًا شرعيين بالطريق الشرعى، وحكم بوجب ذلك حكمًا شرعيًا بمقتضاة صار لا مطالبة للمدعى للمدعى عليه بهذه الدعوى، جرى ذلك وحرر فى خامس عشرى ربيع آخر من شهور سنة ست وخمسين ومائة وألف.

شهود الحال.

ملحق رقم (٤)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد)
- سجل رقم (١٠٣)، ص١٢٧، مادة ١٦٨، بتاريخ ٢٨ جماد أول ١١٠٦هـ/ ١٤ فبراير ١٦٩٥م.
- موضوع الوثيقة: تركة محمد طورنه بن حسن البوسنى



١٦٨

ملحق رقم (٥)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد)
- سجل رقم (١٠٣)، ص٧٩، مادة ١٠٣، بتاريخ ١١ ربيع ثاني ١١٠٦هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٦٩٤م.
- موضوع الوثيقة: وصية لمحمد طورنه البوسني بتوزيع أموال من تركته على المقربين إليه.

ملحق رقم (٦)

- دار الوثائق القومية (محكمة رشيد)
- سجل رقم (١٣٦)، ص٩٨- ١٠٢، مادة ١٤٥ بتاريخ غرة ذي الحجة ١١٤١هـ/ ٢٨ يونيو ١٧٢٩م.
- موضوع الوثيقة: وقفية سنان بن علي البوسني، والجهات التي تم الوقف عليها.

[illegible]

تابع الملحق رقم (٦)

تابع الملحق رقم (٦)

تابع الملحق رقم (٦)

[illegible]

تابع الملحق رقم (٦)

الحواشى

(١) محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، سلسلة بلدان العالم الإسلامى، رقم (١) القاهرة، ١٩٩٣، ص٩- ١٦.

(٢) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة/ عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح/ محمود الأنصارى، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٨٨، ص١١٧.

(٣) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ص١٥٣؛ نويل مالكوم: البوسنة، ترجمة/ عبدالعزيز توفيق جاويد، الألف كتاب الثانى، العدد (٢٧٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص٧٧.

(٤) **قائمقام:** هو الشخص الذى يقوم بعمل الباشا خلال فترة خلو منصبه لعزله أو وفاته؛ حتى قدوم باشا آخر، وفى بداية العصر العثمانى كان ذلك المنصب يسند إلى قاضى القضاة، أو الدفتردار، أى إنه كان عثمانيًا، ولكن نظرًا لازدياد نفوذ المماليك وسيطرتهم على المناصب الإدارية المهمة أصبح ذلك المنصب يسند إلى أحد البكوات المماليك، وفى معظم الأحيان كان الباشا المعزول هو الذى ينصِّبه، ويقر الباشا الجديد ذلك (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر فى العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨، ص١١٨- ١٢٠).

(٥) **أمير الحج:** اهتمت الدولة العثمانية اهتمامًا واضحًا بإمارة الحج، فقد حرصت على تعيين أمير للحج كل عام يخرج على رأس القافلة، وكان يتم تعيينه بموجب خط شريف يرسله السلطان على يد قابجى باشى؛ أو جوخدار؛ أو أغا، وكان حين وصوله لمصر يتجه إلى القلعة لتسليم الخط الشريف للباشا، بعدها يعقد الباشا جلسة الديوان للخلع على أمير الحج، وفى هذه الجلسة كان يقرأ كاتب الديوان الخط الشريف على من حضر من الأغاوات والصناجق، وجميع اختيارية السبع أوجاقات، وأمير الحج وطائفته، بعدها يخلع الباشا الخلعة على من عينه السلطان أميرًا للحج. وكان أمير الحج يحمل دائمًا رتبة الصنجقية، ويشار إليه بلقب بك، أو أمير، ونظرًا لمكانته التى حظى بها كانت له مهام إدارية، ومالية، وقضائية، واجتماعية، ودينية، وعسكرية فيما يتعلق بإمارة الحج (انظر: سميرة فهمى على عمر، إمارة الحج فى مصر العثمانية ٩٢٣ - ١٢١٣م./ ١٥١٧ - ١٧٩٨م، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٢٠١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٠٣- ١٠٩).

(٦) الدفتردار: هو صاحب الدفتر، وكان بمثابة وزيرًا للمالية، وعندما دخل العثمانيون مصر لم يكن معهم من يستطيع إدارة مصر ماليًا؛ لذا عهدوا للكتبة والموظفين الذين كانوا يعملون بالمالية قبل دخولهم مصر بإدارة الأمور المالية، فعينوا على كل إقليم متحدثًا ماليًا مملوكيًا، وكان يرأس هؤلاء المتحدثين ناظر الأموال، وكان أكبر معاونية هو أمين شهر؛ أى أمين المدينة؛ وهو المشرف على الأمور المالية بمدينة القاهرة، وقد تقرر هذا النظام فى قانون نامة مصر ولم يتغير حتى نهاية القرن السادس عشر، وعليه أحل العثمانيون عددًا من الكتبة الأتراك المرسلين من استانبول محل كبار المسئولين من المماليك، عندئذ حل لقب دفتردار محل لقب ناظر الأموال (انظر: أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٠١) معنى ذلك أن الدفتردار فى بداية العصر العثمانى كان شخصية عثمانية يعين لرئاسة الإدارة المالية فى مصر من بين رجال الخزينة السلطانية فى استانبول، ولكن بازدياد سيطرة البكوات المماليك على الإدارة فى مصر تمكنوا من شغل منصب الدفتردار (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٢٩٨، ٢٩٩).

(٧) الروزنامجى: الروزنامه كلمة فارسية تتكون من مقطعين "روز" بمعنى "يوم" "نامه" بمعنى "كتاب" فهى تعنى "كتاب اليوم" أو "دفتر اليومية" ثم أصبح معناها الديوان الذى يقوم بضبط وتحرير الحسابات فى الدفاتر الرسمية، وكان ديوان الروزنامة تابعًا للديوان الدفترى، ومهمته جمع الأموال الأميرية وصرفها فى وجوهها المختلفة تحت إشراف الديوان الدفترى، ونظرًا لتغيير نظام الأرض من الأمانات إلى الالتزام زادت إيرادات الخزينة، وعليه تم نقل إدارة الخزينة من الدفتردار إلى الروزنامجى، وكان الروزنامجى فى بداية العصر العثمانى يأتى من استانبول، وظل كذلك إلى النصف الثانى من القرن السابع عشر عندما سيطر عليه الأمراء المماليك، وكان الباشا هو الذى يعينه(انظر:
Shaw. S. J., Ottoman Egypt in the age of the French revolution; Cambridge, Massachustter, 1964, pp.107, 108؛ ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٣٠١- ٣٠٣.)

(٨) أمير الخزنة: عرف فائض واردات مصر على مصاريفها بالخزينة الإرسالية، وهو المال المرسل للسلطان، وقد اختص أحد البكوات الصناجق؛ ويعرف بأمير الخزنة بمصاحبة الأموال

المرسلة للسلطان، وكان هذا المنصب دوريًا يتولاه البكوات الصناجق بالتناوب كمنصب أمير الحج (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٣٥٧ وما بعدها).

(٩) عبدالكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ – ١٧٩٨) الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٦٨، ص٢٧٧.

(١٠) **السلحدار**: أنشئ هذا المنصب فى أيام بايزيد الأول (٧٩٢ – ٨٠٥هـ/ ١٣٨٩ – ١٤٠٢) وكان من أهم أعماله المحافظة فى داخل السراى على سيف السلطان، وبندقيته، وقوسه، ودرعه، علاوة على مصاحبته للسلطان فى رحلات الصيد، وعليه أثناء الصيد أن يعد المائدة السلطانية، وما زالت درجته تسمو حتى كان يعين – إذا ترك الخدمة فى السراى – فى درجة وزير، وكان القانون يقضى بترقية الجوخدار – وهو طبقًا للتسلسل الوظيفى يلى السلحدار – مباشرة إلى منصب السلاحدارية إذا شغر هذا المنصب، وكان السلحدار يرقى أيضًا إلى أغاوية الإنكشارية، وكان السلحدار يجتمع يوميًا بالسلطان، وقد ألغى هذا المنصب عام ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٠م، وألغيت أيضًا السلاحداريات الموجودة فى مكاتب الوزراء ورجالات الدولة (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص٢٧، ٢٨).

(١١) يوسف الملوانى الشهير بابن الوكيل: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب (٩٢٣ – ١١٣١هـ/ ١٥١٧ – ١٧١٩م) تحقيق/ إبراهيم يونس محمد سلطح، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الإسكندرية، قسم التاريخ، عام ١٩٨١، ص٢٣٢.

(١٢) أحمد الدمرداشى كتخدا غزبان: كتاب الدرة المصانة فى أخبار الكنانة فى أخبار ما وقع بمصر فى دولة المماليك من الصناجق والكشاف والسبعة أوجاقات وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف، تحقيق/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٤، ٢٦.

(١٣) أحمد شلبى بن عبدالغنى الحنفى المصرى: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٨، ص٢٦٤؛ يوسف الملوانى: المصدر السابق، ص٤٠٨.

(١٤) أحمد شلبى بن عبدالغنى: المصدر السابق، ص٢٩١.

(١٥) أحمد الدمرداشى كتخدا عزبان: المصدر السابق، ص١٥٤.

(١٦) يوسف الملوانى: المصدر السابق، ص١٩٨؛ أحمد شلبى بن عبدالغنى: المصدر السابق، ص١٥٥.

(١٧) أحمد شلبى بن عبدالغنى: المصدر السابق، ص١٨٢، ١٨٥؛ أحمد الدمرداشى كتخدا عزبان: المصدر السابق، ص٧.

(١٨) يوسف الملوانى: المصدر السابق، ص٣٠٢ * كان يوجد بيتين للقاسمية هما الشنبية الذى أسسه إبراهيم بك أبو شنب، والثانى الايواظية الذى أسسه ايواظ بك القاسمى، وكثيرًا ما دار الصراع بين هذين البيتين، لمزيد من التفاصيل (انظر: أحمد عبدالعزيز على عيسى، الصراع بين البيوتات المملوكية فى مصر العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب دمنهور قسم التاريخ عام ٢٠٠١، ص١٠٨- ١١٥).

(١٩) إبراهيم بن أبى بكر الصوالحى العوفى الحنبلى: تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق، تحقيق/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٩٤.

(٢٠) عبدالرحمن بن حسن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الأول، بولاق١١٩٧هـ/ ١٨٧٩ - ١٨٨٠م، ص١٢٤.

(٢١) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ٥٦٢- ٥٦٥.

(٢٢) يوسف الملوانى: المصدر السابق، صفحات ٢٧٧، ٣٥٨، ٣٥٩؛ عبدالرحمن الجبرتى: المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٤١.

(٢٣) عبدالرحمن الجبرتى: المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٧٦.

(٢٤) أحمد الدمرداشى: المصدر السابق، ص٦.

(٢٥) عبدالرحمن الجبرتى: المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٧٦.

(٢٦) **أوجاق:** معناه فى التركية الموقد والمدخنة، ثم أصبح يطلق على كل ما تنفخ فيه نار، فأطلق على البيت من وبر أو مدر، ثم أطلق على أهله، ثم على الجماعة تتلاقى فى مكان واحد، ثم أطلق على الطائفة من طوائف أرباب الحرف، وعلى الصنف من أصناف الجند (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص١٩٤).

(٢٧) الإنكشارية: تركية من الكلمتين (يكى) Yani بمعنى جديد، و(جرى) بمعنى عسكر؛ فيكيجرى تعنى العسكر الجديد، وهو جيش من المشاة كانت نواته من أهل الفتوة فى الأناضول، ثم اعتمد

على أبناء نصارى البلقان بعد تتريكهم وتنشئتهم على الإسلام (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص٣١). وقد عرف هذا الأوجاق فى الوثائق باسم مستحفظان قلعة مصر، حيث كان يسند إليه حراسة ممرات القلعة وضواحى القاهرة، وكانت الانكشارية تساهم بأكبر عدد من جنودها فى الإمدادات المطلوبة للسلطان، وكان هذا الأوجاق أقوى الأوجاقات وأكثرها عددًا، علاوة على سيطرتهم على دار الضرب، والالتزامات، وعنابر المؤن (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص١٨١- ١٨٣؛ عبدالكريم رافق، المرجع السابق، ص١٤٥).

(٢٨) **العزب**: وتعنى غير المتزوج، وهى فرقة من المشاة، وبعد دخول العثمانيين مصر أسندت إلى العزب مهمة حراسة ممرات القلعة، وضواحى القاهرة، فكان هذا الأوجاق يمثل مع الإنكشارية هيئة الدفاع الأساسية عن القلعة، ولذلك يشار إليه فى الوثائق باسم عزبان قلعة مصر. وقد أسندت إليه أيضًا الدفاع عن مصر، والاشتراك فى الإمدادات العسكرية التى يطلبها السلطان. وكان هذا الأوجاق يلى الإنكشارية فى الأهمية (انظر: Shaw., op.cit., pp.94- 95 ؛ ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص١٩٥، ١٩٦).

(٢٩) **الجاويشان**: تكون هذا الأوجاق بإعلان قانون نامه مصر (٩٣١هـ/ ٢٤- ١٥٢٥م) من بعض المماليك الذين كانوا فى الخدمة الشخصية للباشا، والمتخلفين عن الجيش المملوكى الذين أعلنوا ولاءهم للسلطان العثمانى، وقد حدد قانون نامه مصر اختصاصات الجاويشان بخدمة الباشا، والديوان العالى. وكان يحق للباشا ملء المناصب الخالية من الجاويشان برجال من الفرق الأخرى فيما عدا فرقتى= =الإنكشارية والعزب (انظر: قانون نامه مصر الذى أصدره السلطان القانونى لحكم مصر، ترجمة/ أحمد فؤاد متولى، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٧، م٧).

(٣٠) **الجنولليان**: تعنى المتطوعين، وأفراده من الفرسان الذين كان يعهد إليهم بتوطيد الأمن فى الأقاليم، ومنع البدو من تهديد المناطق الزراعية وطرق المواصلات، وقد أطلق على هذا الأوجاق اسم جمليان لاستخدام أفرادها الجمال (انظر: Shaw., op.cit, p.89).

(٣١) **أغا**: تركية من المصدر التركى أغمق، ومعناه الكبر وتقدم السن، وتطلق فى التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الخصى الذى يؤذن له بدخول غرف النساء (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص١٧) وقيل إنها من أصل منغولى ومعناه أمير كبير، ورئيس، وشريف، وخصى، وفى مصر فى العصر العثمانى كان اللقب يطلق على قادة الأوجاقات العسكرية (انظر: مصطفى بركات، الألقاب والوظائف والمصطلحات العثمانية، دراسة فى تطور

الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى إلغاء والخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات ١٥١٧ – ١٩٢٤م، دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٧٣، ١٧٤).

(٣٢) سردار: من الفارسية سر بمعنى الرأس، ودار بمعنى صاحب، والسردار القائد. وكان فى الدولة العثمانية سردارية صغار، فقد كان أغا الإنكشارية يعين سردارات يقومون بأمور الضبط والربط فى المراكز الصغيرة، وكان يقال للواحد منهم سردار الإنكشارية، وكان العثمانيون يطلقون (سردار علما) على أشهر العلماء وعلى معلم السلطان (انظر: أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ص١٢٧– ١٢٩).

(٣٣) جوربجى: تركية من الأصل الفارسى (شور) بمعنى لذيذ وملح و(با) بمعنى الطعام المطهو، وقد عرف لهذا اللقب استعمالان أولهما مدنى ويطلق على الأعيان فى المدن التركية الصغيرة الذين كان من واجبهم استضافة الأغراب المارين بهذه البلاد، أما الأخير فهو عسكرى وكان يطلق على قائد أورطة الإنكشارية، وقد عرف هذا الأوجاق داخل أوجاقات السباهية (الجنولليان – التفنكجيان – الجراكسة) وكذلك امتد إلى الأوجاقات الأخرى ومن أبرزها الإنكشارية (انظر: مصطفى بركات، المرجع السابق، ١٩٠، ١٩١).

(٣٤) أوده باشى: كان يرأس إحدى فرق الإنكشارية التى تقيم عادة فى أوده (غرفة) وكان يرأس الأوده باشية موظف يسمى باش أوده باشى (انظر: عبدالكريم رافق، المرجع السابق، ص٢٨٤؛ ليلى عبداللطيف، المرجع السابق، ص١٩١، ١٩٢).

(٣٥) محكمة رشيد: س٣٠، ص٢٢٢، م٨٨٣ بتاريخ ٢١ جماد أول ١٠١٤هـ/ ٤ أكتوبر ١٦٠٤م.

(٣٦) نفسه: س٨٩، ص١١١، م٢٢٤ بتاريخ ١٣ جماد أول ١٠٨٨هـ/ ١٤ يوليو ١٦٧٧م.

(٣٧) محكمة القسمة العسكرية: س٧٧، ص١٤٧، م١٨١ بتاريخ ٢١ شوال ١٠٩٣م/ ٢٣أكتوبر ١٦٨٢م.

(٣٨) محكمة رشيد: س١٠٠، ص٥٨٢، م٩٠٢ بتاريخ ١٠ ذى القعدة ١١٠٥هـ/ ٣ يوليو ١٦٩٤م.

(٣٩) محكمة القسمة العسكرية: س ٨٢، ص٣٨٨، م٥٣٢ بتاريخ ٢٠ شوال ١١١٠هـ/ ٢٢مارس١٦٩٩م.

(٤٠) الدشت: محفظة ٢٢٤، ص٦٢٩، مادة بدون رقم بتاريخ ٣ رمضان ١١٢٢هـ/ ٢٦نوفمبر ١٧٠٩م.

(٤١) الدشت: محفظة ٢٢٤، ص٦٠٧، مادة بدون رقم بتاريخ ٨ شوال ١١٢٢هـ/ ١١ديسمبر ١٧٠٩م.

(٤٢) نفسه: نفس المحفظة، ص٦٥٠، مادة بدون رقم بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١١٢٢هـ/ ١٩يناير ١٧١٠م.

(٤٣) محكمة قناطر السباع: س١٤٠، ص١٥٢، م٤٩٤ بتاريخ ١٨ جماد أول ١١٢٥هـ/ ١٢يونيو ١٧١٣م.

(٤٤) محكمة رشيد: س ١١٨، ص٥١، م٧٤ بتاريخ غاية ذى الحجة ١١٢٧هـ/ ٢٩ديسمبر ١٧١٥م.

(٤٥) نفسه: س١٤١، ص١٨٣، م٢٣٤ بتاريخ ١٤ شوال ١١٤٨هـ/ ٢٧ فبراير ١٧٣٦م.

(٤٦) نفسه: س١٥٥، ص٣٤٤، م٤٦٣ بتاريخ غاية محرم ١١٦٧هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٥٣م.

(٤٧) اسقاطات القرى: س٥، ص١٩، م٣٣ بتاريخ ١٦ ربيع آخر ١١٦٤هـ/ ١٣ مارس ١٧٥١م.

(٤٨) الدشت: محفظة ٢٧٠، ص٣٨٦ مادة بدون رقم بتاريخ ٩ شعبان ١١٧٣هـ/ ٢٥مايو ١٧٦٠م.

(٤٩) محكمة رشيد: س٩٥، ص٢٩١، م٦٦٦ بتاريخ ٦ شوال ١٠٩٧هـ/ ٢٦ أغسطس ١٦٨٦م.

(٥٠) نفسه: س١٠٠، ص٦٩٩، م١٠٦٩ بتاريخ ١٢ صفر ١١٠٦هـ/ ٢ أكتوبر ١٦٩٤م.

(٥١) اسقاطات القرى: س١، ص١٦، م٦٠ بتاريخ ١٣ ربيع ثانى ١١٤١هـ/ ١٦ نوفمبر ١٧٢٨م.

(٥٢) نفسه: نفس السجل، ص١٨٢، مادة بدون رقم بتاريخ ١٦ جماد آخر ١١٤١هـ/ ١٧يناير ١٧٢٩م.

(٥٣) نفسه: نفس السجل، ص١٧٨، مادة بدون رقم بتاريخ ١٥ جماد أول ١١٤٢هـ/ ٦ديسمبر ١٧٢٩م.

(٥٤) محكمة رشيد: س١٦٤، ص٤٨، م٥٤ بتاريخ ١٥ شعبان ١١٧٢هـ/ ٣ أبريل ١٧٥٩م.

(٥٥) محكمة القسمة العسكرية: س٧٧، ص١٤٧، م١٨١، بتاريخ ٢١ شوال ١٠٩٣هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٦٨٢م.

(٥٦) محكمة رشيد: س١٠٣، ص٧٩، م١٠٣ بتاريخ ١١ ربيع ثانى ١١٠٦هـ/ ٢٩نوفمبر ١٦٩٤م.

(٥٧) اسقاطات القرى: س١، ص١٧، م٦٤ بتاريخ ١٣ ربيع ثانى ١١٤١هـ/ ١٦ نوفمبر ١٧٢٨م.

(٥٨) محكمة رشيد: س١١٨، ص١٧٥، م٢٤٧ بتاريخ ١٤ جماد أول ١١٢٨هـ/ ٦ مايو ١٧١٦م.

(٥٩) محكمة إسكندرية: س٨٩، ص٢٩٩، م٣٩٤ بتاريخ غرة ذى القعدة ١١٧٣هـ/ ١٥يوليو ١٧٦٠م.

(٦٠) نفسه: نفس السجل، ص٣٢٢، م٤٢٣ بتاريخ أواسط ذى القعدة ١١٧٣هـ/ ٣٠ يوليو ١٧٦٠م.

(٦١) محكمة إسكندرية: س٧٥، ص٩٢، ٩٣، م١٠٥ بتاريخ ١٥ ذى القعدة ١١٤٨هـ/ ٢٧مارس١٧٣٦م.

(٦٢) محكمة رشيد: س٩٥، ص٩٤، م١٦٨ بتاريخ ٢٠ جماد أول ١٠٩٧هـ/ ١٧ أبريل ١٦٨٦م.

(٦٣) نفسه: س١٠٤، ص٤٧، م٧٤ بتاريخ ٢٥ جماد آخر ١١٠٨هـ/ ١٩ يناير ١٦٩٧م.

(٦٤) نفسه: س١٠٨، ص١٨٢، م٢٥٩ بتاريخ ١٥ رجب ١١١٣هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٠١م.

(٦٥) نفسه: س١٠٩، ص٣٧١، م٥٥٧ بتاريخ ٢٥ جماد أول ١١١٦هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٧٠٤م.

(٦٦) نفسه: س١١٢، ص١٤٤، م٢٢٠ بتاريخ ٢٦ ربيع أول ١١٢٠هـ/ ١٥ يونيو ١٧٠٨م.

(٦٧) نفسه: نفس السجل، ص٢٧٢، م٤٢٠ بتاريخ ١٧ شوال ١١٢٠هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٧٠٨م.

(٦٨) نفسه: س١٢٧، ص١٢٣، م١٨٦ بتاريخ ٩ رمضان ١١٣٤هـ/ ٢٣ يونيو ١٧٢٢م.

(٦٩) نفسه: س١٣٣، ص١٩٧، م٤٠٩ بتاريخ ٢٢ شعبان ١١٣٨هـ/ ٢٥ أبريل ١٧٢٦م.

(٧٠) نفسه: س١٣٦، ص٩٨- ١٠٢، م١٤٥ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٤١هـ/ ٢٨ يونيو١٧٢٩م.

(٧١) محكمة إسكندرية: س٩٢، ص٢٩٥، م٣٨٤ بتاريخ ١٥ صفر ١١٨١هـ/ ١٣ يوليو ١٧٦٧م.

(٧٢) اسقاطات القرى: س١، ص٢٠١، مادة بدون رقم بتاريخ ١٣ شعبان ١١٤٢هـ/ ٣مارس١٧٣٠م.

(٧٣) محكمة القسمة العسكرية: س٧٩، ص٦٣، م٩٩ بتاريخ ١٤ جماد أول ١٠٩٧هـ/ ٨أبريل١٦٨٦م.

(٧٤) اسقاطات القرى: س١، ص١٥٩، مادة بدون رقم بتاريخ غرة جماد أول ١١٤٢هـ/ ٢٢نوفمبر ١٧٢٩م.

(٧٥) محكمة القسمة العسكرية: س٨٢، ص٣٨٨، م٥٣٢ بتاريخ ٢٠ شوال ١١١٠هـ/ ٢٢ مارس ١٦٩٩م.

(٧٦) محكمة رشيد: س١٤١، ص٢٥، م٣٦ بتاريخ ٢٧ ربيع أول ١١٤٨هـ/ ١٦ سبتمبر ١٧٣٥م.

(٧٧) محكمة إسكندرية: س٩٢، ص٢٢٧، م٣١١ بتاريخ ١٠ ربيع ثانى ١١٨٠هـ/ ١٥سبتمبر١٧٦٦م.

(٧٨) الدشت: محفظة ٢٣٢، ص٢٤، مادة بدون رقم بتاريخ ١٢ ذى الحجة ١١٣٤هـ/ ٢٣سبتمبر ١٧٢٢م.

(٧٩) **الوكالات**: كانت تستخدم لتخزين البضائع والمنتجات قبل توزيعها على دكاكين البيع بالتجزئة، أو تخزين المنتجات التى كان يعاد تصديرها للخارج، أو إلى بقية أنحاء البلاد، وكانت هناك منتجات معينة يحتكر بيعها فى مكان محدد بالوكالات، حيث يخضع البيع لرسوم يقوم بجبايتها الملتزم. وكانت معظم الوكالات تتخصص فى بيع سلعة معينة. وكانت النتيجة لهذا التخصص أن التجار الذين كانوا من أصول إقليمية واحدة ويعملون فى تجارة معينة قد آثروا التجمع معًا بصورة طبيعية داخل نفس الوكالات. وكانت الوكالات علاوة على دورها تستعمل كمأوى للتجار الأجانب أو المصريين. (انظر: أندرية ريمون، الحرفيون والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر، الجزء الأول، ترجمة/ ناصر أحمد إبراهيم، باتسى جمال الدين، مراجعة وإشراف/ رؤوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، العدد (٨١٨)، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٤٢٧، ٤٢٨).

(٨٠) **الحوانيت**: كانت بمثابة خلايا النشاط الاقتصادى، حيث خصص لممارسة أعمال الطوائف الحرفية الصغيرة، أو لتجارة التجزئة، وهو مكان صغير مربع الشكل يبلغ ارتفاعه خمسة أو ستة أقدام، واتساعه بين ثلاثة أو أربعة أقدام، ويزود أحيانًا بغرفة أخرى تستخدم كمخزن للبضائع، وترتفع أرضية الحانوت بمقدار قدمين أو ثلاثة عن مستوى الأرض، وغالبًا ما يمتد خارج واجهة الحانوت مصطبة لتكون مقعدًا مبنيًا بالحجر أو الطوب وعليها يجلس التاجر وزبائنه لعقد الصفقات (انظر: أندرية ريمون، الحرفيون، الجزء الأول، ص٤٤٣، ٤٤٤).

(٨١) **شختور**: جمعها شخاتير، وكانت تستخدم فى البحر المتوسط والنيل، وكان عملها فى النيل يقوم على نقل البضائع والركاب، وفى النزهات والأعياد (انظر: درويش النخيلى، السفن الاسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤، ص٧٤، ٧٥).

(٨٢) الدشت: محفظة ١٠٠، ص٢٧٦، مادة بدون رقم بتاريخ ١٦ ربيع أول ٩٩٥هـ/ ٢٤فبراير ١٥٨٦م.

(٨٣) **غراب**: الجمع أغربة وغربان وهى من المراكب الحربية التى استعملها المسلمون والفرنج فى العصور الوسطى، وهى من أهم سفن الأسطول العثمانى، ومنها الصغير والكبير، وكانت تستخدم أيضًا فى نقل الأشخاص والسلع (انظر: درويش النخيلى، المرجع السابق، ص١٠٩– ١١٢).

(٨٤) محكمة رشيد: س١٥، ص٢٤٨، م٤١٥ بتاريخ ١٣ صفر ٩٩٦هـ/ ١٣ يناير ١٥٨٨م.

(٨٥) شايقة: جمعها شايقات، وهى سفينة شراعية من نوع ثقيل استعملها الأتراك واليونانيون والإيطاليون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فى نقل الأشخاص والبضائع، واستخدمت كإحدى القطع الحربية (انظر: درويش النخيلى، المرجع السابق، ص٦٤).

(٨٦) محكمة رشيد: س١٠٩، ص٨٦، م١٤٥ بتاريخ ٢٢ ربيع أول ١١١٥هـ/ ٥أغسطس١٧٠٣م.

(٨٧) **وكالة محمد باشا: المقصود بها وكالة محمد باشا قول قران** (١٠١٦ – ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٧ – ١٦١١م) وتقع شمال شرقى مسجد الجندى برشيد، ويحدها من الغرب شارع السوق العمومى، وقد ألحق بالوكالة دكاكين تطل على ذلك الشارع، وكان يتم تأجير الوكالة للتجار بواسطة ناظر الوقف (انظر: نيفين مصطفى حسن، رشيد فى العصر العثمانى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٣١٧).

(٨٨) محكمة رشيد: س١١٢، ص١٥٥، م٢٣٤ بتاريخ ٣ ذى القعدة ١١٢٦هـ/ ١٠نوفمبر١٧١٤م.

(٨٩) **نصف فضة أو البارة الفضية:** نقد عثمانى ضرب من الفضة بقيمه قدرها أربع أقجات (أخشا) وسرعان ما اختلف مركز الأخشا باعتبارها الوحدة النقدية التركية الصغرى حتى أصبحت الفضة تساوى ست عشرة قمحة أى (١,١١ جرام) ثم انخفض وزنها فى أوائل القرن التاسع عشر وقل ما فيها من فضة، وقد كانت هذه العملة وسيلة مهمة لتحقيق مرونة العملية التجارية فى مصر (انظر: عبدالرحمن فهمى، النقود المتداولة أيام الجبرتى بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث عن عبدالرحمن الجبرتى، إشراف/ أحمد عزت عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص٥٧٣).

(٩٠) محكمة قناطر السباع: س١٣٦، ص١٧١، م٦٨٠ بتاريخ ربيع آخر ١٠٩٠هـ/ ٢٩مايو١٦٧٩م.

(٩١) نفسه: س١١٢، ص٢٧٢، م٤٢٠ بتاريخ ٢٦ ربيع أول ١١٢٠هـ/ ١٥ يونيو ١٧٠٨م.

(٩٢) محكمة رشيد: س١١٨، ص١٧٥، م٢٤٧ بتاريخ ١٤ جماد أول ١١٢٨هـ/ ٦ مايو ١٧١٦م.

(٩٣) محكمة رشيد: س٣٨، ص٢٦٣، م١٦٨ بتاريخ ٢٣ جماد آخر ١٠٢٦هـ/ ٢٨ يونيو١٦١٧م.

(٩٤) الدشت: محفظة ٢١٤، ص٢٨١، مادة بدون رقم بتاريخ ١٥ ربيع أول ١١٠٩هـ/ ٣٠يوليو١٦٩٧م.

(٩٥) محكمة القسمة العسكرية: س٨٣، ص٢٩٣، م٣٠٢ بتاريخ غرة جماد أول ١١١١هـ/ ٢٥أكتوبر ١٦٩٩م.

(٩٦) محكمة رشيد: س١٢٨، ص٤٢، م٥٦ بتاريخ ١٠ محرم ١١٣٥هـ/ ٢١ أكتوبر ١٧٢٢م.

(٩٧) نفسه: س١٣٨، ص١٨٤، ١٨٥، م٢٤٨ بتاريخ ٥ رجب ١١٤٥هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٧٣٣م.

(٩٨) نفسه: س١٦٧، ص٢٤، ٢٥، م١٩ بتاريخ غاية ذى الحجة ١١٨٣هـ/ ٢٧ أبريل ١٧٧٠م.

(٩٩) قرش: هو تعريب لـ (Groshen) الألمانية، وهى تعنى (Piastre) أى النقد الأسبانى الفضة الذى بُدئ ضربه وتداوله فى مطلع القرن السادس عشر، ثم استقر فى التعامل التجارى مع بلدان الشرق العربى، فأطلق عليه (غرش) و(قرش) وقد ضرب هذا النقد فى تركيا لأول مرة فى عهد السلطان سليمان الثانى (١٠٩٩ - ١١٠٢هـ/ ١٦٨٧ - ١٦٩٠م) وفى مصر ضربت القروش فى عهد على بك الكبير لأول مرة سنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) وكانت نوعين مجوز وقيمته عشرة أنصاف، والمفرد وقيمته خمسة أنصاف، وقد قام محمد بك أبوالذهب سنة (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م) بإبطال القروش التى كانت تحمل اسم علامة على بك، ولكن الفرنسيين، أثناء احتلالهم لمصر أعادوا ضرب القروش، واستمر القرش يضرب فى مصر بقيمة تقدر بأربعين نصف فضة، وفى عام ١٩١٦ حددت قيمة القرش بعشر مليمات، وأصبح المليم هو أصغر وحدات النقود فى مصر (انظر" عبدالرحمن فهمى، المرجع السابق، ص٥٧٤، ٥٧٥).

(١٠٠) محكمة دمياط: س٤٧، ص٢١٩، م٤٣١ بتاريخ ٢١ رجب ١٠١٧هـ/ ٣١ أكتوبر ١٦٠٨م.

(١٠١) محكمة رشيد: س١٠٠، ص٥٨٢، م٩٠٢ بتاريخ ١٠ ذى القعدة ١١٠٥هـ/ ٣يوليو١٦٩٤م.

(١٠٢) ديروط: من البلاد القديمة، وتعرف بديروط الشريف، وهى قاعدة مركز ديروط محافظة أسيوط (انظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، ق٢، جـ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص٩، ٤٧).

(١٠٣) إردب: مكيال مصرى يتألف من وست ويبات كل ويبة ثمانية أقداح كبيرة أو ستة عشر قدحًا صغيرًا ثم ارتفع وزنه فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ستة وتسعين قدحًا صغيرًا. وقد تضاربت الآراء حول تحديد مقداره فقد يكون ١٨٢ لترًا تقريبًا، أو ١٨١,٧٣٥ لترًا، وهو فى الوقت الحالى يساوى ١٩٨ لترًا (انظر: فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ترجمة كامل العسيلى، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الثانية، ١٩٧٠، ص٥٨).

(١٠٤) محكمة رشيد: س١٠٩، ص٣٧١، م٥٥٧ بتاريخ ٢٥ جماد أول ١١١٦هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٧٠٤م، انظر الملحق رقم (١).

(١٠٥) الدشت: محفظة ٢٢٤، ص٦٠٧، ٦٠٨ مادة بدون رقم بتاريخ ٨ شوال ١١٢٢هـ/ ٣٠نوفمبر ١٧١٠م.

(١٠٦) محكمة رشيد: س١٢٧، ص٢٩٧، م٤٣٨ بتاريخ ٢٧ جماد أول ١١٣٤هـ/ ١٥ مارس١٧٢٢م.

(١٠٧) **ريال: هو الريال الحجر الأبى طاقة.** وكان الأسبان أول من تدالوا هذا النقد فى الأسواق التجارية، وأطلق الريال فى العالم العربى منذ القرن السابع عشر الميلادى على نقود فضية كبيرة فرنسية، وأسبانية وهولندية، وألمانية، ونمساوية، والريال النمساوى أطلق عليه فى مصر الريال أبو طاقة نسبة إلى النافذة أو الطاقة المرسومة على صدر النسر المصور على أحد وجهى الريال (انظر: عبدالرحمن فهمى، المرجع السابق، ص٥٧٨).

(١٠٨) محكمة رشيد: س١٣٣، ص٢٩٧، م٤٠٩ بتاريخ ٢٢ شعبان ١١٣٨هـ/ ٢٥ أبريل ١٧٢٦م.

(١٠٩) **فردة بن أو فرق بن:** زنبيل يسع ٣,٥ قنطار (انظر: ليلى عبداللطيف، الإدارة فى مصر، ص٤٥١).

(١١٠) **قنطار:** وحدة من وحدات الوزن كانت تعادل فى العصور الوسطى ٩٦,٧ كجم، ثم أصبح فى القرن السابع عشر وبالتحديد سنة ١٦٦٥م، ١٢٠ كجم (انظر: فالترهنتس، المرجع السابق، ص٤٠- ٤٢).

(١١١) **رطل:** وحدة من وحدات الوزن ترجع إلى ما قبل الإسلام، وتختلف باختلاف البلاد والأزمان، فالرطل فى مصر الحديثة موحد يساوى ١/ ١٠٠ من القنطار = ١٢ أوقة = ١٤٤ درهمًا = ٤٤٩,٤٨ جم (انظر: فالترهنتس، المرجع السابق، ص٣٠، ٣١).

(١١٢) محكمة رشيد: س١٠٠، ص٣٧٨، م٤٣٦ بتاريخ ١٩ صفر ١١٠٥هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٦٩٣م، انظر الملحق رقم (٢).

(١١٣) نفسه: س١٠٣، ص٣٠٤، ٣٠٥، م٤٦٢ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٠٦هـ/ ١٣يوليو١٦٩٥م.

(١١٤) محكمة إسكندرية: س٦٥، ص٧٨، م١٤٨ بتاريخ ١٣ ربيع أول ١١٣٠هـ/ ١٦مارس١٧١٧م.

(١١٥) محكمة رشيد: س١٠٣، ص١٢٧، م١٦٨ بتاريخ ٢٨ جماد أول ١١٠٦هـ/ ١٤يناير١٦٩٤م.

(١١٦) نفسه: س١٣٣، ص٢٩٣، م٤٠٠، بتاريخ ٢٠ شعبان ١١٣٨هـ/ ٤ نوفمبر ١٧٠٨م.

(١١٧) قناطر السباع: المقصود به شارع السيدة زينب وأوله من قنطرة السيدة، وآخره بوابة الخلاء بجوار جامع الحبيبى، وقنطرة السيدة هى التى سماها المقريزى قناطر السباع، وأول من أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، ونصب عليها سباعًا من الحجارة، لذا أطلق عليها قناطر السباع (انظر: على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٥٥).

(١١٨) محكمة القسمة العسكرية: س٨٣، ص٣١٠، م٤٠٨ بتاريخ ٢٦ رجب ١١١١هـ/ ١١ يناير ١٧٠٠م.

(١١٩) الدشت: محفظة ٢٥٤، ص٦٥، مادة بدون رقم بتاريخ ١٨ ذى القعدة ١١٢٢هـ/ ٨يناير ١٧١١م.

(١٢٠) محكمة رشيد: س١٥٢، ص٢٢٠، م٢٦٨ بتاريخ ٦ ربيع ثانى ١١٦٠هـ/ ١٧أبريل١٧٤٧م.

(١٢١) نفسه: س١٢٤، ص١١٨، م١٥٩ بتاريخ غرة محرم ١١٣٢هـ/ ١٤ نوفمبر ١٧١٩م.

(١٢٢) الدشت: محفظة ٣٣٢، ص٤٦٦، م٥٨٣ بتاريخ غرة ربيع أول ١٢٠٦هـ/ ٢٩أكتوبر ١٧٩١م.

(١٢٣) **الدلالين**: ترادفت الدلالة مع كلمتى السمسرة والمثمنين وارتبطت الدلالة بنوع السلعة، فعرف البعض بأنه الدلال فى الرقيق الأبيض والأسود، والدلال فى البطيخ وغيره. وقد ترد الكلمة أحيانًا بما يفيد التجارة حيث وصف البعض بأنه الدلال فى البقجة وهى البضاعة التى يطوف بها على المستهلكين كذلك الدلالين فى الأسباب (انظر: عبدالحميد حامد سليمان، مقاطعة الخردة وتوابعها دراسة التنظيم المالى والضرائبى للحرف الهامشية والبسيطة فى مصر العثمانية، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠، ص٥٣).

(١٢٤) الدشت: محفظة ٣٣٨، ص٤٤٩، م٦٢٠ بتاريخ غرة محرم ١٢١٠هـ/ ١٨ يوليو ١٧٩٥م.

(١٢٥) محكمة رشيد: س٥٤، ص٣٤٤، م٧٠٧ بتاريخ ١٦ ربيع أول ١٠٤٦هـ/ ١٨أغسطس١٦٣٦م.

(١٢٦) نفسه: س٨٩، ص٣، ٤، م٧ بتاريخ ٤ محرم ١٠٨٨هـ/ ٩ مارس ١٦٧٧م.

(١٢٧) نفسه: س٨٨، ص٢٨٨، ٢٨٩، م٥٤٥ بتاريخ ١٤ رجب ١٠٨٨هـ/ ١٢ سبتمبر ١٦٧٧م.

(١٢٨) نفسه: س٨٩، ص٢٨٠، م٤٨٨، بتاريخ ٢٦ ربيع أول ١٠٨٩هـ/ ١٨ مايو ١٦٧٨م.

(١٢٩) نفسه: س٩١، ص٢١٨، ٢١٩، م٣٩٥ بتاريخ ٢٩ ذى القعدة ١٠٩٠هـ/ ٣١ يناير ١٦٨٠م.

(١٣٠) نفسه: س١٢٨، ص١٣٤، م١٦١ بتاريخ ٢٨ ربيع أول ١١٣٥هـ/ ٥ فبراير ١٧٢٣م.

(١٣١) داود بن عمر الانطاكى: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجيب العجاب، الجزء الأول، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص٣٣٣.

(١٣٢) دينار: المقصود به النقود الذهبية، وهو أول دينار عثمانى ضرب فى مصر عقب الفتح العثمانى فى عهد السلطان سليم الأول. وقد أطلق عليه اسم سلطانى أو أشرفى؛ وهو امتداد للفظ الأشرفى الذى ألفه المجتمع المصرى منذ عهد السلطان الأشرف برسباى سلطان الجراكسة (انظر: عبدالرحمن فهمى، المرجع السابق، ص٥٥٧).

(١٣٣) محكمة رشيد: س٣٠، ص٢٠١، م٨٦٣ بتاريخ ٢١ جماد أول ١٠١٤هـ/ ٤أكتوبر١٦٠٥م.

(١٣٤) نفسه: س١٤٩، ص١٩٨، ١٩٩، م٢٤٤ بتاريخ ٢٥ ربيع آخر ١١٥٦هـ/ ١٩ يونيو ١٧٤٣م، انظر الملحق رقم (٣).

(١٣٥) نفسه: س١٥٥، ص٣٤٤، م٤٩٣ بتاريخ غاية محرم ١١٦٧هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٧٥٣م.

(١٣٦) نفسه: س٨٨، ص٢٥٥، م٤٤٢ بتاريخ ٢٥ صفر ١٠٨٩هـ/ ١٨ أبريل ١٦٧٨م.

(١٣٧) نفسه: نفس السجل، ص٢٨٩، م٦٠٧ بتاريخ ٢٦ رجب ١٠٨٩م/ ١٣ سبتمبر ١٦٧٨م.

(١٣٨) محكمة دمياط: س٦٣، ص٢٢٨، م٨١٦ بتاريخ ١٨ ربيع ثانى ١٠٣٢هـ/ ١٩فبراير١٦٢٢م.

(١٣٩) محكمة رشيد: س٨٩، ص١١١، م٢٢٤ بتاريخ ١٣ جماد أول ١٠٨٨هـ/ ١٤يوليو١٦٧٧م.

(١٤٠) نفسه: س١٠٨، ص١٨٢، م٢٥٩ بتاريخ ١٥ رجب ١١١٣هـ/ ١٦ ديسمبر ١٧٠١م.

(١٤١) نفسه: س١٠٩، ص١٧٣، ١٧٤، م٢٧٧ بتاريخ ٨ محرم ١١١٦هـ/ ١٣ مايو ١٧٠٤م.

(١٤٢) نفسه: س١٢٧، ص١٢٣، م١٨٦ بتاريخ ٩ رمضان ١١٣٤هـ/ ٢٣ يونيو ١٧٢٢م.

(١٤٣) نفسه: س١٣٠، ص٩٤، م١٣٧ بتاريخ ٢١ ربيع ثانى ١١٣٦هـ/ ١٨ يناير ١٧٢٤م.

(١٤٤) محكمة رشيد: س٩٤، ص٢٢٧، م٤٤٣ بتاريخ ٢٨ وأول ١٠٩٦هـ/ ٢ مايو ١٦٨٥م.

(١٤٥) ناظر الوقف: هو بمثابة المشرف العام على الوقف، وعادة ما يكون الناظر على الوقف هو الواقف ذاته أو أحد ذريته أو عتقائه، أو أحد أقربائه الأقربين، وفى بعض الأحيان كان يقوم شيخ

الإسلام بتعيين الناظر على الوقف (انظر: محمد عفيفى، الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٤٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٨٦).

(١٤٦) محكمة رشيد: س٩٥، ص٣٩١، ٣٩٢، م٦٦٦ بتاريخ ٦ شوال ١٠٩٧هـ/ ٢٦أغسطس١٦٨٦م.

(١٤٧) نفسه: س١٠١، ص٢٢١، م٢٠٩ بتاريخ ٢٠ محرم ١١٠٧هـ/ ٣١ أغسطس ١٦٩٥م.

(١٤٨) نفسه: س١٠٨، ص٥٣٠، ٥٣١، م٨٠٧ بتاريخ ٢٠ جماد آخر ١١١٤هـ/ ١١نوفمبر١٧٠٣م.

(١٤٩) محكمة رشيد: س١١٨، ص٢٠٨، ٢٠٩، م٢٩٣ بتاريخ غرة جماد آخر ١١٢٨هـ/ ٢٣مايو١٧١٦م.

(١٥٠) محكمة رشيد: س١٦٤، ص١٧٤، ١٧٥، م٣٢٢ بتاريخ ٩ ذى الحجة ١١٧٢هـ/ ٣أغسطس١٧٥٩م.

(١٥١) نفسه: س١٧٣، ص١٦٣، ١٦٤، م٧٧ بتاريخ ٧ صفر ١١٨٢هـ/ ٢٣ يونيو ١٧٦٨م.

(١٥٢) يذكر محمد رمزى أنها تقع بجزيرة بنى نصر التابعة لمركز كفر الزيات بمديرية الغربية (انظر: محمد رمزى، المرجع السابق، ق١، ص٢١٣، ٢١٤). ويظهر من الوثيقة أنها فى العصر العثمانى كانت تقع ضمن زمام ولاية المنوفية، ولكن نظرًا للتعديلات الإدارية التى طرأت على مصر فى العصر الحديث ضمت للغربية.

(١٥٣) **حلوان**: هو الثمن الذى يدفع عن طريق المزاد، أو المصالحة لشراء حق حيازة المقاطعات الزراعية التى تخلو لموت أصحابها، أو فراغهم عنها، وكانت إيرادات الحلوان من هذا النوع تدفع لخزينة مصر (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٣٧٣)، وكانت ضريبة الحلوان تقدر فى أول الأمر بمقدار سنة من الأموال الأميرية المقررة على الحصة، ثم أصبحت بمقدار ثلاث سنوات من فائض الحصة الذى أصبح يفوق مقدار المال الميرى (انظر: Shaw., op.cit., pp.143- 144)

(١٥٤) إسقاطات القرى: س١، ص١٦، م٦٠ بتاريخ ١٣ ربيع ثانى ١١٤١هـ/ ١٦ نوفمبر١٧٢٨م.

(١٥٥) **دبركى**: من القرى القديمة التابعة لمركز منوف، محافظة المنوفية (انظر: محمد رمزى، المرجع السابق، ق٢، جـ٢، ص٢١٧).

(١٥٦) إسقاطات القرى: س١، ص١٧، م٦٤ بتاريخ ١٣ ربيع ثانى ١١٤١هـ/ ١٦ نوفمبر١٧٢٨م.

(١٥٧) **أفندى باش خليفة الغربية**: كان للروزنامجى أربعة مساعدين عرفوا "بالمباشرين"، أو "الخلفا"، أو "القلفا"، وكان أولهم "الباش مباشر" أو "الباش خليفة أو "الباش قلفة" أو "سر خليفة" وكان هو الوكيل الأول للروزنامجي، ويحل محله إذا خلا منصب الروزنامجي، ثم يأتى بعده ثانى خليفة، ثم ثالث خليفة، ثم رابع خليفة، ويشرف هؤلاء الخلفاء الأربعة على كل الأعمال الحسابية التى يقوم بها الأفندية، وعلى كل السجلات التى تحت أيديهم، وبالإضافة للروزنامجى ومساعديه، وجد فى إدارة ديوان الروزنامة مجموعة من الموظفين عرفوا بالأفندية، وكانوا يتصفون بالدقة لباعهم الطويل فى العلوم الحسابية وكان منهم أفندى الغربية، الذى كان يختص بإيرادات ضرائب الأرض فى أقاليم الغربية والمنوفية ويساعده ثلاثة مباشرين، وبالإضافة لأفندى الغربية كان يوجد عشرة من الأفندية منهم أفندى الشرقية، وأفندى الشهر، وأفندى المقابلة، وأفندى المحاسبة .... الخ. (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٣٠٦- ٣٠٨).

(١٥٨) **دبيدة**: من القرى القديمة التى اندثرت، وكانت تقع بأراضى ناحية أخطاب بمركز أجا دقهلية (انظر: محمد رمزى، المرجع السابق، ق١، ص٢٤٢).

(١٥٩) اسقاطات القرى: س١، ص٨٢، مادة بدون رقم بتاريخ ٢٦ جماد آخر ١١٤٢هـ/ ١٦يناير ١٧٣٠م.

(١٦٠) **كرديدة**: من القرى القديمة التابعة لمركز مينا القمح بالشرقية (انظر: محمد رمزى، المرجع السابق، ق٢، جـ١، ص١٤٤).

(١٦١) اسقاطات القرى: س١، ص٢٢١، مادة بدون رقم بتاريخ ٢٣ شوال ١١٤٢هـ/ ١٢مايو ١٧٣٠م.

(١٦٢) **مطر طارس**: من القرى القديمة التابعة لمركز سنورس، محافظة الفيوم (انظر: محمد رمزى، المرجع السابق، ق٢، جـ٣، ص١١٥).

(١٦٣) الدشت: محفظة ٢٥٧، ص٦٢٣، مادة بدون رقم بتاريخ ١٣ رمضان ١١٥٩هـ/ ٢٩سبتمبر ١٧٤٦م.

(١٦٤) بريم: من القرى القديمة التابعة لمركز كوم حمادة، محافظة البحيرة (انظر: محمد رمـــزى، المرجع السابق، ق٢، جـ٢، ص٣٣٤).

(١٦٥) اسقاطات القرى: س١٢، ص٢٢٠، مادة بدون رقم بتاريخ غــرة رمــضان ١١٨١هـــ/ ٢١يناير ١٧٦٨م.

(١٦٦) وزنّة: الوزنة العثمانية كانت تزن ٣٠ لودرة، كل لودرة ١٢٠ درهمًا، كل درهم ٣,٢٠٧ غم = ١١,٥٤٥ كغم (انظر: فالترهنتس، المرجع السابق، ص٥٦).

(١٦٧) الدشت: محفظة ٢٣٢، ص٢٤، ٢٥، مادة بدون رقم بتــاريخ ٢ ذى الحجــة ١١٣٤هـــ/ ١٣سبتمبر ١٧٢٢م.

(١٦٨) نفسه: نفس المحفظة، ص٢١، مادة بدون رقم بنفس التاريخ.

(١٦٩) نفسه: نفس المحفظة، ص٢٥، مادة بدون رقم بنفس التاريخ.

(١٧٠) نفسه: نفس المحفظة، ص٢٨، مــادة بــدون رقــم بتــاريخ ٦ ذى الحجــة ١١٣٤هـــ/ ١٧سبتمبر١٧٢٢م.

(١٧١) نفسه: نفس المحفظة، ص٢٨، مــادة بــدون رقــم بتــاريخ ٦ ذى الحجــة ١١٣٤هـــ/ ١٧سبتمبر١٧٢٢م.

(١٧٢) نفسه: نفس المحفظة، ص٢٤، مادة بــدون رقــم بتــاريخ ١٢ ذى الحجــة ١١٣٤هـــ/ ٢٣سبتمبر١٧٢٢م.

(١٧٣) ليلى عبداللطيف أحمد: المجتمع المصرى فى العصر العثمــانى، دار الكتــاب الجــامعى، القاهرة، ١٩٨٧، ص٣٦- ٣٨.

(١٧٤) كانت مقاطعة السلخانة من أكثر المقاطعات أهمية بمصر، فقد كان يتعين ذبح الماشية فــى السلخانه خارج باب الفتوح وكان يحق لملتزم السلخانة جمع ١٠٪ من قيمة الماشــية المذبوحــة، ويمكنه كذلك بيع الجلود والسلب (أحشاء الذبيحة وأكارعها) لصالحه الخاص. وفى المقابل يتعين على هذا الملتزم دفع ضريبة الكشوفية، وإمداد الوالى بكميات من اللحوم، وقد تم منح حق الانتفاع بهذه المقاطعة لحاكم القاهرة فى بادئ الأمر؛ ثم انتقلت لأيدى الإنكشارية منذ بداية القرن الــسابع عشر، حيث صارت تدر لهم أرباحًا طائلة جعلت منها أحد أهم أسباب النــزاع الذى نشب بيــنهم وبين الأوجاقات الأخرى فى بداية القرن الثامن عشر، بعدها انتزع على بك الكبير هذا الامتيــاز من الإنكشارية، الذين استعادوه لفترة قصيرة فى ظل حكم حسن باشا عام (١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م)

وسعى بعدها لزيادة قيمة المبلغ الذى يدفعه ملتزمو السلخانة غير أنه لم يتمكن من ذلك (انظر: أندريه ريمون، الحرفيون، الجزء الثانى، ص٨٨٢).

(١٧٥) أولياجلبى: سياحتنامه مصر، ترجمة/ محمد على عونى، تحقيق/ عبدالوهاب عزام، أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة/ أحمد فؤاد متولى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٣، ص٤٦٢.

(١٧٦) أندريه ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة/ زهير الشايب، مطبعة روزاليوسف، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٧٥.

(١٧٧) ذراع: كان ذراع المساحة يساوى ٦٦,٥ سم٦ (انظر: فالترهنتس، المرجع السابق، ص٨٩).

(١٧٨) محكمة رشيد: س٨٨، ص٦٩، م٢٩ بتاريخ ٩ محرم ١٠٨٩هـ/ ٣ مارس ١٦٧٨م.

(١٧٩) نفسه: س١٣٦، ص١١٢، م١٥٨ بتاريخ ٥ محرم ١١٤٢هـ/ ٣١ يوليو ١٧٢٩م.

(١٨٠) نفسه: س١٥٣، ص١٧، ١٨، م١٨، ١٩ بتاريخ ٢٠، ٢١ ذى الحجة ١١٦١م/ ١١، ١٢ديسمبر ١٧٤٨م.

(١٨١) محكمة إسكندرية: س٩٣، ص٣٨١، م٥٢٤ بتاريخ أواسط جماد أول ١١٨٦م/ ٤ ١أغسطس١٧٧٢م.

(١٨٢) محكمة رشيد: س١٤٩، ص١٩٨، ١٩٩، م٢٤٤ بتاريخ ٢٥ ربيع أول ١١٥٦م/ ١٨يونيو١٧٤٣م.

(١٨٣) أولياجلبى: المصدر السابق، ص٤٦٨.

(١٨٤) الدشت: محفظة ٢١٥، ص٤٧، مادة بدون رقم بتاريخ ٢٧ صفر ١١١١هـ/ ٢٤أغسطس١٦٩٩م.

(١٨٥) محكمة رشيد: س١٠٩، ص٤٤٦، ٤٤٧، م٦٧١ بتاريخ ٢٠ رمضان ١١١٦هـ/ ١٦يناير١٧٠٥م.

(١٨٦) نفسه: س١١٥، ص١٤٠، م٢٣٢ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٢٥هـ/ ١٩ ديسمبر ١٧١٣م.

(١٨٧) الموسكى: بدايته من آخر شارع السكة الجديدة عند قنطرة الموسكى، ونهايته شارع العتبة الخضراء، وقد عرف بذلك نسبة للأمير عزالدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وهو الذى أنشأ قنطرة الموسكى (انظر: على باشا مبارك، المصدر السابق، جـ٣، ص٣٠٩).

(١٨٨) الدشت: محفظة ٣٣٢، ص٤٢١، م٢٨ بتاريخ ١٨ ربيع أول ١٢٠٦هـ/ ١٥نوفمبر ١٧٩١م.

(١٨٩) أندرية ريمون: الحرفيون، الجزء الأول، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(١٩٠) محكمة رشيد: س١١٨، ص٥١، م٧٤ بتاريخ غايته ذى القعدة ١١٢٧هـ/ ٣١أكتوبر ١٧١٥م.

(١٩١) محكمة رشيد: س١٢٤، ص١٣٤، ١٣٥، م١٨٤ بتاريخ ٢ ربيع أول ١١٣٢هـ/ ١٣يناير ١٧٢٠م.

(١٩٢) نفسه: س١٥٢، ص١٠٤، ١٠٥، م١٢٤ بتاريخ ٢٥ شعبان ١١٦٠هـ/ ١ سبتمبر ١٧٤٧م.

(١٩٣) محكمة إسكندرية: س٩٢، ص٢٩٥، م٣٨٤ بتاريخ ١٥ صفر ١١٨١هـ/ ١٣ يونيو ١٧٦٧م.

(١٩٤) محكمة رشيد: س١٠٣، ص١٢٧، م١٦٨ بتاريخ ٢٨ جماد أول ١١٠٦هـ/ ٤ يناير ١٦٩٥م، انظر الملحق رقم (٤).

(١٩٥) نفسه: نفس السجل، ص٧٩، م١٠٣ بتاريخ ١١ ربيع ثانى ١١٠٦هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٦٩٤. انظر الملحق رقم (٥).

(١٩٦) محكمة إسكندرية: س٦٥، ص٧٨، م١٤٧ بتاريخ ربيع ثانى ١١٣٩هـ/ ١٥ مارس١٧١٨م.

(١٩٧) **الأشراف**: تعنى أولئك الأفراد الذين هم من نسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سواءً أكان ذلك عن طريق الأب أو الأم، ولم يكن هؤلاء بالضرورة علماء؛ وإنما كان منهم التاجر، والصانع، والفلاح، وقد تمتع الأشراف باحترام كبير داخل المجتمع المصرى، وشكلوا جماعة منفصلة ومستقلة (انظر: ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة فى مصر، ص٢٩٢).

(١٩٨) محكمة رشيد، س١٣٦، ص٢١٣، م٢٨٩ بتاريخ ١١ ربيع ثانى ١١٤٢هـ/ ٣نوفمبر ١٧٢٩م.

(١٩٩) محكمة إسكندرية: س٧١، ص٥٥٨، م٦٣٣ بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١١٤٤هـ/ ١٢يونيو ١٧٣٢م.

(٢٠٠) محكمة رشيد: س١٤١، ص١٨٣، م٢٣٤ بتاريخ ٤ شوال ١١٤٨هـ/ ١٧ فبراير ١٧٣٦م.

(٢٠١) محكمة رشيد: س١٥٨، ص٩٣، م٧٩ بتاريخ ٢٦ رمضان ١١٦٢هـ/ ٩ أغسطس ١٧٤٩م.

(٢٠٢) محكمة إسكندرية: س٨٩، ص٢٨١، ٢٨٢، م٣٦٦ بتاريخ ١٢ رمضان ١١٧٣هـ/ ٢٨أبريل ١٧٦٠م.

(٢٠٣) نفسه: نفس السجل، ص٢٩٩، م٣٩٤ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٧٣هـ/ ١٥ يوليو ١٧٦٠م.

(٢٠٤) محمد عفيفي: المرجع السابق، ص١٦.

(٢٠٥) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م) دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠، ص١١– ٣٣.

(٢٠٦) محكمة دمياط: س١٥، ص١٦٥، م٥٣١ بتاريخ ١٢ جماد أول ٩٨٣هـ/ ١٩أغسطس١٥٧٥م.

(٢٠٧) محكمة رشيد: س٨٩، ص٣٢٧، م٦٣٣ بتاريخ ٢٩ ربيع أول ١٠٨٨هـ/ ١ يونيو ١٦٧٧م.

(٢٠٨) نفسه: س٩١، ص٥٤، م١٠٣ بتاريخ ١٧ جماد أول ١٠٩٠هـ/ ٢٦ يونيو ١٦٧٩م.

(٢٠٩) الزاوية: من الفعل "أنزوى" بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف، والتعبد، وقد أنشئت الزوايا فى أول الأمر ملحقة بالمساجد، ثم تطورت إلى أبنية صغيرة للتعليم والصلاة والعبادة يتخذها أحد المشايخ المشهورين بالتقوى والصلاح مسكنًا له، ولمن يرد= =عليه من العابرين، ويقوم بالوعظ والإرشاد لم يتردد عليه من الناس (انظر: سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٦٩).

(٢١٠) محكمة رشيد: س٩١، ص٥٦، ٥٧، م١٠٩ بتاريخ ٢٠ جماد أول ١٠٩٠هـ/ ٢٩يونيو ١٦٧٩م.

(٢١١) الدشت: محفظة ٢٣٢، ص٥٠، مادة بدون رقم بتاريخ ٢٠ ذى القعدة ١١٣٣هـ/ ١٢سبتمبر ١٧٢١م.

(٢١٢) محكمة رشيد: س٩٥، ص٩٤، م١٦٨ بتاريخ ٢٠ جماد أول ١٠٩٧هـ/ ١٤ أبريل١٦٨٥م.

(٢١٣) محكمة رشيد: س٩٥، ص٢٥٩، ٢٦٠، م٤٦٣ بتاريخ غرة رجب ١٠٩٧هـ/ ٢٤مايو١٦٨٥م.

(٢١٤) نفسه: نفس السجل، ص٢٦١، م٤٦٥ بتاريخ ٨ شوال ١٠٩٧هـ/ ٢٨ أغسطس ١٦٨٥م.

(٢١٥) محكمة رشيد: س١٣٦، ص٩٨– ١٠٢، م١٤٥ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٤١هـ/ ٢٨ يونيو ١٧٢٩م. انظر الملحق رقم (٦).

(٢١٦) محكمة رشيد: س١٣٦، ص٩٨- ١٠٢، م١٤٥ بتاريخ غرة ذى الحجة ١١٤١هـ/ ٢٨يونيو ١٧٢٩م.

(٢١٧) نفس السجل، نفس المادة بنفس التاريخ.

(٢١٨) محكمة إسكندرية: س٨٩، ص٩١، م٣٨٢ بتاريخ ١٠ رمضان ١١٧٣هـ/ ٢٦أبريل ١٧٦٠م.

(٢١٩) نفسه: س١٠١ مكرر، ص٨٣، م٢٤ بتاريخ ٢٠ ذى الحجة ١٢٠٠هـ/ ١٤ أكتوبر ١٧٨٦م

المصادر والمراجع

أولاً: وثائق غير منشورة.

أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة.

(١) سجلات محكمة إسكندرية.

أرقام ٦٥، ٧١، ٧٥، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ١٠١.

(٢) سجلات محكمة رشيد.

أرقام ١٥، ٢٨، ٣٠، ٣٨، ٥٤، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١١٥، ١١٨، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٣.

(٣) سجلات محكمة دمياط

أرقام ١٥، ٤٧، ٦٣.

(٤) سجلات محكمة القسمة العسكرية.

أرقام ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٣.

(٥) سجلات محكمة قناطر السباع

أرقام ١٣٦، ١٤٠.

(٦) سجلات إسقاطات القرى

أرقام ١، ٥، ١٢.

(٧) محافظ الدشت.

أرقام ١٠٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٥٧، ٣٣٢، ٣٣٨.

ثانياً: المصادر العربية المنشورة:

(١) إبراهيم بن أبى بكر الصوالحى العوفى الحنبلى: تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق، تحقيق الدكتور/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٦.

(٢) أحمد الدمرداشي كتخدا عزبان: كتاب الدرة المصانة فى أخبار الكنانة فى أخبار ما وقع بمصر فى دولة المماليك من الصناجق والكشاف والسبعة أوجاقات وعوايدهم والباشا إلى آخر سنة ثمان وستين ومائة وألف، تحقيق الدكتور/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٩.

(٣) أحمد شلبى بن عبدالغنى الحنفى المصرى: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق الدكتور/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٧٨.

(٤) أولياجلبى: سياحتنامه مصر، ترجمة محمد على عونى، تحقيق الدكتور/ عبدالوهاب عزام، والدكتور/ أحمد السعيد سليمان، تقديم ومراجعة الدكتور/ أحمد فؤاد متولى، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٥) داود بن عمر الأنطاكى: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، الجزء الأول، المكتبة الثقافية، بيروت. د.ت

(٦) عبدالرحمن بن حسن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار الجزء الأول، بولاق ١١٩٧هـ/ ١٨٧٩ - ١٨٨٠م.

(٧) على باشا مبارك: الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، جـ٣، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.

(٨) قانون نامه مصر الذى أصدره السلطانى العثمانى لحكم مصر: ترجمة الدكتور/ أحمد فؤاد متولى، القاهرة، ١٩٨٦.

ثالثًا: القواميس

(١) درويش النخيلى: السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤.

(٢) محمد رمزى: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى ١٩٤٥، ق١، ق٢ الأجزاء من ق٢ ١، ٢، ٣، ٤.

رابعًا: رسائل جامعية غير منشورة.

(١) إبراهيم يونس محمد سلطح: تاريخ مصر العثمانية من (٩٢٣ - ١١٣١هـ/ ١٥١٧ - ١٧١٩م) من خلال مخطوط تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ليوسف الملوانى الشهير بابن الوكيل، رسالة ماجستير آداب الإسكندرية، قسم التاريخ، ١٩٨١.

(٢) أحمد عبدالعزيز علـى عيسـى: الصراع بين البيوتات المملوكية فى مصر العثمانية (٩٢٣ – ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ – ١٧٩٨م) رسالة ماجستير آداب دمنهور قسم التاريخ، ٢٠٠١.

خامساً: المراجع العربية.

(١) دكتور/ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

(٢) أندريه ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعى للقاهرة العثمانية، ترجمة زهير الشايب، مطبعة روزاليوسف، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣) ----------: الحرفيون والتجار فى القاهرة فى القرن الثامن عشر، الجزءان، الأول والثانى، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم، باتسى جمال الدين، مراجعة وإشراف الدكتور/ رؤوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، العدد (٨١٨) القاهرة، ٢٠٠٥.

(٤) دكتور/ سعيد عبدالفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢.

(٥) دكتورة/ سميرة فهمى على عمر: إمارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ – ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ – ١٧٩٨م) سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٢٠١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.

(٦) دكتور/ عبدالحميد حامد سليمان: مقاطعة الخردة وتوابعها، دراسة التنظيم المالى والضرائبى للحرف الهامشية والبسيطة فى مصر العثمانية، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠.

(٧) دكتور/ عبدالرحمن فهمى: النقود المتداولة أيام الجبرتى، بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث عن عبدالرحمن الجبرتى، إشراف الدكتور/ أحمد عزت عبدالكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

(٨) دكتور/ عبدالكريم رافق: بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى إلى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ – ١٧٩٨) الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٦٨.

(٩) فالترهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى، ترجمة كامل العسيلى، منشورات الجامعة الإردنية، الطبعة الثانية، ١٩٧٠.

(١٠) دكتورة/ ليلى عبداللطيف أحمد: الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨.

(١١) -------------: المجتمع المصرى فى العصر العثمانى، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٩٨٧.

(١٢) دكتور/ محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، سلسلة بلدان العالم الإسلامى رقم (١) القاهرة، ١٩٩٣.

(١٣) دكتور/ محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٤٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

(١٤) دكتور/ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠.

(١٥) دكتور/ مصطفى بركات: الألقاب والوظائف والمصطلحات العثمانية دراسة فى تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (١٥١٧ - ١٩٢٤) دار غريب للطباعة، القاهرة، ٢٠٠.

(١٦) نويل مالكوم: البوسنة، ترجمة/ عبدالعزيز توفيق جاويد، الألف كتاب الثانى العدد (٢٧٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

(١٧) نيفين مصطفى حسن: رشيد فى العصر العثمانى، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٩.

(١٨) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح محمود الأنصارى، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٨٨.

سادساً: المراجع الأجنبية

(1) Shaw. S. J., Ottoman Egypt in the age of the French revolution, Combridje, Massachustter, 1964.

Journal Egyptian Historian

Studies & Researches
In
History & Civilization

Department of History
Faculty of Arts
Cairo University

ROCK ART AT BALQARN AREA AND ITS SUBURBS[1]

"A DOCUMENTED STUDY OF SELECTED SAMPLES"

Dr. MISFER S.M. AL-KHATH'AMi [2]
King Khalid University at Abha
Dean, the Community College at Bish

Abstract

The artistic creations of Pre-Islamic Men Arabia dates back to thousands of years. The consistency of subjects and the art content exhibited in rock art throughout the Arabian Peninsula testifies that rock art has played an important role in the social, cultural and religious life of the primitive communities of the region. I hope that the present study could guide us to a better understanding of the Pre-Islamic history in the peninsula.

Rock art represents the artistic creations of the illiterate people at the time. It is the major source of understanding of the communities they lived in.

However, this paper has a two-folded aim. Firstly, it is a documentary study of the cultural activity in the region attempting to identify the rock art of Balqa'rn area as part of Assir region. Secondly, it opens a wide door for specialists in the field to do further studies about the case.

The Balqarn area has never got its share of the archeological expeditions that the other areas of Aseer region has had. With the exception of the studies and searches done in some of the old mine areas, which included parts of the eastern areas of the province[3], all the other areas of the province have never received any archeological team. Moreover, the whole region is still away from the focus of researchers. This does not mean that the province is uninhabitable and lacks archeological sites. On the contrary, this research proves that the province does not, in any way, possess less archeological sites than any of the other provinces of the Aseer Region.

As I have mentioned before, while talking about rock art in Abha[4], this art is one of the most important resources that we should depend upon in our studies of the pre-historic era in the Kingdom of Saudi Arabia. This art, in its different styles, is considered the mirror that could reflect to us, in a very clear way, the different styles of life in all parts of the country. These drawings also give us a clear picture of the customs, traditions and social behavior of all the social groups that has lived in the different areas of the Kingdom of Saudi Arabia[5]. Moreover, rock art can give us a mental picture of the political, socio-economic life in the region and shows the artistic level of the people at the time. Also, through these pieces of art on rocks, we could get to know some of the peoples' intellectual and religious believes[6]. Thus, the study of this art is a real need to any researcher who deals with the history and civilization of the Kingdom of Saudi Arabia in ancient times[7].

Through this introduction, I would like to ensure the importance of studying rock art in the kingdom in a chain way, not separately in each region or province. This is because the researcher has noticed a strong link between the artistic styles of this area and the other areas studied by Majed Khan[8] in

relation to the style of each historic era. At the same time, the drawings of some gods have shown the possibility that these social groups have had some kind of religious and intellectual unity. This means that there was a civilization or connected civilizations on this land that should be studied in a chronological way so that we could have the historic chain of the history and civilization of this area.

A number of animal drawings, drawings of humans and some vague scripts have been found at the Balqarn province, yet the dense of these drawings and scripts is not as much as those found in its neighboring provinces; Bisha and Al-Namas[9]. This does not mean that this area has not been as densely populated as the other areas, but the reason is that most of the rocks in this area are not suitable enough for drawing. The drawings and scripts discovered were on rocks which are suitable for the job.

The most important sites of rock drawings:

1. ***ERQ HARB:***

   It is situated about 10 km east of Al-Harja villages (see fig.1). The site is on the top of the mountain that extends from the south to the north and is about 300 meters higher than the other sites near by (see Pic.1). It has a horse-neck shaped[10] sharp peak of dark brown and dark black rocks. The dense of the drawings[11] that extend about 1.5 km on its top made it one of the most important sites in the area. The site is full of drawings of animals and humans of which the most attractive are those of warriors on horsebacks in their full size. Yet, the site does not possess any ancient scripts except for some southern Arabian inscriptions and some vague Islamic prints.

2. ***SEHR SALMAH:***

   It is situated about 6km east of Al-Harja villages (see fig.1). The mountain extends from the south to the

north, parallel to Erq Harb Mountain and over looks Ah'na'ma valley on the east. When the valley turns eastwards, it separates Sehr Salmah Mountain from Erq Harb. The top of this mountain is about 250m higher than the other mountains in the area and has a sharp peak similar to that of Erq Harb. It possesses a number of drawings of both animals and humans and some Islamic scripts. These drawings and scripts extend for about 2km(12).

3. ***JARB (YARB):***

The site is to the east of Hejab villages (see fig.1). It is a chain of high mountains, up to a thousand meters high(13) and possesses drawings of animals and humans and some scripts.

4. ***SHA'B AL-NA'GH'RA:***

The site is at Al-Fawhah(14) area on the west bank of Tabala valley (see fig.2); about 3km to the east of the inhabited zone and 9km from Basha'er(15). The site is a chain of rocks that extend from the south to the north and includes a group of drawings of animals and humans as well as some "Thamudi" scripts. The drawings at that site are in danger due to the ignorance of the people in the area of such art and because of the extension of the inhabited area.

5. ***OTHER SITES AT AL-FAWHAH AREA:***

A number of sites at which drawings of animals and humans from different eras were discovered. These include:

a. **SHADAN MOUNTAIN (AL-SHEIKH MOUNTAIN):** It is situated to the north of Al-Fouhah (see fig.2), about 7km from the agricultural area. The top of the mountain has a

number of black rocks that possess animal and human drawings as well as some tribal logos.

b. **Northern Abu Kha'yal Mountain:** It is situated to the east of Shadan Mountain, less than 500m. It is conical in shape and is considered the second highest top in the area. From the top of the mountain one can see most of Balqarn province, and during the night, the lights of Bisha town are seen, too. On every side of the mountain there are separate pieces of dark black rocks that possess animal and human drawings, tribal logos and some vague symbols.

c. **Southern Abu Kha'yal Mountain:** It is situated to the south of the Northern Abu Kha'yal Mountain[16] that is considered the highest mountain in the area. From the south, it over looks Abu Hadeed mine. From its top, one can see most of Balqarn province as well as the lights of Bisha town and some of Al-Baha and Al-Namas areas. At the top of the mountain, there are many drawings of animals and humans, tribal logos and some vague symbols engraved on pieces of rocks. Recently, a communication tower was fixed on the top of the mountain.

d. **Um Ahmeshan:** It is situated about 1km to the north of Northern Abu Kha'yal Mountain. A number of drawings were found on a many scattered rocks in the site, though many of these rocks were destroyed and swept away while digging for a new road in the area. I have seen these rocks in 1416AH, yet, on my second visit to the area lately, they were vanished[17].

e. **<u>The connection of Al-Atat with Sous</u>:** It is situated about 5km away from the above-mentioned sites, before Al-Waqba mine at this site, some animal drawings, tribal logos and vague symbols were found .together with some short Islamic prints.

f. **<u>Zarfat Qar'ash</u>:** It is situated about 13km to the north of the agricultural area of Al-Fouhah. At this site, there are drawings of camels and horses, and around the area there are some ruins of stone(18).

g. **<u>Ghazeel Mountain</u>:** It is situated at Al-Fouhah area between Tabalah valley(19) to the east and Al-Fouhah valley to the west (see fig.2). On the west and the north, a number of farms and homes of Al-Halafat tribe surround it. The mountain is about 500m high and on its top there are a number of animal drawings specially decorated cattle that we will talk about in details later(20). The inhabited area has become very close to the site and that might cause its destruction at any moment.

6. **<u>Khad Al-Ma'ra'gh</u>.**

It is situated about 6km below Khath'am Land. The landscape extends on the western side of Sha'was valley(21). An unpaved road goes through the area and down to Sha'was. On the ceiling of one of the caves at the beginning of the rocky area to the west of the road, there are some colorful scripts and signs(22) (see pic.28, 29).

<u>Types of Art Rock and their Artistic Styles:</u>

***Firstly*:** **<u>Animal Drawings.</u>**

Drawing animals has dominated the artistic talents of the artists in this area. The majority of the

drawings at these sites were of animals. They are much more in number than those of humans. This clearly shows the domination of drawing (engraving) shapes of animals on the artistic talents of the artists whether in the prehistoric era or later in the historic era. Although it is difficult to give a strong reason for this phenomenon, yet the researcher could guess that this was done because of the many ways man in this area has used animals; as sacrifice for gods, for riding and fighting against others and as a main source of food. Thus, we could see drawings of wild goats (deer) and gazelles while being hunted.

As for the most important animal drawings found in this area, they are as follows:

A. Deer, Gazelles and (wild) Goats:

In this province, the deer seems to be the most important animal in the drawings whether in number or in the skill and art of these drawings especially at Erq Harb and Sehr Salmah sites. Drawings of deers with long straight horns or horns bending to the back as well as deers with long beard were found; similar to those found at Al-Fi'yah in Abha[23]. The purpose of drawing these deer was clearly shown in the hunting scenes where a deer was followed by man or surrounded by hunting dogs, and sometimes hit with spears in their bodies when hunted (***as seen in pictures 1&2***). Through these drawings, the artists have shown how important these animals were for him as food as well as man's ability to follow these animals and hunt them with his spears.

It has become quite obvious that these drawings were drawn at different times as we have found some very old ones that might go back to

what is called "The First Hunter's era"[24]. This is shown through the surface (outer) layer (***as seen in picture 3***) through which we can see that it was drawn thousands of years before the drawings that follow it. Also, more than one artist made these drawings. Comparing the art and skill of one piece of art and the others could see this.

The paintings of both gazelles and (wild) goats were a few. They were shown as wild animals. The scarcity of these animals shows that they were scarce in this area.

It is worth mentioning that a number of very old drawings of deer and other animals were found at Irq Harb and Sehr Salmah. These might represent images of some gods. Now, these drawings are not clearly seen as the surface layer of these drawings is worn out and their dark color got the same color of the rocks they were drawn on. Also, some drawings were found drawn one on top of the other ;(as seen in picture 4) yet, they were drawn at later times. No doubt, these drawings-with the dark colors- go back to the prehistoric era. This might lead us to guess how long has this area been inhabited. The artists of the prehistoric era of this area drew the animals that were known to them in the area.

In doing these pieces of art, the artists have used different artistic styles. Some of these styles are:

a. <u>The Scattered Carving Style</u>.

It has been noticed that this style is not specific for a certain era. Rather, it might have dominated at different eras. This style was used either through light or deep indirect

carving to most or all the drawing ***(as seen in pictures 5&6).***

b. The Rubbing (Scratching) Style.

This style was used through direct rubbing or scratching of all the drawing so that the artist could show us the picture in a lighter color on a dark rock **(as seen in picture 7).**

c. **The Frame Style.**

It is done by making a frame for the drawing made of deep lines **(as seen in picture 8),** by making light lines **(as seen in picture 9)** or by making thick lines **(as seen in picture 10).**

d. **The Sculpture Style.**

Carving deeply the body of the drawing does this. This style, though, does not give the artist a chance to control his drawings, as do the previous styles. Thus, the picture made by using this style came less artistic than those done by the above-mentioned styles. This is **shown clearly in picture11.**

e. The Stick Style.

This style is a try from the artist to show his drawing clearly by making a frame of stick (straight) lines done with the least effort and details that could be differentiated from the main drawing. This could be seen in **picture 12.**

B. Camels:

In spite of the very intimate relationship between the people of the Arabian Peninsula and camels, yet, we found out that drawings of camels were much less than those of other animals specially the deer. This does not mean that camels were less

important for the people of the region at some point in history, but because the use of camels as a source of meat was much later than the use of other animals in the Arabian Peninsula[25]. We could see this **in picture 13** where the artist has drawn a camel beside a number of deer that are drawn much earlier as shown on the surface layer.

The artist, in drawing camels, could show some of the purposes of his drawings. In some drawings we could see camels with their front legs tied to their back legs, which means that man has tamed camels[26]. This act could have been done to stop the mixing of males and females especially when the females were expecting or in order to keep the camels in good shape and not to waste their energy.

Camels were also drawn while feeding their babies, some having their tails pointing upwards. In other drawings in the area, camels were drawn while being ridden by man as seen in **picture14.**

C. HORSES.

A number of horses' drawings were found in the previous sites among which were wild horses that appear in herds as **seen in picture 15.** Among those horses, one appeared wounded by a spear of a hunter as **seen in picture 16**. This proves that this drawing was drawn at early times where this animal was not tamed yet and that man aimed at horses in the wild. In some other late drawings, a single horse was drawn while running. In some drawings, too, horses were seen used by man in his battles as we could see some horsemen fighting on back of their

horses as well as in hunting and following preys. The great importance of this animal in the life of man in the Arabia was seen clearly in these pictures.

D. Cattle:

Drawings of cattle were found in this region especially at Al-Fouhah where cows in natural size were drawn. The styles of drawing these drawings were different, which proves that they were drawn by a number of artists. The frame style was used in some of these drawings with both deep and light lines as seen in picture 17 which was taken from Al-Arous Plateau in Abha(27). At the top of Ghozeil Mountain at Al-Fouhah, the decorated line style was used to draw a giant cow as **seen in picture 18**. Also, the rubbing style of all the drawing was used at different ages with intervals, which proves the unity of the artists in the area along different ages.

E. Lions, Tigers, and Hyena:

Drawings of groups of animal, thought to be of lions, tigers and hyena, were assigned, which proves that these animals were known in the area and caused panic among the people as they were scared from these animals on their lives and the lives of their animals. It seems, from the surface layer, that the drawings of these animals appeared at later times in this area; later than the other animals as the deer and gazelles.

F. Dogs:

Drawings of dogs were a few. Dogs always appeared accompanied with man, in following animals and helping hunters in catching their prey. This proves that dogs were domestic animals.

G. Ostrich:

The ostrich was seen in six drawings in the area. In some of them, it was drawn as a prey with the hunter's spears going through their bodies as seen in **picture 19**. Also, the ostrich was seen in single drawings, in a flock or with other animals. This proves that the bird was known in the area, as the artist usually drew the animals and birds known to him and was available in the region.

H. Other animals:

Some other drawings of groups of animals were difficult to identify. Some of these could be symbols of some gods in the area.

This gives this study and other similar studies their importance, as, by discovering more about these drawings, we will be able to know much more about the culture of the nations that made such pieces of art. They will also help us to write the unwritten pages of history of this area as well as encouraging researchers to do more serious studies in the field.

Secondly: **Human Drawings** :

Human drawings have always been accompanied with animal drawings. Most of these were found at Irq Harb site. No one could tell the exact date of these drawings, though some of them, if compared with similar ones studied[28] in different regions of the Arabian Peninsula and near by areas, proves that they go back to the prehistoric era[29]. In spite of that, the drawings found at Balqarn were different in shape and style that makes us believe that these drawings go back to some human groups

that have lived at different historic periods as the other nations in the rest of the Arabian Peninsula.

The human drawings found in this province can be classified as follows:

1. ***Real Human Drawings***:

A group of human drawings in full size were found in the area. They were in different styles, shapes and ideas. Among these were:

a- A drawing of a horse rider (fighter) in full size at Irq Harb Mountain where it shows full details of the body as he stands in front position without any movement of the legs. We notice that the right arm was raised and carried a long spear. The left arm carried something that seems to be like a shield. We are used to seeing such drawings with the rider carrying his spear, his shield and wearing a helmet to protect his head[30]. Two lines appeared moving up from the helmet. I think they are of two feathers, though we have seen, in similar drawings in other provinces, that these lines used to be three, not two, as seen in picture 20.

b- In another drawing, a fighter appeared in full size with full details of the body. He appeared in front position with his legs stretched apart, the body bending to the left, and his right arm bending to the left and downwards and carrying a sickle and wearing a head cover full of

feathers. It has been noticed in this drawing that the head cover has three feathers as seen in picture 21; unlike the previous drawing that has only two.

c- In a third drawing, the fighter appeared standing with his arms stretching down, and carrying a weapon on his right arm, though the artist did not succeed in drawing the hand of that weapon. On the other hand, the left hand appeared holding a rectangular shield. He is wearing a sward or a dagger round his waist. The head is rounded and, unlike the two previous drawings, without a helmet. This could be seen in picture 22.

d- So close to the previous drawings, we found a drawing of another fighter standing in a front position with his arms stretched down. On his left hand, he carried a rectangular shield. He seemed to have thrown his spear to a near by animal with his right arm. The head had no helmet as seen in picture23.

e- In picture 24, we see a fighter in full size and with full details of the body. Standing in a front position with his arms stretched up, he wears a sword round his waist, though the artist went to an extreme in drawing the fighter's

trunk so as to see the distance between the belt and the waist; the normal place for the belt. The head is veiled which means he was on a hunting mission, if we adopt the idea that says that the veils the fighters wear were used to trap their prey[31]. The scene could also be, as some might suggest, a kind of religious rituals. Those who think so claim that the veil is used in hunting as well as in religious rituals especially magic as the veil gives the magician power and honor[32]. Others suggest these ideas as we have mentioned before while talking about Abha and its suburbs[33].

f- **In** another semi-natural drawing of a man standing in a front position with his arms raised up, we could see him carrying knives or thick sticks and on his shoulders there is something that could be a robe. The artist exaggerated his drawing of the man's male organ. We notice that the man is after a deer with long antlers, and following him there were hunting dogs as seen in picture 25.

2- ***Human Stick Figures***:

Most of the human drawings found at Balqarn region were of that type and were in different styles.

a- Some of these human stick figures were marked with their long trunk, stretched arms, either downwards or rose up, and short straight legs.

b- Other figures have straight trunk with the arms bending down and the legs stretched to the sides. Between the two legs, appears an exaggerated drawing of the penis so that it appeared bigger than the man himself. The head is rounded, ball shaped, and the neck is too thin so that it becomes difficult to figure it out(34).

c- Another type of stick figures shows the trunk is long and straight, the arms are stretched with the shoulders' level, the hands bending down and the head is rounded. The legs are short and not matching with the other limbs.

d- In another picture, the human figure is drawn in double angle. The side shows the face and the trunk, the two arms are stretched in a U-shape and the legs are open and stretched downwards.

e- In the next drawing, the figure is drawn to show the two arms stretched upwards in a U-shape, the head is rounded in a ball shape and the legs are parted. The figure gives a real impression of a dancing situation between feeling and movement.

f- In a different drawing, drawn in a special style, we see three figures raising their hands in a U-shape, two of them wearing weapons round their waists. The legs of one of them are semi-straight, parted with the other and not found on the third figure. The scene as a whole might give the impression of a dancing situation expressed through showing the position of the limbs.

g- In the last example of stick figures, we see that the artist has done this drawing in two styles: he drew a figure with a straight, exaggerated long trunk, and the arms are not clearly seen. The right arm seemed stretched towards the right side, whereas the left arm seemed to be on the waist so much as in the accompanied figure. Yet, this is not clearly shown probably because the rock itself has been broken or because of the natural changes that might have happened. The legs are stretched downwards in a U-shape with the male organ in between.

The second figure is most probably of a woman in a front position with her arms on her waist in a triangular showy shape with straight legs. On the head, there is a headwear similar to that on the stick figure next to it. The artist has nicely drawn the

trunk and shown the hips apparent. This made us believe that the figure is of a woman, though we could see a line between the legs, which could be of a male organ. But, as we could notice, the line is not connected to the trunk. Thus, the figure is of a woman and the artist, through the drawing of that line, wants to express a sexual intercourse between the man and the woman.

3- ***<u>Abstract / lined Figures.</u>***

Abstract and lined figures could be looked at as human drawings or figures on the basis that they could be distinguished within the scene such as figuring out the body, the limbs or the head. In many cases, it turns to be very difficult to figure them out sometimes because of the abstract style, and in other times because of their large size or being incomplete. Yet, such drawings still keep similarities with human figures whether in the general form of the body, the trunk, the head and the limbs. When we see them, at first sight, we, undoubtedly, categorize them as human figures as they look very muck like human figures than anything else.

Some modern studies point out that the prehistoric artist have developed large human figures that tend to be natural or abstract and that change in view was not a sudden one; rather gradual(35). Yet, I think that the artist, in

the beginning, is usually less skillful, then he gradually masters his art and becomes professional, and not vice versa. I also believe that the differences between human figures and their different styles go back to the differences among artists of each category.

The weapons used by the people of the region

Art rock of this region shows us examples of the weapons invented by the people of this region along history whether at the prehistoric era or pre Islamic eras. No doubt, the nature and style of life of the time have made man to think and invent the type of weapons he needed either for hunting, for food, to protect himself against wild animals and poisonous snakes or to fight for survival. These weapons could be summed up as follows:

a. Shields

Shields are considered the most weapons that appeared in the drawings of the area. They are always connected with horse riders and fighters as we usually see the fighter carrying his spear on his right hand and a shield on his left hand. This could be noticed all through the previous pictures. The purpose of using such a weapon was to defend oneself against the enemy's spears, arrows, daggers and swords. For sure, these weapons were used at the Iron Age[36], where iron was used on a great scale.

b. Spears

It is obvious that spears were one of the most important weapons in the life of the people of the

region as it could be seen in most, if not all the drawings. This weapon has appeared on art rock in the Arabian Peninsula in general at late ages; some claim in the modern age[37]. But I believe that this weapon has appeared before shields as they were connected with horse riders or with the hunting scenes where hunters follow their prey with their spears.

c. Helmets and Veils

At Balqarn region, many of the human drawings found were having either a helmet or a veil to protect the head. Some think that hunters put these veils as a kind of trap for the animals[38], though I do not agree with this idea as the animal that fears the hunter will escape whether the hunter is veiled or not. Thus, we believe that helmets and veils were to protect the head, unless something appears to prove another thing.

d. Daggers and Swords

Many of the drawings on the rocks show men wearing daggers and swords round their waist.

e. Pieces of Wood

We have seen too many human figures carrying bending pieces of wood or some wood sticks and daggers. For sure, these pieces of wood were used as weapons for self-defense or to attack the enemy. These were known and used much longer before weapons made of iron or copper[39]. Yet, they were used even after the invention of weapons made of iron and copper as they were seen in later drawings.

Tribal Logos

Logos are considered a sign of identity as well as an approval of personal ownership. These logos were usually printed on animals to prove ownership. Art rock in the region shows that logos were known and used since the early ages, and up till now. This art was also connected with man, as some studies see that logos are symbols of tribal identity(40).

Some of these logos were found printed on the bodies of animals or connected with both animal and human drawings. Among the well-known logos found are the "O" shaped and the "8" shaped logos, as seen in pictures 26 and 27. This region contains a big number of these logos, the most well known are the ones found at Khad Al-Maragh at Khath'am, where, on the ceiling of one of the caves at the site, a number of tribal logos in red color were found, as seen in pictures 28 and 29. This site is well known, as it is the first example of colored art discovered at Aseer region. These logos or signs are similar to some old Arabic alphabetical symbols (letters). Some believe that these signs and logos together with human figures were the base for old Arabic scripts(41).

Symbols and Signs

A great number of symbols and signs were found. The purpose of using these signs varies; e.g. the prints of palms and legs are connected with some of the religious beliefs in the prehistoric eras(42), the sun is a symbol of purity, the windlass is a symbol of agriculture, the bucket is a sign of a water well, availability of water or getting water out

of a well. In some cases, symbols and logos were drawn in double shape. For example, the symbol "+", known as tree root, though it has nothing to do with the real thing (root of a tree), is used to symbolize a certain tribe(43). Next to this sign, we find a bucket and a robe as a sign that symbolizes the availability of a spring or a well. The symbol or logo tells that the well belongs to a certain tribe. This is seen in picture 30.

Besides these symbols and signs, there are a great number of unknown, vague symbols that are very difficult to know their meanings or the reason behind them. But, for sure, they symbolize something that is still unknown to us that other further studies in this field might discover later on(44). Some might have been scripts of a language used by the people of the time. In pictures 31, 32, 33 and 34, we can see some of these vague symbols.

An Analytical Viewpoint of Art Rock at Balqarn:

Looking at art rock at Balqarn area, we could sum up our idea as follows:

1- The drawings in the region have no harmony in style, in the way they have been drawn and in their history. The surface layer proves this. Thus, we believe that these drawings were made by different human groups and reflect different cultures at different historic eras.

2- Among the drawings found, drawings of animals appear to be much less than human drawings, though the latter appear to be very difficult to distinguish and even to know the sex of the drawing specially in the stick

figures or those made in straight lines, where their sexual identity is almost lost.

3- The hunting scenes show how the hunters were devoted to get their food and show their skill in hunting as well as showing the weapons they have used to catch their prey.

4- The human figures, whether they were natural or semi natural, usually had sexual identity that one could figure out the sexual identity of the figure; a male or a female. Among these signs of sexual identity were the male organ, hips and buttock. Through these signs, which appeared in stick figures, the artist tried to show the difference between the male and the female by showing the male organ in almost an exaggerating way.

5- It has been noticed that showing movement in most of the drawings, whether of animals or humans, were very weak. The animal drawings were all drawn by the side with a complete disappearance of front position. The artists might have not taken care of movement in their drawings.

6- The human drawings were made in different styles to show different situations such as dancing, hunting or fighting. Yet, all drawings show man in a standing position where the arms are completely stretched upwards, bending or in a position to show how the hand holds a spear or a shield. The legs were drawn twisted, curved or apart to show the aimed at position. There were no positions such as

sitting, resting or laying on the ground in human figures drawings.

7- The artists have failed to show us any kind of clothes that were used at the time in the area, unlike figures found in other regions[45]. Also, the hair and hair styles of the people, as well as jewelry, have disappeared, unlike the figures found at Tath'Leeth region[46].

8- The fighting scenes clearly show some of the human activities and social relations that spread among the people of the region as seen in the weapons used in fighting and the horse riders who appeared carrying and holding their swards, daggers, shields and spears, and wearing helmets and veils and fighting in wars. All these scenes give us an impression about the instability in human relations at that time that could be due to the competition among people to get the most out of the very little they had. These scenes also show us the types of weapons that man has used in fighting.

9- On the other hand, the dancing scenes give us a glimpse of the moments of joy and happiness that these people have had.

10- The drawings of the region stress upon the fact that there was a kind of unity among the human groups that have lived in the region as every tribe has had its own logo which was printed on their animals or on the rocks so as to show that the area and the right to move and pasture are part of their belongings.

11- In spite of all that, art rock does not give us details about the daily life, social activities, or the religious rituals of the people of the region.

Results and Recommendations

Firstly: ***Results.***

This study comes out with a number of results that could be a guide line to researchers and those who show interest in the history of the region. These could be summed up in the following points:

1- It is very difficult to mention, in this paper, the great efforts that Man, in the Aseer region, has done to create such deep rooted culture and the arts he has created along the history. But some light on this man's life and what he has made are worth mentioning. He could, through his efforts, form his own personality as well as his own cultural identity within the culture of the ancient Arabian Peninsula and his Arab-Islamic identity later on. This has been proved through the arts he has left in different forms such as drawing, sculpturing in caves, on house walls, on rocks, wood, china and coins. Art rock at Aseer region is considered the most important creation that ancient man who lived in this region has left in the prehistoric era or in the different historic periods later on. The importance of that art is due to the fact that it is considered the most important source to study the pre-Islamic era in this region in particular and in

the Kingdom of Saudi Arabia in general as it is very much connected to the daily life of the people who lived in this area. Thus, this art clearly represents some life styles and tells us about the customs and socio-economic activities of the nations that left such art rock. Moreover, this art tells us about taste styles and aspects of the religious ideas of the people who have made this art on the rocks.

2- Apart from discussing the aims behind which these drawings were done, this study emphasizes that these drawings have been the real start towards development, showing artistic talents and the base from which all human activities have launched the following civilizations. At the same time, it is considered the womb from which writing has developed and became the means of communication and dialogue among nations specially when we understand that art rock was mainly aiming at finding a kind of communication through simple figures that have developed later on and became writing symbols and hence a language used as a means of communication.

3- This study points out that many of the art rock sites have become within the inhabited area and that might cause the disappearance of most of them in a very short time, and as a result, we may lose a lot of that fine art. Thus, the importance of this study emerges from its

trial to study and classify these drawings at these sites.

4- The study has emphasized that there has been a number of artistic schools as well as developments in the style from one age to another, though there are no signs of such development in the targeted sites.

5- The study has figured out the great artistic skills of the artists in drawing animal and human figures in full size and their ability to show the minute details of these figures.

6- The study has shown the artistic levels of the artists of that time and the topics that attracted their attention.

7- This study helps to figure out some of the customs and activities of the nations that have lived in this region along history which could help in writing the history of this region.

8- This study has figured out some colored drawings (in red color) that have kept their color till now. This shows us the high artistic level the artist of that time has reached and his ability in mixing colors so as to stay for a long time.

<u>Secondly</u>: *Recommendations*:

Because of the destruction that the archeological sites are facing in the kingdom in general and in this region in particular, this study calls upon all the responsible bodies to take their responsibilities towards saving these archeological sites specially in areas where inhabitation is extending. Also, the study calls up researchers and

archeologists to do further studies on the Balqarn region.

Footnotes:

(1) Balqarn: One of the provinces of the Aseer Region in the Kingdom of Saudi Arabia. It has some other sub-centers. It is situated in the north of Aseer Region (**see map 1, 2**) and is considered the gate of the area on al-Baha region, the Hijaz Region and The Holy Areas.

(2) Dean, The community College at Bisha. Associate Professor of ancient history, Department of Social Studies, The College of Arabic Language, Social and Administrative studies, King Khalid University at Abha.

(3) Hester, J et al " Preliminary Report on the third Phase of ancient mining survey of Southern Province- 1403AH / 1983" Atlal, Vol. 8 (1984) pp 115-137.

(4) See "Rock Art in Abha City and its suburbs", A documented study of selected samples, Al-Dara- Issue no. 2, 31st year (1426AH) pp 157- 208.

(5) al-Khath'ami "Rock Art", p 158.

(6) Ibid, p 158

(7) The study of the ancient history of the Kingdom of Saudi Arabia in general, and in the southern area in particular, is still at its very elementary levels. It has not yet got the load of study that the other areas have got in the Arabian Peninsula. This kind of research may widely open the door to researchers and historians who could give us more serious studies.

(8) Khan, M., "Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia", Riyadh (1993).

(9) The researcher is soon going to publish an encyclopedia of all the drawings and archeological remains at Aseer area including these two provinces.

(10) Al-Qarny, Atlas. P.132.

(11) Special thanks should go to Eng. Mohsen ben Farhan Al-Qarny of the Supreme Commission for Tourism who has turned my attention to this site, to Mr. Sa'eed ben Abdul'Lah Al-Qarny, author of the "Balqarn Atlas" who has accompanied me to the site and to Mr. Muhammad ben Sa'd Al-Khath'amy the Afra sheriff who has accompanied me to many of the sites in the area.

[12] Thanks should go to Mr. Awad ben Muhammad ben Salem Al-Qarny who has discovered this site and has accompanied me during the field study.

[13] Al-Qarny, Atlas, p.70.

[14] It is one of Al-Basha'er''s areas at Balqarn province.

[15] Thanks should go to Mr.Sa'ad ben Muhammad Al-Halafy, teacher at Sa'eed ben Jubeir Prep. School at Al-Fawhah, who has guided and accompanied us to the site.

[16] The names are taken after the national citizen Mr. Audah ben Murait Al-Halafy who is a very distinguished person at Al-Fouhah.

[17] I have visited the site in 1416Ah, and then I revisited the place for the field study for this paper. I have noticed that most of the rocks with drawings have disappeared. This could have done due to one of two possibilities: either because of the digging for a new road in the area, or someone has moved them to an unknown place especially when we know that these rocks were small enough to be carried.

[18] Thanks should go to Mr. Saad ben Sefrah who has discovered these sites and ha sguided me to the place.

[19]It is one of the most well known valleys at Aseer region that are driven from Bisha valley. It has been mentioned in many history books and atlases. For more information see Al-Hamadany, "The structure of the Arabian Peninsula" p. 400 – Al-Bakry, Abdull'Lah ben Abdul-Aziz "The Atlas of the Atlases" (معجم ما إستعجم) four volumes revised by Mustafa Al-Saq'a, Beirut, the Book World, 3rd edition (1403 AH/ 1983)- See vol. 1 p. 301, vol. 4 p. 1355. Also see Awas ben Hajar, "The Diwan" revised by Muhammad Yousef, Beirut, Beirut House (1403AH/ 1986) 7.

[20] Thanks should be passed to Mr.Khalid ben Ali Al-Halafy of King Khalid University who has mentioned these drawings to me and has guided me to the site.

[21] One of the most important valleys at Balqarn province that starts from below Khat'am land and is considered an extension of Rania valley.

[22] These scripts and signs were discovered by Mr. Ghurm'Allah ben Saad Al-Khath'amy, a civil servant at Afra.

[23] Al-Khath'amy, "Art Rock" p. 174

[24] For more information about this era see: Ibid, p. 160.

[25]Some think that donkeys' caravans started in the Middle East as far as 3000BC, but the appearance of camels' caravans have started by 1500

BC. For more information see Albright, W.F., "The Archaeology of Palestine", Baltimore, (1960) pp 204-210; "Midianite Donkey Caravans" in H.T. Frank and W. L. Reed " Translating Understanding the Old Testament", New York (1970), 197 ff; Clutton-Brock, J., "A natural History of Domesticated Mammals", London: British Museum Cambridge University (1987), 124-29. Yet, the appearance of camels in the Arabian Peninsula is still controversial among researchers. For more information about the appearance of camels in the Arabian Peninsula see: Ibn Se'ray, Hamad Muhammad: "Camels in the Old Near East and the Arabian Peninsula", The Saudi Historic Society, 3rd edition, Riyadh, May 1999, p. 21 ff.

(26) Drawings of tied camels were found in Najran province, Saudi Arabia and look very much like the ones found in this area. See Khan, "Prehistoric Rock Art", PI. No. 9.

(27) Al-Khath'amy, "Art Rock", p. 174.

(28) For more information about the classification of these rocks in the Kingdom of Saudi Arabia see Anati, E., "Rock Style in Central Arabia" (Expedition Philby Rickman's-Lip pens en Arabia) 4 vols. (1868-1972); Khan, "Prehistoric Rock Art", 1993.

(29) For more information about these studies see: Zarins, J., et. Al, "The Second Preliminary Report on the Southern Province" Atlal, vol.5, 1981; Horsfield, G., Angnes, H., and Glueck, N., "Prehistoric Rock Drawings in Trans-Jordan", AJA, vol. 37, no. 3 (1983) pp. 381-86.

(30) This type of drawings was found in Abha and its provinces, and at Khamis Musheit. For more information see: Al-Khath'amy, "Art Rock" pp. 167-168, pictures 8&9.— "Arts of Art Rock" pictures 11&12.

(31) Layton, R., "Naturalism and Cultural Relativity in Art", Form in Indigenous Art, Ed by UCKO, P.J. London, 1977, p. 31 ff.

(32) Breuil, "The Tsisab Ravine", p.21

(33) UCKO, P.J. and Rosen field, A., "The Interpretation of Paleolithic Anthropomorphic Figurines", JRAI, vol. 92, 1962, pp. 38-50.

(34) The human stick figures found in this region are similar to those found in Abha and its suburbs. See Al-Khath'amy, "Art Rock" pp.164-165

(35) Khan, Prehistoric Rock Art, 143

(36) This could be around 1500 BC.

(37) Khan, Prehistoric Rock Art, p.172.

(38) Breuil, "The Tsisab", p.21.

(39) Khan, Prehistoric Rock Art, p.172.

(40) Khan, "Tribal logos", pp. 11-14.

(41) Khan, Prehistoric Rock Art, pp.176-187.

(42) Ibid, p.147

(43) Khan, Tribal Logos, p. 19

(44) For more information about tribal logos and the symbols on art rock in the Arabian Peninsula, see Khan, Prehistoric Rock Art, pp. 173-175 and also: Khan, Tribal logos, pp 11-24.

(45) As in Tath'Leeth and Najran in the Southern region and in the Northern areas of the Kingdom of Saudi Arabia. For this see: Anati, E, Rock Art in Central Arabia, 4 vols. (1968-1972), Khan, Prehistoric Rock Art, (1993).

(46) The researcher is nowadays writing an encyclopedia of the ancient monuments at Aseer region. So far he has finished eight volumes that will be published soon.

appendices

1- **Pictures.**

2- **Maps.**

3- **Figures.**



Picture (1) A deer with a spear going through its body. In the background, a number of small and big deer as well as a hunting dog are seen. The frame is marked with chalk to make the picture clearer.



Picture (2)Another scene of a deer with a spear into his body.



Picture (3) A very old scene of a deer. This is shown through the surface layer.



Picture (4) A scene of a number of deer, most probably drawn by more than one artist.



Picture(5) A deer drawn in deep scattered carving.



Picture (6)An example of the scattered carving style in a whole picture.



Picture (7) An example of the direct scattered carving style in a whole picture.



Picture (8) A closed frame in deep lines.



Picture (9) A closed frame in deep lines.



Picture (10) A closed frame in thick lines.



Picture (11) A deep sculpture style.



Picture (12)A number of deer drawn in the stick style.



Picture (13) A drawing of a camel made on top of old drawings of deer.



Picture (14) A ridden camel.



Picture (15) A herd of wild horses



Picture (16) A member of the previous herd attacked with a hunter's spear.



Picture (17) A scene of a horned ox.



Picture (18) A cow drawn in the decorated line style.



Picture (19) A flock of ostrich.



Picture (20) A fighter carrying a spear on his right hand and shield on his left hand.



Picture (21) A scene of fighter carrying a sickle on his rights hand with a head cover full of feathers.



Picture(22) A fighter with a sward or a dagger round his waist, carrying a weapon on his right hand and a shield on his left hand.



Picture (23) A scene of a fighter carrying a shield on his left hand while throwing on his spear, with his right arm, towards an animal.



Picture (24) A fighter with a sward round his waist



Picture (25) A hunting scene of a fighter his hunting dogs.



Picture (26) An example of tribal logos.



Picture (27) One of the tribal logos.



Picture (28) Tribal logos from khad al-Maragh at khath'am.



Picture (29) Some tribal logos and other signs from khad al-Maragh at khath'am.



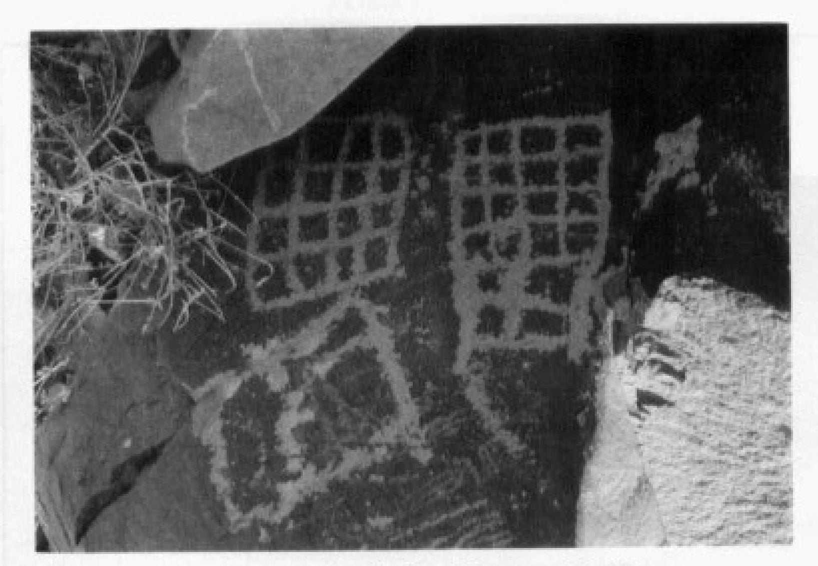
Picture (30) A tribal logo ; the sign"+" a bucket & a robe as a sign of a water well nearby, showing the ownership of this well to the tribe.



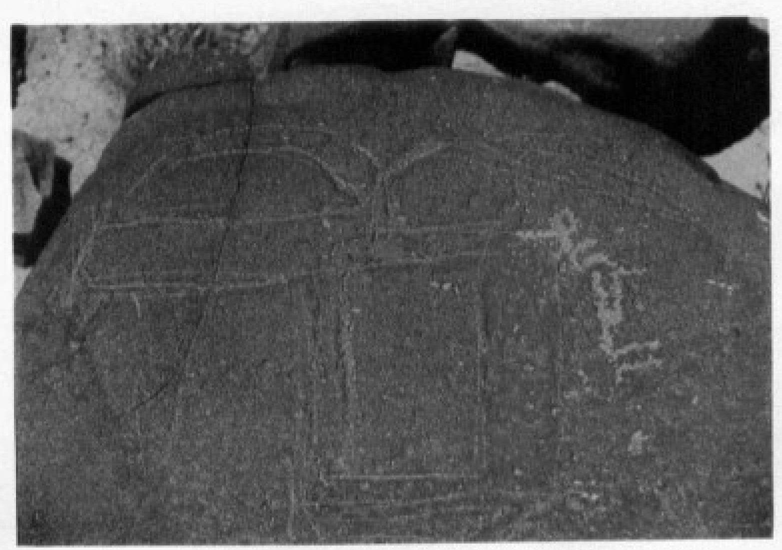
Picture (31) Vague symbols & signs.



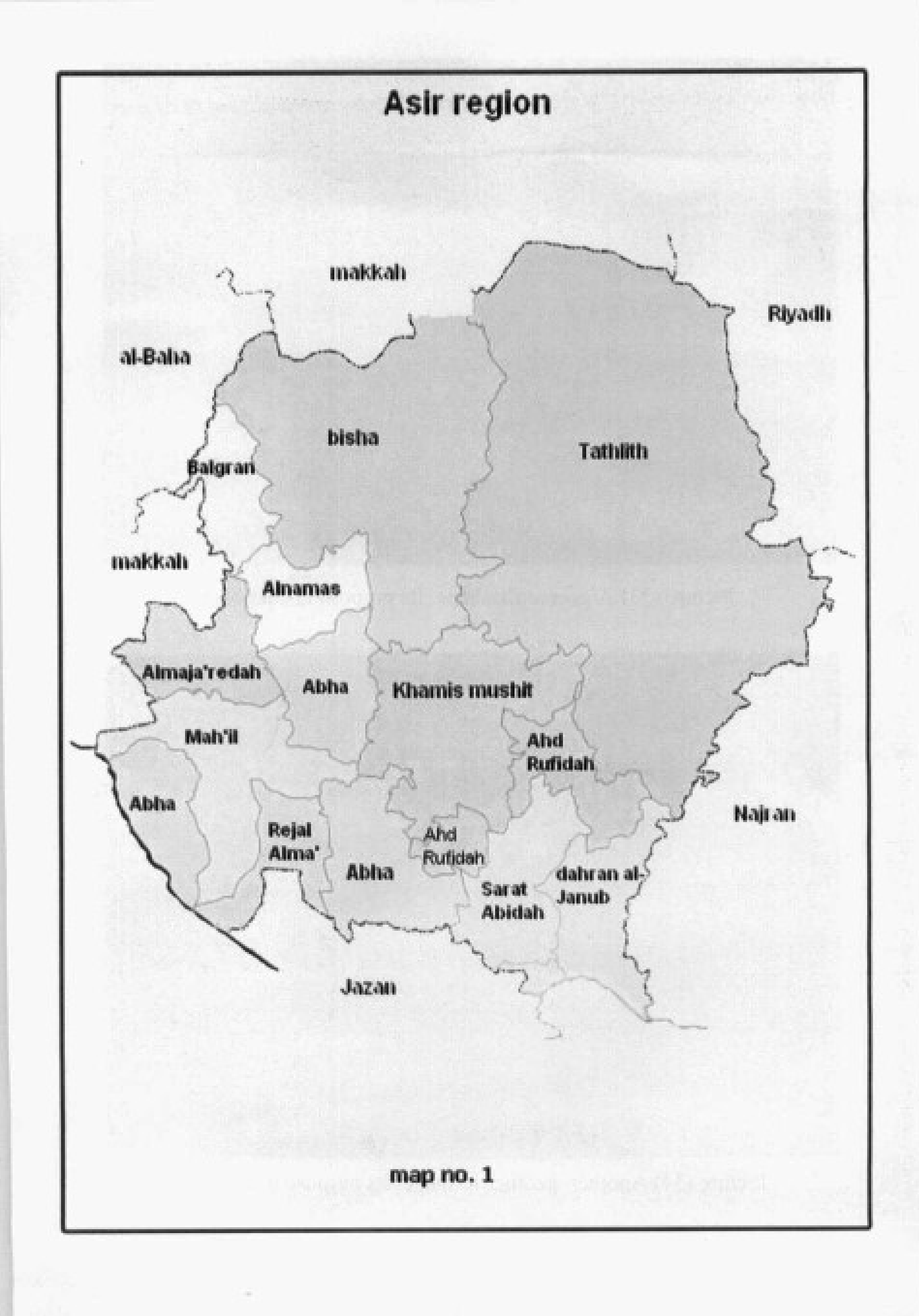
Picture (32) Part of the Vague symbols.



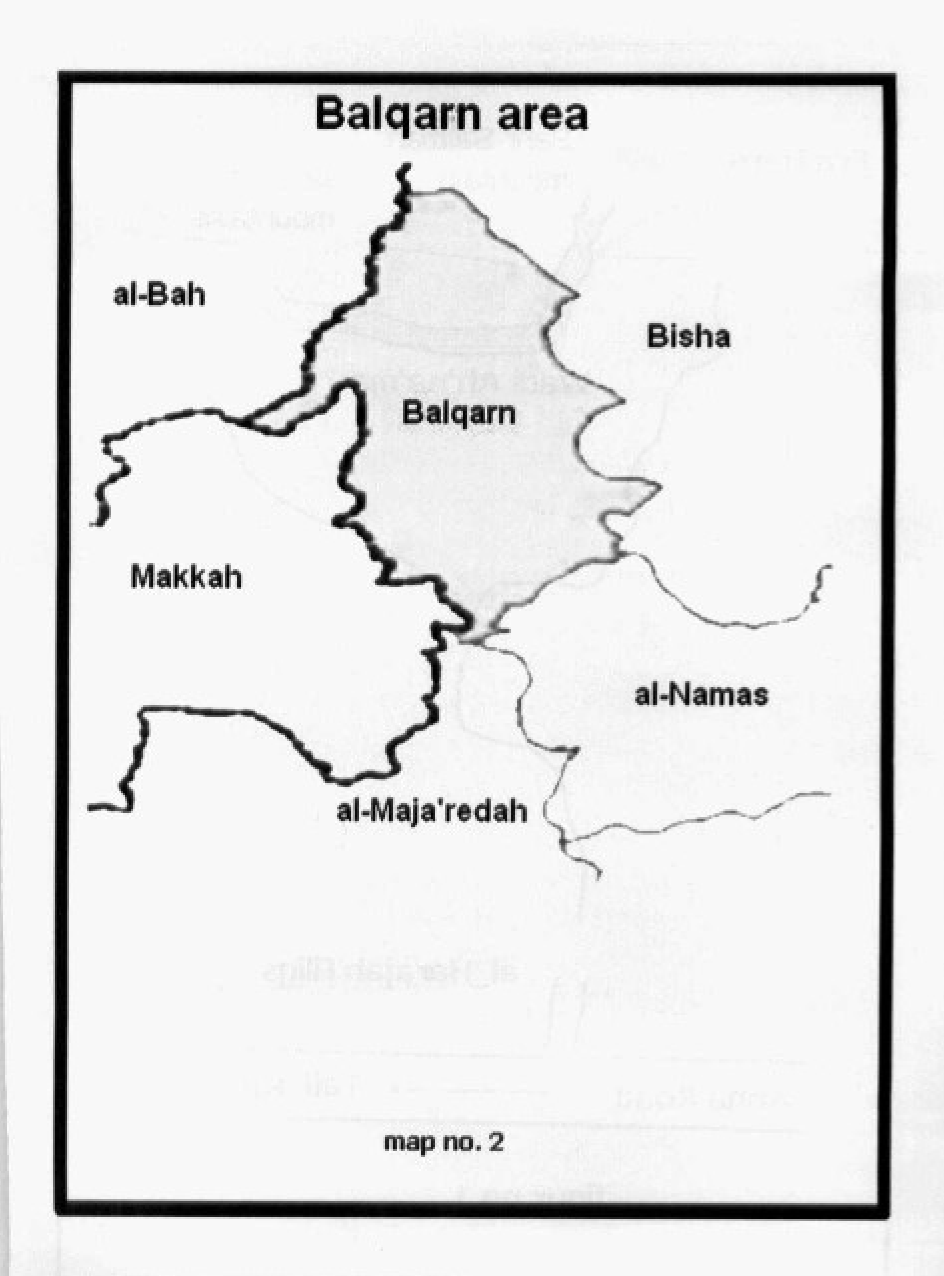
Picture (33) A geometric shape. Its purpose is unknown.

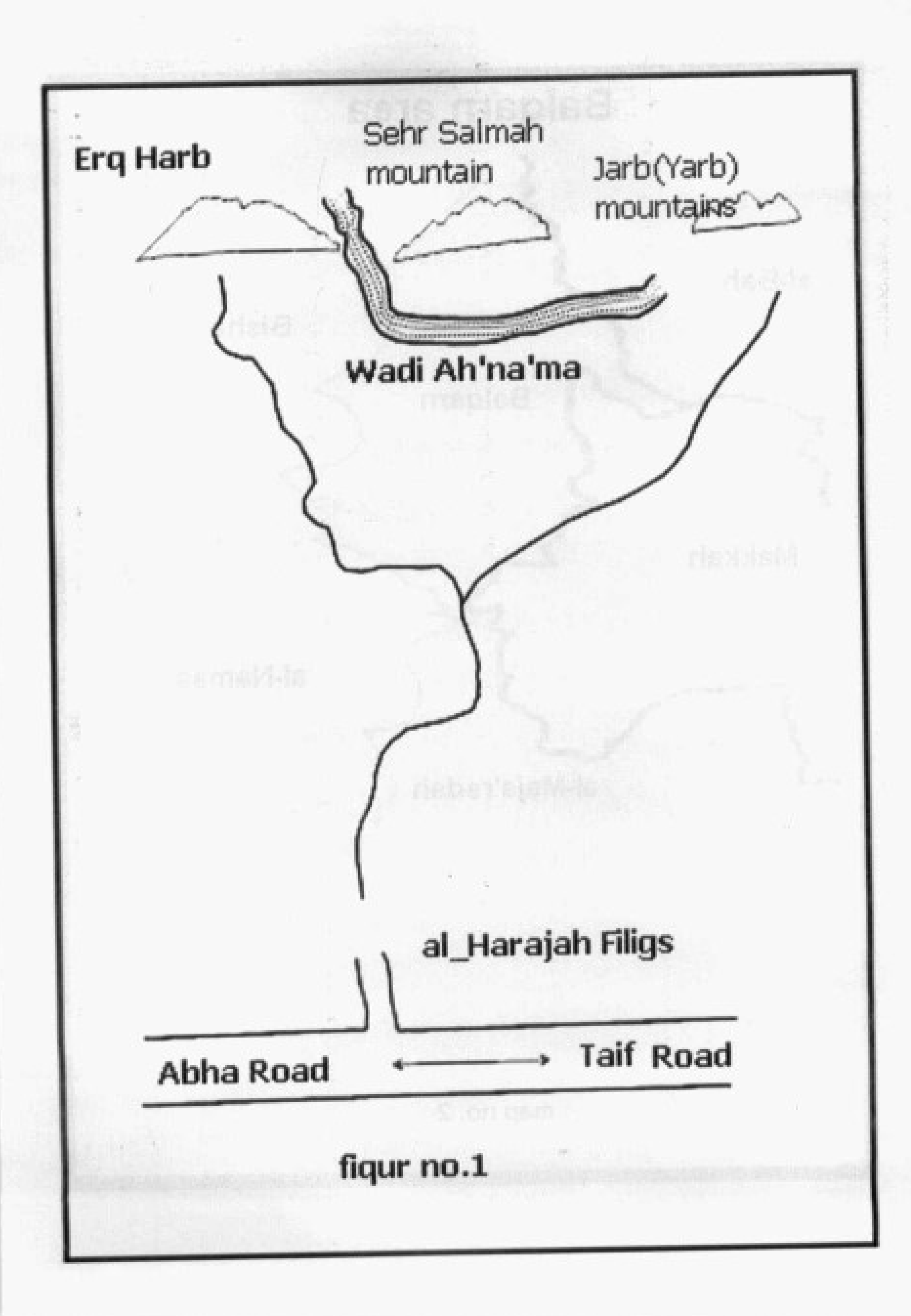


Picture (34) Another geometric shape. Its purpose is unknown.

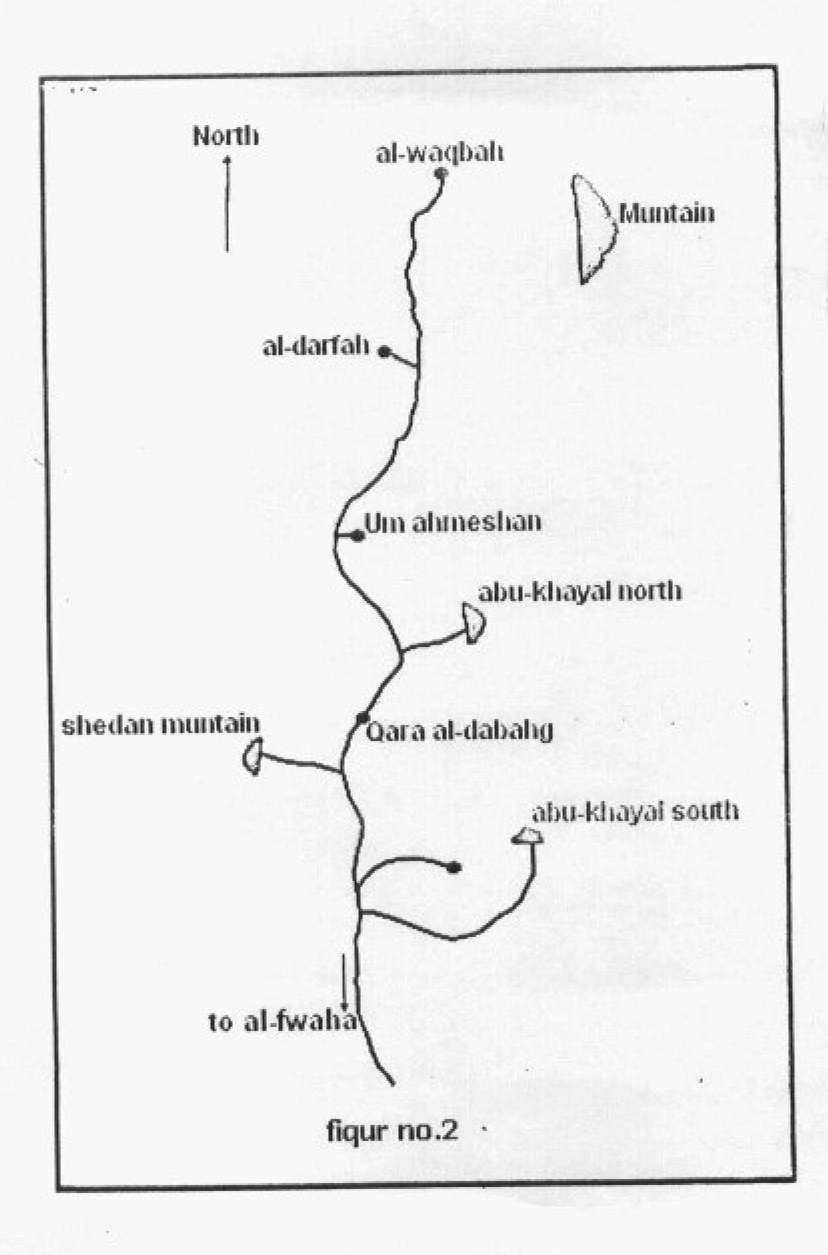

Asir region
makkah
Riyadh
al-Baha
bisha
Tathlith
Balgran
makkah
Alnamas
Almaja'redah
Abha
Khamis mushit
Mah'il
Ahd
Rufidah
Abha
Rejal
Alma'
Ahd
Rufidah
Najran
Abha
Sarat
Abidah
dahran al-
Janub
Jazan

map no. 1


Balqarn area
al-Bah
Bisha
Balqarn
Makkah
al-Namas
al-Maja'redah
map no. 2


Erq Harb
Sehr Salmah
mountain
Jarb(Yarb)
mountains
Wadi Ah'na'ma
al_Harajah Filigs
Abha Road
Taif Road

fiqur no.1


North
al-waqbah
Muntain
al-darfah
Um ahmeshan
abu-khayal north
shedan muntain
Qara al-dabahg
abu-khayal south
to al-fwaha
fiqur no.2